د .صالح الفهدي

أعمال مسرحية - ٣

الجفاف

وعدة مسرحيات أخرى

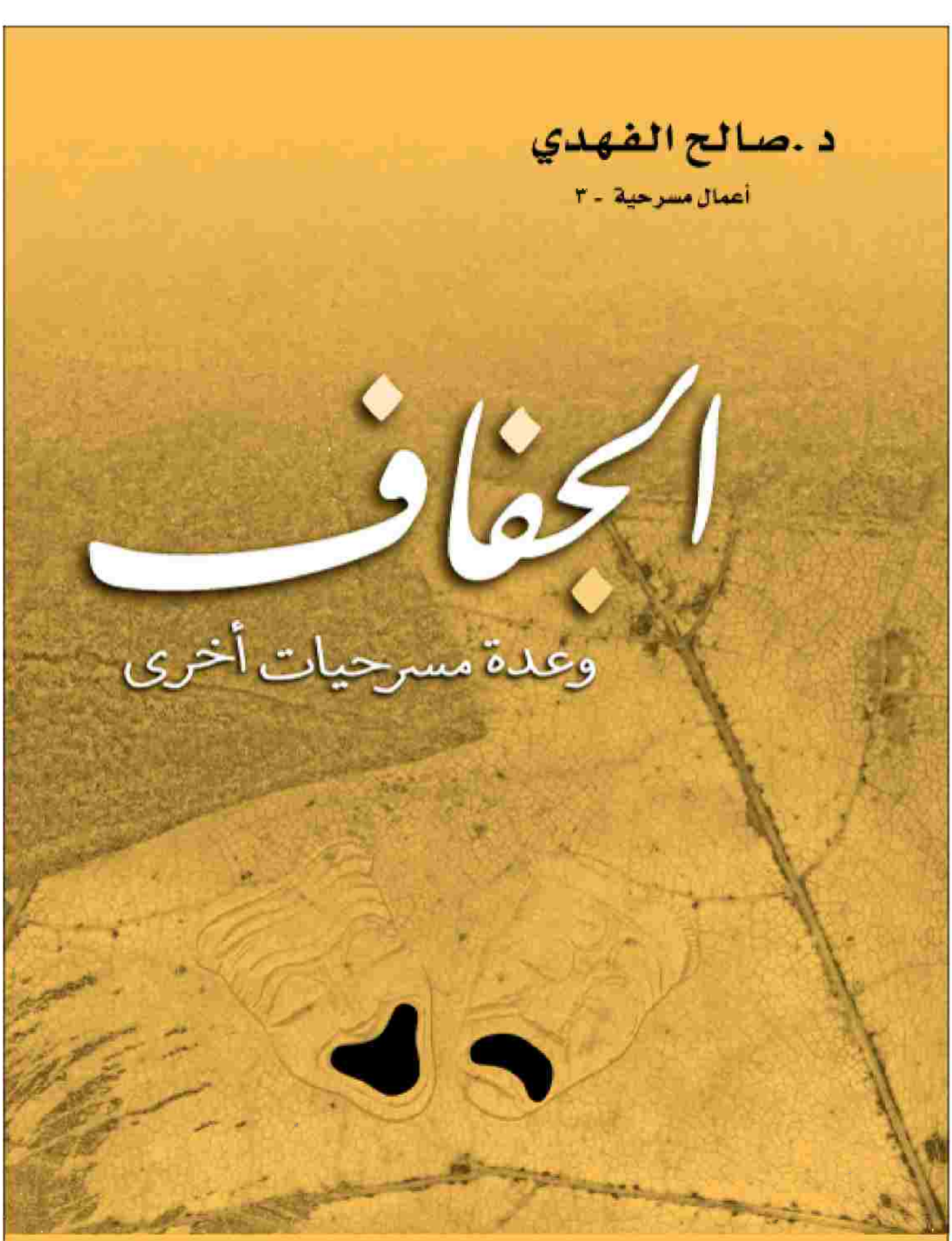

آفاق معرفة متجددة

www.fikr.com

المحتوى

مسرحية الجفاف ٧

مسرحية اللؤلؤة ٧٩

مسرحية المفتاح ١١٩

مسرحية ذاكرة الحيطان ١٤٥

مسرحية أخو الرئيس ١٨٣

مسرحية قناع واحد لا يكفي (مونودراما) ٢٥٥

مسرحية وجوه الأحبّة (مونودراما) ٢٧٩

مسرحية هلوسات ليلة أُخرى (مونودراما) ٢٩١

صفحة بيضاء
رقم ٦

مسرحية

الجفاف

صفحة بيضاء
رقم ٨

هذه المسرحية..

تنحو هذه المسرحية منحى إعادة القراءة التاريخية بشكلها الممسرح الفني، وهي لا تسعى إلى صياغة حكائية واقعية، وإنما إلى طرح قضايا وإثارة مشكلات وأسئلة هي من الراهن بمكان.

حتى وإن بدا شكل الوقائع والأحداث أو أسماء الشخصيات لصيقاً بفترة تاريخية ما، لكنما المكونات النفسية والفنية للمسرحية وشخوصها تهدف إلى خدمة فكرة تجريبية شرقية تعيد قراءة التاريخ.

ليس المهم هنا واقعية الربط وإنما تعميق الدراما المسرحية وتسطيحها في آنٍ بحيث إنها قد تكون عميقة من حيث تبدو سطحية، حتى وإن بدت الشخوص رموزاً معينة لخدمة مسار المسرحية فإنهم هم أيضاً أفراد لهم وقفاتهم الشخصية، وتأثيرهم على مجرى الأحداث، وهذا يعني أن المسرحية لا يجب أن تقرأ من الحدث والأزمة والعقدة دون أن تخترق القراءة الشخصية / الفرد فيها، منبهاً إلى حقيقة أن الفن ليس تدويناً تاريخياً يتخذ مرجعاً بطبيعته، وأن الفنان ليس مؤرخاً بالضرورة، غير أن الفن من خلال جانبه المبتدع يمكن الرجوع إليه بوصفه تاريخاً..

لكنما هذه المسرحية سعت إلى صك نثارات وشظايا لخدمة الراهن، راجياً أن تقرأ حسب ما تطرحه في جوفها من قضية تجري مع جريان النهر فيها..

المؤلف

شخصيات المسرحية

- **الظاهر بن برقوق**
- **الأمير منطاش**
- **المؤرخ نور الدين**
- **الدوادار**
- **المحتسب**
- **القاضي الفاضل**
- **القلقشندي**
- **خليل بن شاهين**
- **ابن إياس**
- **ابن دقماق**
- **عاموس**
- **برانكاتشي**
- **شمس**

- خديجة
- ابن أيبك
- مسعود
- جنود ١، ٢، ٣

المرحلة الأولى

بدايات الجفاف

إسقاط (١)

في إحدى الزوايا.. ينحشر القاضي الفاضل وهو منكب على كتابته.. يسمع صوته، أشبه بتمتمة.

الفاضل من غش مسلماً أو أكل بباطل درهماً، أو أخبر مشترياً بزائد، أو أخرج من معهود العوائد، شهره بالبلد وأركب تلك الآلة قفاه، حتى يضعف منه الجلد..

(يدخل مسعود خادم القاضي الفاضل في الإظلام بداية وهو يصيح:)

مسعود مات صلاح الدين، مات صلاح الدين **(صوته يتداخل مع صوت القاضي الفاضل، يقف تحت سور القلعة فينادي سيده الفاضل:)** مات صلاح الدين يا سيدي القاضي الفاضل، مات صلاح الدين يا كبير القضاة ..

(يتوقف القاضي الفاضل عن الكتابة، وينظر إلى الشمعة حتى

تنطفئ، ثم يسلط الضوء إلى نافذة أخرى بها ابن إياس وهو يكتب بصوت مسموع:)

وهي أرض جرداء في معظمها، يملأ الرمل معظم جنباتها يحسبها الرائي صحراء قاحلة، وهي كذلك في الظاهر، إلا أن النعمة العظيمة بين أكنافها وفيها أراضٍ أخرى خصيبة لها شكل الهلال، وهذه تتمتع بوفرة مياهها وكثرة أشجارها..

ابن إياس **(يتداخل صوت مسعود بصوته هو الآخر)** سيدي المؤرخ الكبير ابن إياس، لقد مات صلاح الدين، ما الذي يمكن أن تكتبه الآن.. أقترح عليك يا سيدي أن تتريث فترة من الزمن فترى ثم تدون..

(يهلوس ابن إياس بكلمات غير مفهومة، يرتفع مستوى صوته، ثم يعود كل شيء إلى حالة السكون، إظلام)

إسقاط (٢)

ابن أيبك وزوجته خديجة..

خديجة لا يمكن السكوت يا بن أيبك

ابن أيبك **(مقلداً بتذمر)** لا يمكن السكوت.. السكوت لا يمكن.. انصحيني أيتها العبقرية الهمامة؛ كيف يمكن لي أن أقاوم بصدري الهزيل ذي الأضلاع البارزة كي أصد الطواحين صاحبة الريح وعاجنة الغلال؟! **(يمثل وقد**

قدَّم صدره) ها أنا ابن أيبك صاحب الصدر السحري المسمى بالترس جئتكم معارضاً هذا الهدير الذي تطلقينه أيتها الطواحين..

خديجة **(تدفعه، فيسقط)** دع عنك هذا التغابي..

ابن أيبك **(متألماً)** آي خديجة.. ربما كنت أقوى مني.. تفرقعت عظامي في هذه السقطة.. أحس بالعطش.. **(وهو في سقطته يدفع نفسه نحو كوب من الماء.. يضع الكوب على شفته ولكنه سرعان ما يلقيه بعيداً، تسقط منه ضفدعة)**

خديجة من أين خرجت هذه..

ابن أيبك ربما من قعر جهنم.

خديجة بل هو ماء النيل.

ابن أيبك **(يضحك وهو يحرك رجليه في الهواء)** إذن فقد بدأت الضفادع تلغو في مياه النيل يا خديجة؟!!

إسقاط (٣)

منظر جنديين تحت سور القلعة، جندي ١ يركب على ظهر جندي ٢ ويمشي هذا الأخير به في حين يضحك جندي١ وهو يهمز جندي ٢ الذي يصرخ..

جندي٢ أرجوك انزل سأموت، سينكسر ظهري..

جندي١ **(وهو يهمزه ويدغدغه ويضحك)** امش يا حمار.. هيا ألم

أعلفك بما يفوق حاجتك؟.. هيا حرِّك قوائمك..

جندي٢ آي.. آي.. أرجوك، للمرة الأخيرة أقول لك اهبط..

جندي١ **(وهو ماضٍ في مداعباته وهمزه وضحكه)** يا لله يا ظهر التيس.. يا لله.

جندي٢ حسناً.. خذ إذن **(يلقيه جانباً يتمرغ جندي١ في ضحكه، في حين يتألم جندي٢)** آي يا ظهري.. حاشا لله ليس جسد إنسان، بل جسد فيل سمين بحاله.

جندي١ فيل!! يا حمار.. إذن فاسمعوا يا أهل المدينة: إن من يحرس بواباتكم فيل وحمار. **(يضحكان)**.. حسناً لقد تذكرتها وهي تميس على ظهري كأنه الهودج.. وأنا ذلك الحصان الأشهب البعيد الخيال.

جندي٢ أيها الشبق النهم، كأن الذي كان يراك في الثغور أو في الخنادق يظن أن لك قلباً لا يعشق النساء، لكنك صرت زير نساء تصول وتجول في بيوت الليل من حسناء إلى أخرى أحسن..

جندي١ آه.. علينا أن نستجيب لنداءات أجسادنا الشحيحة الغائرة المياه.. لقد مرت علينا فترات عصيبة في زمن صلاح الدين، لم أعد أشعر أن بيني وبين ذلك الجندي في جيشه ارتباطاً يذكر..

جندي٢ من يسمعك يقول: إنك لست بأنت **(ينبطح على بطنه)**..

جندي١ **(ينبطح هو الآخر على بطنه)** ثق يا صاحبي أن صلاح الدين ذاته لغز محير وسيظل كذلك، زمن الأيوبيين

انتهى دون رجعة.. نحن في عهد المماليك يا ولد الناس!!

(يدخل جندي ٣، يضحك على وقفته)

جندي٢ ما لصاحبك؟

جندي٣ أهكذا يحرس الجند الثغور؟..

جندي١ هاه.. ما فعله صلاح الدين بالصليبيين سيجعلهم يستذكرونه طوال قرون عديدة.. لقد كفانا شرّهم.. عليه الرحمة.

(ينبطح جندي ٣ على هيئتهما)

جندي٣ هل سمعتما الخبر؟

جندي١ هاه.. أي خبر؟

جندي٢ أي خبر يا ولد الناس؟

جندي٣ يقولون إن برانكاتشي المندوب السامي لملك الإفرنجة في الشرق قد وفد إلى السلطان الظاهر بن برقوق بأمر جلل..

جندي١ أي أمر؟..

جندي٣ هس.. اخفض صوتك.

جندي١ أخفض صوتي عمن إذا كنا نحن الجند؟..

جندي٣ آه نسيت.. حسناً، يقولون إنه أخبر الظاهر بن برقوق عن تنبؤات ملك الإفرنجة..

جندي٢ توقف! **(صمت للحيرة)** ولكن كيف دخل مندوب الشؤم هذا دون أن نلحظه؟!!

جندي١ أجل كيف؟..

جندي٣ الآن عرفتما سر ضحكي يا بقر!!

إسقاط (٤)

القلقشندي وزوجته شمس

القلقشندي **(وهو غاضب)** كم حذرتك أيتها المرأة ألّا تغادري الدار دون إذني..

شمس **(بهزء)** هاه، لماذا؟! ألا تفعل كل النساء مثلي كما أفعل؟! ومع ذلك فلا يتعرضن للوم من أزواجهن..

القلقشندي ما شأني أنا بالآخرين، أنا شيخ الأعيان أيتها المرأة، شيخ الأعيان هل تعلمين، وسوف يراقبك الناس أكثر من غيرك من النساء، ألا تفهمين الكلام؟

شمس هاه، احمد ربك أنني أتغيب عن البيت نصف اليوم أما الأخريات فيتغيبن عن بيوتهن في أوقات كثيرة من النهار..

القلقشندي ألا تخبريني - بالله عليك - أين تمضين وقتك خارج البيت؟

شمس **(تتصنع الزعل)** أشتري لك ملبوساً بالطبع.

القلقشندي **(فرحاً)** هاه ملبوساً أَرِنيه.

شمس خذ..

القلقشندي **(يأخذه فرحاً ويتأمله)** يالك من زوجة رائعة **(لكنها تتصنع الزعل)** يا الله، يا سرعان ما تغضبين.. شمس حياتي وإشراقتها الجميلة.

شمس كأنك تتهمني بأنني فتاةٌ لعوب؟

القلقشندي حاشا لله يا حبيبتي **(بتودد)** ولكن.. ولكن أين تقضين باقي وقتك؟ ليطمئن قلبي ليس إلا..

شمس ليطمئن قلبك هاه.. حسناً أنا أذهب مع صاحباتي إلى السوق بعض الأحيان، ونذهب في بعضها إلى المتنزهات والبرك وغيرها من أماكن اللهو والفرجة.

القلقشندي حيث ينكشف ستر الحياء ويختلط الرجال بالنساء.

شمس لا تكن رجعياً يا قلقشندي يا زوجي، هذا هو حال المدينة بأسرها.

القلقشندي لكن الأمر أثار الفقهاء ورجال الدين لأن فيه من الفتنة ما فيه..

شمس **(بتأفف)** أووه..لم يثر الأمر غير صاحبك هذا القاضي الفاضل.. أتريدني أن أكمل أم أزيغ عنك..

القلقشندي حسناً.. المعذرة أكملي، يا لبطش النساء على الرجال! المشكلة أنني واقع في غرامها، أغثني يا رب.

إسقاط (٥)

ثلاثة من الفقهاء، وهم يتجادلون حول مسألة من المسائل، ويبدو الغضب والتعصب للآراء واضحاً في أحاديثهم التي تعلو بها أصواتهم..

فقيه١ أنا أرى أن المرأة إذا كانت نائمة أمام الرجل وهو يصلي بطلت صلاته.

فقيه٢ لا لا.. هذا رأي مبالغ فيه جداً نحن نرى وجمع من العلماء أيضاً أن مرور الكلب أمام المصلي هو الذي يبطل الصلاة، وليست المرأة النائمة.

فقيه٣ يا شيوخ.. لكن هذا حديث يعد من الآحاد، وهذا لا يمكن الاعتماد على سنده.

فقيه١ من قال لك ذلك؟ هاه، هات الدليل..

فقيه٢ لا تفترِ يا شيخ وتأخذ بأقوال من لا يفقهون في الدين..

فقيه١ اسمع أيها الخالدي..

(يدخل ابن أيبك، طالباً النجدة)

ابن أيبك يا شيوخ.. أغيثوني، أغيثوني

فقيه١ أَوَلا تستأذن أيها المتهور؟!.

فقيه٢ ألا تسلِّم أيها السفيه؟!

فقيه٣ ثم ألا تلتزم الأدب وتستمع إلى نقاش علمائك في أمور دينك ودنياك وآخرتك؟

ابن أبيك الضرورة دفعتني لذلك والعذر منكم مرتجى.. لقد سلب المحتسب أرض وقف لأيتام أنا وكيلهم، أطعمهم وأكسوهم من محاصيلها، أرجوكم تدخلوا لفعل شيء يا قضاة المدينة وفقهاءها، أرجوكم أغيثوني..

فقيه١ هل قلت كل ما لديك يا رجل؟

ابن أبيك أرجوكم يا سادة تدخّلوا في الأمر بعجالة وإلا..

فقيه٢ لا تقل (**إلا**) هذه.. لا يعجبني الاشتراط علينا..

ابن أبيك لم أقصد بها التهديد يا مولانا، وإنما قصدت القول بأن هذا المرتشي سيصدر لها ملكية خاصة بأحد أمراء المماليك، وحينها لن يجرؤ أحد على استرجاعها منه..

فقيه١ (**ينهره**) اذهب.. اذهب أنت وسنعالج الأمر بيننا..

ابن أبيك أرجوكم، سارعوا في الأمر

فقيه٣ (**بتأفف**) أووه.. قلنا لك اذهب.. هيا (**يخرج ابن أبيك**) رجل سفيه.. قطع علينا حبال نقاشنا..

فقيه١ لكني أرجح الرأي القائل إن المرأة إذا كانت نائمة أمام المصلي بطلت صلاته؛ لأن المرأة تتعرض لكثير من الجنابات كما تدرون..

فقيه٢ بل إن الكلب هو النجس، وعليه فإن مروره أمام المصلي فيه بطلان عظيم للصلاة.

فقيه٣ أنا أقترح يا فقهاء أن يعقد اجتماع كبير يضم فقهاء وعلماء المدينة كافة للفصل في الأمر..

إسقاط (٦)

القاضي الفاضل وهو منفعل يتحدث مع خادمه مسعود

الفاضل لن أكتم شيئاً عن الظاهر بن برقوق.. توجب الأمانة عليّ ذلك..فأنا قاضي القضاة يا مسعود لقد أخبرته بالحرف الواحد، قلت له إن الظهير الطمبزاوي حاكم إقليم الوجه البحري ومرؤوسيه قد باعوا أحد عشر ألف إردب قمحاً وفولاً من متحصلات الوقف الجيوشي، وقبضوا الثمن لأنفسهم..

مسعود وماذا كان رد الظاهر بن برقوق أيها القاضي الفاضل؟

الفاضل وعدني بأن ينال الظهير الطمبزاوي أشد العقاب على ذلك.. وعلمت أنه استدعاه على الفور..

مسعود أنا أكمل لك الحكاية يا سيدي.. **(ستكمل الحكاية بلسان ابن إياس في جانب آخر في حين يجمد القاضي الفاضل ومسعود مكانهما)** وبالفعل فقد استدعى سلطان المماليك الظاهر بن برقوق حاكم إقليم الوجه البحري.. لكنه بدلاً من لومه وتقريعه على ما فعله في متحصلات الوقف الجيوشي ولّاه القاهرة أيضاً.. ولم تلبث البلاد

بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ أن مرت بفترة عصيبة، اضطربت فيها أحوال البلاد وتصادمت مصالح البيت الواحد وكثرت حروبهم، وتغيرت الأوضاع السياسية والجغرافية لممالكهم تغيراً سريعاً.. فكان يقال في ذلك العصر مملكة حلب ومملكة حمص ومملكة حماه.. وهذه المماليك كان من المفروض أن ترتبط بصورة أو بأخرى بحكم واحد!

المرحلة الثانية

"نبوءة ملك الإفرنجة"

إسقاط (٧)

عرش الظاهر بن برقوق بجواره الدوادار والأمير منطاش، يستقبلون المندوب السامي لملوك الإفرنجة برانكاتشي..

برانكاتشي لقد حملني مولاي ملك الإفرنجة صديقكم الحميم سلامه الحار، ثم أرسلني في رسالة إليكم؛ مضمونها أن الملك قد تنبأ بأحوال هذه المدينة في القادم من الأيام، ثم طلب مني أن أخبركم بسداد الديون التي عليكم لبلاد الإفرنجة، إذ إنكم لن تستطيعوا أن تفوا بالتزاماتكم فيما بعد..

الظاهر أووه لا يا برانكاتشي لعل الملك غير راض عنّا، وإلا لما استغرق فينا مفكراً ومتنبئاً.

برانكاتشي بل إنه راضٍ كل الرضى يا مولاي، ولكن الملك ومستشاريه يستقرئون المستقبل، ولاسيما مستقبل هذه

الأمصار، ولهذا فمن واجب الصداقة أن يبلغكم بما استقرؤوه حتى تتخذوا إجراءاتكم الوقائية..

الظاهر أخبرني يابرانكاتشي، عن تنبؤات سيدك..

برانكاتشي **(يبدو على ملامح الظاهر الوجل والخوف، يتحول برانكاتشي إلى متنبئ غريب الأطوار، ينسلخ من جلده ليظهر شخص آخر له علامات الحقد والكراهية..)** لقد تنبأ مولاي ملك الإفرنجة أن نهر النيل هذا الذي تعتمدون عليه - يامولاي - في معيشتكم، وتستخدمونه ضماناً للقروض التي تنهال عليكم سينضب معينه، وتجف ساقيته، وأن الجفاف سيأكل الأخضر واليابس من مدينتكم..

الظاهر يا للفاجعة

منطاش يا لهول النبأ أيها المندوب..

برانكاتشي وأن المجاعة والأوبئة ستعمان أرجاء المدينة كافة..

منطاش والقلعة؟!

الظاهر أجل والقلعة؟!!

برانكاتشي **(لا يأبه بالإجابة عليهما، يتصنع التأثر النفسي)** ستجتاح الناس يا مولاي محنة عظيمة نتيجة الجفاف نظراً لاعتمادهم على نهر النيل، ويسارع أصحاب القدرة إلى تخزين ما لديهم من الغلال ضماناً لقوتهم وقوت عيالهم في أثناء الأزمة المتوقعة،..

الظاهر والقلعة؟!

منطاش أجل والقلعة؟!

برانكاتشي **(لا يأبه بالإجابة عليهما مرة أخرى)** كما يسارع التجار وأمراء المماليك، وأنتم تعلمون - يا مولانا - أنهم يستولون على معظم نتاج الأرض، يسارعون إلى تخزين غلالهم طمعاً في الحصول على أرباح أكثر عن طريق رفع الأسعار، ونتيجة لهذا ينفد المعروض في الأسواق، ويشتد التزاحم على الأفران، وحوانيت بيع الغلال، وتمتد حمى الأسعار إلى كل ما يباع وما يشترى من مأكول ومشروب وملبوس، وهنا ستتحول مجموعة من أولاد الناس إلى نمل.. وسيدبون في الأرض.. وهي تصدر شخيراً كالوحوش الضارية بحثاً عن الأقوات، أما القلعة..

الظاهر/منطاش **(يتنفسان الصعداء)** أجل القلعة..

برانكاتشي **(ينظر إليهم بغية إقلاقهم فيحبسون أنفاسهم، وهو يستعيد شخصيته الحقيقية والعرق يتصبب من جبينه حيث يمرر عليه منديلاً)** القلعة لا يصيبها شيء..

الظاهر/منطاش **(يرفعان أيديهما)** الحمد لله.. لا يصيبها شيء، الحمد لله. **(ينظر الظاهر بن برقوق إلى الدوادار الذي لم يكن رافعاً يديه للحمد فيرفعهما حين ينظر إليه).**

الدوادار الحمد لله القلعة لا يصيبها مكروه.

برانكاتشي بشرط..

الظاهر هذا الشرط تفاهم فيه مع الأمير منطاش.. أما أنا فذاهب في رحلة صيد طوال شهر..

إسقاط (٨)

عاموس والمحتسب..

عاموس آن لك أيها المحتسب أن تبرهن على قدراتك العظيمة.. كما آن لنا أن نشق طريقنا نحو الماء.. أيها المحتسب قل لي كيف يمكن أن نجعل صفوة الوجهاء والأعيان قناطر..

المحتسب حسناً يمكنني تدبر هذا الأمر.. إن القاضي الفاضل وابن إياس والقلقشندي وغيرهم قد انتهت أدوارهم.. وعليهم ألّا ينبسوا ببنت شفة في شؤون غيرهم.. عليهم أن يلزموا بيوتهم.. وينتظروا زوجاتهم بعد مغيب الشمس..

عاموس (يصرخ فرحاً) جميل.. رائع، منطق حاذق أيها المحتسب..

إسقاط (٩)

الأمير منطاش ونور الدين..

منطاش كيف يمكن لنا أيها المؤرخ نور الدين أن نعلن شروط المندوب السامي لسكان المدينة؟ كيف يتسنى لنا أن نطرح معظم أراضي المدينة للبيع والاستثمار حتى يتسنى

لنا الوفاء بديوننا لملك الإفرنجة وتحصين القلعة ضد الجفاف والأوبئة؟ كيف يتقبلون هذا، يا نور الدين؟!

نور الدين الأمر في غاية البساطة ياسيدي..

منطاش كيف؟

نور الدين تجتمع بالقاضي الفاضل كبير القضاة وبالقلقشندي شيخ الأعيان، وببعض الصفوة من أولاد الناس من أمثال خليل بن شاهين الظاهري وابن أيبك الدوادار وابن دقماق ثم تطلب منهم أن يبلغوا الناس بتسليم أراضيهم لسلطة القلعة حتى تتصرف ببيعها، أو يقدمون أثماناً بدلاً عنها، ويدفعون المغارم وتضع جميع السبل المتاحة، كالجيش مثلاً، تحت تصرفهم، في حال تظاهر السكان وخروجهم على الولاء، والطاعة..

منطاش **(يبدو أنه استحسن الأمر)**

إسقاط (١٠)

عاموس وبرانكاتشي..

برانكاتشي دخلت عليه بين صفوف طويلة من الخدم والحشم والأمراء، كان جالساً على السرير، وهو منبرٌ من الرخام بصدر الإيوان على هيئة منابر الجوامع إلا أنه يستند إلى الحائط ومغطى بالمخمل الأخضر، وقبل أن أدخل - يا عاموس - نبهني رجال الحاشية إلى قواعد المثول بين حضرته وهي قواعد معقدة لن نعرفها في بلادنا، لعل

أخزاها ضرورة تقبيل الأرض..

عاموس وهل قبلت الأرض يابرانكاتشي؟!

برانكاتشي يقبلها حاشيته، أما أنا فوددت لو بصقت في حضرته.

عاموس وكيف كان وقع النبأ عليه؟

برانكاتشي لم يستفق إلا حين علم مني أن القلعة لن يصيبها شيء، وحينها تنفس الصعداء.. أحالني للتحدث عن الشرط إلى الأمير منطاش ناظر جيشه..

عاموس هو الأنسب في ظني..

برانكاتشي كيف؟

عاموس ستعلم بعد حين..

برانكاتشي وضح لي يا عاموس..

عاموس ضامنة المغابن أو المرشحة لهذه المهمة.. شمس زوجة شيخ الأعيان (**يضحك**) لقد بلع الأمير منطاش الطعم هو أيضاً عن طريقنا صاحبنا المحتسب..

إسقاط (١١)

القاضي الفاضل/ ابن إياس/ القلقشندي/ خليل بن شاهين/ ابن دقماق

ابن دقماق يريدون منا المستحيل..

ابن شاهين يريدون منا أن نقطع أعناق الناس، أن نطلب إليهم تسليم أراضيهم لإدارة القلعة والتصرف فيها أو دفع أثمانها للوفاء بالديون المتراكمة التي جلبها المماليك

علينا جميعاً بسبب الترف الذي تعج به حياتهم في القلعة، ثم يحصنون القلعة بسور شاهق يفصلها عن المدينة..

ابن دقماق ويتركونها وأهلها تواجه المصير!!

ابن شاهين ما الذي يضيرهم إذا كانت القلعة في منجاة من الجفاف؟

ابن إياس وهل كان يربط القلعة بالمدينة سوى الضرائب؟!!

القلقشندي نحن نشكك بأفعال وأقوال هؤلاء الصليبيين، فكيف بنا نعود أدراجنا لدرجة أننا نصدق تنبؤاتهم وأوهامهم..

ابن إياس لقد مر هذا الذي يلقبونه ببرانكاتشي بقبر صلاح الدين بعد مقابلته السلطان الظاهر بن برقوق ووقف على ضريحه.. ثم صرخ بأعصاب منفلتة " ها نحن عدنا يا صلاح الدين ".

الفاضل ياللوغد الحقير..

القلقشندي يا قوم نحن ما اجتمعنا هنا إلا لنبحث عن حل.. لقد طلب مني أن أصدر فتوى بتجريم من لم يسلم أرضه للقلعة..

ابن شاهين ونحن ما طلب منا ليس بالقليل يا كبير القضاة..

ابن دقماق كيف نقنع الناس بدفع المغارم لهذه الأمور؟ يجب أن نفعل شيئاً، نحن هنا من يمثل سكان المدينة، وقد أولونا ثقتهم، فكيف بنا أن نقف ضدهم؟.. هذه خيانة يا قوم، خيانة لا يمكن أن نقبل بها أبداً..

ابن إياس (**بسخرية**) هاه، أتدرون من سيتكفل بإقامة الجدار؟ (**يتطلعون إليه**) المرابي عاموس..

ابن شاهين يا للعيب..

القلقشندي كيف تم ذلك.. أليس لنا رأي ونحن القضاة والوجهاء، كيف سارت الأمور بهذه الصورة.

ابن شاهين ربما كان العيب فينا.. نحن لا نتقن غير الطنين ، والطرق على الهواء..

القلقشندي ما هذا الخرف يا بن شاهين..؟

الفاضل اسمعوا.. علينا أن نبدأ من هذا الذي سميته خرفاً يا قلقشندي.. وسننطلق منه..

إسقاط (١٢)

الأمير منطاش وشمس في جلسة مؤانسة ولهو

منطاش يا حلوة الحلوات أنت، لم أر قط شهداً أعذب من شهدك يا شمس.

شمس آه ما أحلى هذا الكلام، هكذا تشعرني بأن الحواجز تذوب بيننا يا حبيبي يا منطوشي.

منطاش الله.. الله، ما أعذبها من فمك اللذيذ، أتدرين يا شمس؟!

شمس قل يا حبيبي ما في خاطرك.

منطاش لا أتذوق طعم السعادة الحقيقية في القصور..تدرين لماذا؟

شمس لماذا يا عمري؟

منطاش لأنني أشعر أن النساء في القلعة قلوبهن كالثلج باردة متجمدة الأحاسيس..

شمس ربما أثر عليهن الثلج الذي يسوقه خدمكم من الشام يا منطوشي..

منطاش لست أدري..لكنك على كل حال تعوضينني الدفء الذي أحتاجه يا جميلة، دفئيني ببردك أيتها الحبيبة.

شمس **(بدلال وهي تلبسه بردها)** منطوشي..

منطاش مُرِي حبيبتي، تدللي..

شمس لقد مللت تساؤل زوجي ابن إياس الدائم عن تأخري عن البيت..

منطاش هل تريدينني أن ألقيه في السجن بتهمة إطالة اللسان على الزوجة؟

شمس لا تنسَ أنه شيخ الأعيان **(تقولها بسخرية)**..

منطاش وهذا ما يجعله عبرة لأعيانه، فيتأدبون عن سؤال زوجاتهم عن التأخير.. أم أنك تفكرين في مصيره..

شمس لا لا ليس هذا.. أنا أتدلل له وأزدريه في قلبي، لكنني أقصد متى أتحرر من ربقته وأصبح نواة تدور في فلكك أيها الحبيب؟

منطاش ما دام ذلك العقدة القاضي الفاضل هو كبير القضاة وبيده الأمر فلن يتم ذلك، لن يكون إلا بإحداث نكبة عليه أو أن نواجهه بالحقيقة..

شمس ماذا تقصد بالحقيقة؟

منطاش حقيقة علاقتنا ياحبيبتي..

شمس أرجوك لا، لا أريده أن يراني في وضع كهذا، أترجاك لا تفعلها..

(يدخل زوجها القلقشندي والمحتسب)

القلقشندي أيتها الفاجرة اللعينة **(يحاول خنقها لكن يمسكه المحتسب، وتختبئ هي وراء الأمير منطاش)** دعني أشفِ غليلي من اللعينة..

منطاش أنت أبعد عنها الآن من نجوم السماء **(يدفعه فيسقط ثم ينهض)**.

المحتسب تعقل يا قلقشندي ما هكذا تعالج الأمور.. **(وما زال يريد أن يلحقها لكن يمسكه المحتسب)**.

القلقشندي أيتها النذلة الغادرة تغدرين بشرفي هكذا.. هكذا.

شمس طلقني هيا، طلقني إن لم تكن ديوثاً.. طلقني أنا أمقتك وأعشق الحرية، هيا طلقني أيها المفعوص..

القلقشندي أنت طالق مليون مرة.. لا أراني الله وجهك أيتها الغادرة بعد اليوم **(ثم يتوجه نحو الأمير منطاش)** هكذا إذن يا منطاش.. هل غار كل شيء بعد صلاح الدين؟

منطاش من أنت حتى تصل إلى مرتبة تسمعني فيها هذه العبارات الدنيئة؟

القلقشندي أصبحت عبارتي أنا الدنيئة، وأين فعلك أيها الغادر منها؟

المحتسب اهدؤوا يا جماعة..

منطاش قلت لك صه، وإلا زججت بك في السجن.

القلقشندي ليتك تريحني بالموت يا منطاش يا حرفوش..

منطاش أنتم الحرافيش يا أولاد الناس أما نحن فأسيادكم..

المحتسب **(بخبث ظاهر)** يا جماعة - أصلح الله أموركم - ما هكذا تعالج الأمور..أنتما الآن في صعيد واحد؛ فإما تفضحان نفسيكما أمام الناس، وهذا لا تريدانه. وإما دفنتما سركما في هذه البقعة وأنا - والله - لحافظ أمين على سركما..

منطاش يحسب نفسه قادراً على مجاراة أمير له رتبة مئة ألف فارس مثلي..

القلقشندي أمير مئة ألف!! هذه صورة أمير مئة ألف!! والله لأبلغن عنك الظاهر بن برقوق.

المحتسب ثم تجري سيرتك المفضوحة على كل لسان في المدينة، لا يا قلقشندي لا إخالك تفعلها بتاتاً؛ لأنك شيخ الأعيان وإذا عرفوا عنك ما عرفوا فإنك ستخلع من منصبك، وتبقى حقيراً في نظر الناس جميعهم.. فكر في نفسك واهدأ.. فكروا جيداً في مصائركم يا جماعة، وثقوا فيّ جيداً..

منطاش **(وكأنما قد التفت إلى أمر خطير)** أووه يا لغبائي.. لقد وقعت أنا الآخر في الشرك.. **(يمسك المحتسب، فيضيق عليه الخناق)** إذن فقد دبرت لي مكيدة أنا الآخر أيها المحتسب..

المحتسب نحتاج في هذا الظرف إلى مثل هذه التدابير أيها الأمير..

إسقاط (١٣)

الظاهر بن برقوق، ومعه المؤرخ نور الدين والدوادار

الظاهر ولكنني أخشى أن يثور عليّ سكان المدينة، فالأمور تتجه نحو الأسوأ يا نور الدين..

نور الدين اطمئن يا مولانا، ولو تصورنا أن فعلاً كهذا قد يحدث، فسيتم تصنيفه ضمن الأمور الخارجة عن القانون، فهو أمر طبيعي في تاريخ المجتمعات..

الظاهر هل تظن يا مؤرخنا نور الدين أن كل شيء سيسير على ما يرام وأن كبار الأعيان والسكان سيتقبلون أمر تسليم أراضيهم لإدارة القلعة بإذعان وطيب خاطر؟..

نور الدين وما شأن مولانا بقبول السكان أو رفضهم؟ إنما الدولة حاكم ورعية، وأنت - يا مولاي - مَن يقرر مصائرهم ومصير المدينة، أم تريد يا مولاي - عفواً - أن تفتح لهم باباً يدخلون فيه أنوفهم في خصوصيات الملك وإدارة شأن البلاد والرعية؟

الظاهر هذا ما لن يحدث أبداً.

(يهمس الدوادار في أذن الظاهر بن برقوق)

الظاهر ما شأني أنا وهذا العاموس.. ما الذي يريدونه هم أيضاً؟!

الدوادار لا بأس يا مولاي أن تشرفه بلقائكم فهو المتكفل ببناء السور المحصن للقلعة.

الظاهر **(بغضب)** من الذي أعطاه ميزة البناء دون إذن مني؟..

نور الدين برانكاتشي يامولاي هو الذي قدمه للأمير منطاش؛ بصفته صاحب خبرة تاريخية في التعمير وتجارة الأراضي ويملك أدوات متقدمة لمقاولاته لا يصل إليه مستوى أغنى أغنيائنا، ثم إنه - يا مولانا - لا كغيره؛ فهو صاحب عهدٍ وذمة، وربما تستفيدون من أمواله الطائلة ومن علاقاته بملوك الإفرنجة يامولاي، صدقني هي فرصة تاريخية، سارع قبل حكام الممالك الأخرى باغتنامها يامولاي **(تبرق عينيه مع ابتسامة)**..

الظاهر أهذا رأيك يا نور الدين؟!

نور الدين أجل يامولانا.

الظاهر حسناً.. أدخله يا دوادار.

نور الدين وخففوا عليه مراسم البروتكول **(ينظر إليه الظاهر فيبتسم نور الدين في وجهه)!!**

إسقاط (١٤)

المحتسب

المحتسب لقد حدث شيء فوق فهمي.. لكن ما الذي يضيرني إن كان لي في اللعبة دور إذا كان لي في النهاية نصيب..

على الأقل سأضمن أن أكون في جانب الطرف الأقوى..

عليَّ أن أنجز ما طلبه مني برانكاتشي وعاموس.. سيكون المقابل جزيلاً نظير المهام.. والآن عليَّ أن أتنكر كي لا يعرفني أحد؛ فصورة المحتسب محفورة في كل عين بصيرة..

إسقاط (١٥)

الظاهر بن برقوق / القاضي الفاضل / خليل بن شاهين / ابن دقماق

الفاضل يا مولاي ربما تكون تنبؤات ملك الإفرنجة بعيدة عن واقعنا، أو ربما وراءها أغراض ومآرب.. أرجوك أن تنظر في الأمر يا مولاي..

الظاهر **(يدافع باقتناع وغضب)** لا..لا، تنبؤات ملك الإفرنجة لا تكون بعيدةً عن الواقع بتاتاً..

الفاضل ولم لا.. وأنتم تعرفون دخائل الصليبيين وأطماعهم التي منعهم من تحقيقها صلاح الدين؟!

الظاهر اسمع يا كبير القضاة أيها الفاضل، لقد أصدرت أوامري ببناء سور عتيد يحيط بالقلعة مما يحصنها ضد زحف النمل، هذه بلية ابتلانا بها الله، الجفاف سيجتاح المدينة، ملك الإفرنجة لم يحدثنا في كذب قط.. لقد انتهى الأمر..

ابن دقماق هل نستسلم للأمر يامولانا بهذه البساطة..

الظاهر (**حانقاً**) هل تسمي أخذنا للأمور بساطة يا بن دقماق؟

ابن دقماق مولاي السلطان الظاهر بن برقوق، نحن نرى أن الأمر لا يستحق هذا الاهتمام الكبير من قبلكم..

الظاهر (**بغضب**) من أنتم، هاه..من؟

ابن دقماق نحن رعيتكم وخدمكم المخلصون يامولانا..

الظاهر رعيتنا وخدمنا هاه!! أنا لا أعلم رعية مخلصة تعارض رأي حاكمها أبداً..أبداً..

ابن شاهين حاشا لله يا مولاي أن نكون قد عارضناك في شيء من الأمر إنما..

الظاهر إنما ماذا ابن شاهين؟ أنتم كبار الأعيان وإليكم يستند الأمر، فإذا كانت نفوسكم تتعالى على أوامري، فكيف حال الرعية العامة؟

ابن دقماق عفوك يا مولاي، إنما دفعنا إلى لقائكم هو إقناعكم بأننا سنقف صفاً واحداً متراصاً لمواجهة الجفاف.. سنبذل أموالنا وأنفسنا في سبيل دفع الجفاف عن مدينتنا..

ابن شاهين وسنكون درعاً واقياً للقلعة من الجفاف بدلاً من السور الذي تزمعون إقامته حول القلعة.

الظاهر (**بسخرية**) هاه ما الذي تستطيعون فعله إذا نضب النيل..وزحف النمل من الجثث النخرة إلى القلعة؟

الفاضل لا ينضب النيل أبداً يا مولاي.. ولذلك فلن تكون جثث ولن يزف النمل.

ابن شاهين ونحن على استعداد أن نعزق الأرض وأن نبذل الأموال حتى لو كلفتنا ضربة الفأس الواحدة ديناراً بحاله..

نور الدين **(مقاطعاً)** اسمح لي يا مولاي..أود أن أطلع القوم على حقيقة قد يجهلونها؛ وهي أن هؤلاء الإفرنجة لا يتحدثون عن وهم ولا يتنبؤون عن خيال. ولهذا وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عمران..الجفاف سيشري في عروض المدينة وحينها سيتدفق النمل من جسدها نحو القلعة والنمل.. أنصتوا لدبيب النمل ياجماعة!!

الظاهر ليت لكم آذاناً كمؤرخنا نور الدين..

إسقاط (١٦)

ابن إياس وهو في نافذة القلعة يكتب..

ابن إياس كما أن سلسلة المجاعات والأوبئة الناجمة عن قلة المحاصيل الزراعية في أغلب الأحوال قد أخلت بالبناء الاجتماعي، بالرغم من جريان نهر النيل في أعلى منسوب، على حين ازدادت بعض فئات التجار وموظفي القلعة ثراء من جراء تحكمهم في النظام المالي والضريبي، أو احتكارهم لبعض البضائع، ولا سيما الغلال..

المرحلة الثالثة

" سريان الوهم "

إسقاط (١٧)

ابن أيبك التغري مع زوجته خديجة، مشهد متقلب بين الفرائحية والمأساوية

مندوبو النهر منسوب النهر ١٢ قدماً.

خديجة (**تجري نحو زوجها فرحة**) النهر، النهر، يعود من جديد إلى منسوبه.

مندوبو النهر ٩أقدام.

خديجة (**تتراجع، تتأسى**).

مندوبو النهر ١١ قدماً.

خديجة (**تجري بقوة**) تشبث بيدي يا بن أيبك قبل أن يصيبنا الجفاف (**وقبل أن تصل**).

مندوبو النهر ٥ أقدام.

خديجة (**تنهار.. تسقط**) كفى..كفى.

مندوبو النهر(أصداء مندوبي النهر وهم يبتعدون) النهر خمسة أقدام (يكررون).

خديجة (سارحة يبين الأسى في حركتها التعبيرية، تنظر إلى ابن أيبك) لماذا النهر يا بن أيبك؟

ابن أيبك لأنه لا شيء آخر سوى النهر.

خديجة لماذا يجف النهر يا بن أيبك..

ابن أيبك (بغضب) النهر.. النهر.. لو كان لنا شيء آخر غير النهر لما استطاع هؤلاء المرتشون مندوبو النهر أن يجولوا في سكك المدينة.

خديجة أية آمال هذه التي تتأرجح ما بين طرفي عصا النهر؟

إسقاط (١٨)

عاموس والمحتسب

عاموس بدأ الجفاف يسري في المدينة - يا برانكاتشي - المدينة بدأت تأخذ طابعاً آخر..

برانكاتشي هؤلاء القوم - يا عاموس - يمكن ربطهم بفكرة ما، بهذه الفكرة يمكن أن تقودهم إلى أربع جهات الدنيا، إن عقلهم غريب وغامض، غني وغني أكثر بالانخفاضات والارتفاعات[1] (يضحكان بسخرية).

(١) هذه المقولة لتوماس إدوارد لورنس.

عاموس بدأ السور يطوق مساحات واسعة من القلعة.. لقد كان للمحتسب دور بارز في تصوير المشهد، ثلاثة عناصر مهمة بضربة واحدة، شيخ الأعيان القلقشندي وقد كشف خيانة زوجته شمس، والأمير منطاش وقد فضح معها، وشمس التي ألقت قناعها لتبهر الجميع بقوة الضياء المكنون في مواهبها..

برانكاتشي أما القلعة فدعها لي فأنا اللاعب الحقيقي فيها..

إسقاط (١٩)

الأمير منطاش / المحتسب / شمس

منطاش لقد أوكل إلي يا مولاي الظاهر بن برقوق أمر دفع الجفاف عن القلعة، وإقامة سور حولها يحصن أمراء المماليك من الجفاف والوباء والنمل..

المحتسب مُرْنا يا ناظر الجيش ونحن طوع يمينك..

منطاش الجباية.. الجباية يا محتسب افرضها على الحوانيت والدور والبساتين وحجارة الطواحين وصهاريج الماء، فنحن نحتاج إلى مبالغ باهظة لإقامة السور ومخازن الغلال داخل القلعة، كما نحتاج إلى وفرة المواد الغذائية كالسكر والأرز والتوابل والزيت والشمع، ولا تنسَ ضرورات الراحة يا محتسب..

المحتسب **(بخبث وتمسكن)** لكنهم لا يطيقون رؤية وجهي في الأسواق يا سيدي.. فقد أمسكوني في المرة السابقة في

سوق الهمازين، ومرة أخرى في سوق السلاح وأنا فوق حماري وصبوا علي المياه الوسخة، ثم ضربوني بعصيهم الغليظة..

منطاش حسناً فقد نكلوا بأنفسهم.. منذ اليوم سترافقك فرقة مدرعة تحميك من أذاهم، أريدك أن تسحب الجباية من عروقهم.. أما أنت - يا شمس - فقد يبزغ لك نجم جديد منذ أن تحررت من القيود.. منذ هذا اليوم ستكونين ضامنة المغابن.. أجل ضامنة المغابن، وستساهمين في توفير دخل آخر للقلعة تنزعينه من الغواية والخطيئة.. بما قدر فيك من طاقة مكنونة أيتها الجميلة..

شمس **(تنتفض)**

منطاش ما بك يا شمس؟

شمس شعرت بقشعريرة بسيطة.. أحس أن حلقي جاف، أريد ماءً.. أحس أن الماء قد نضب من عروقي.. أشعر بسخونة يا منطاش.. كأنني في صحراء قاحلة، كأن قشرة أخرى تتلبسني، أحس بروحي كالفراشة تضطرب في جدران يابسة صمَّاء.. أشعر بالعطش، النار تلتهم أحشائي، إنني أنصهر في لهيبها.. الماء.. الماء **(تصرخ)** الماء.. أشعر بالعطش.. الماء..

منطاش/المحتسب (يوقدان لها النار وهما يبتسمان).

إسقاط (٢٠)

القاضي الفاضل، مع خليل بن شاهين كبير التجار، وابن إياس وابن دقماق..

ابن شاهين (**وهو منفعل**) الهلع والرعب يسيطر على سكان المدينة.. هناك من يبث المخاوف في طرقات المدينة وشوارعها..

ابن إياس إنهم مندوبو النهر.. يصدرون أصواتاً على غير عادتهم، أصواتاً تثير الخوف والهلع، لقد تحولوا إلى أجسام غير بشرية..

الفاضل أين القلقشندي لنستطلع رأي الأعيان منه؟

ابن شاهين لم نره منذ يومين..

ابن دقماق هناك أمر خطير وجسيم يجب أن ننتبه له..

الجميع ماذا تقصد..؟

ابن دقماق ضامنة المغابن..

الجميع ضامنة المغابن؟!

الفاضل ماذا تقصد بضامنة المغابن يا بن دقماق؟

ابن دقماق أقصد البلية الكبرى..

ابن إياس أوضح.. شغلتنا بأمر هذه..

(يكون القلقشندي وراءهم دون أن يروه، ولكنه سرعان ما يخرج بعد أن يكون قد سمع كلام ابن شاهين)

ابن دقماق إنهم يعولون عليها كمصدر من مصادر الضرائب للقلعة، إن مكانتها تتنامى لدى الأمير منطاش والمماليك..وهي تقترب بخطوات ثابتة من عرش الظاهر..

ابن شاهين إذن فعلينا أن نتخلص منها..

ابن دقماق لا لا، لن نرتكب حماقات يا بن شاهين.. حينها سينصب لها تمثالاً..

الفاضل لا حول ولا قوة إلا بالله.. اسمع يا بن شاهين، بصفتك كبير التجار، أطلب منك أن تطلب من جميع التجار اجتماعاً في بيتي حتى أطرح أمامهم حلاً إن كان فيهم غيرةٌ على بلدهم..

ابن شاهين أية فكرة أيها الفاضل؟

الفاضل الوقف.. فكرة الوقف يا بن شاهين؟

إسقاط (٢١)

القلقشندي وحده وهو يعاني من الفضيحة التي ألمت به..

القلقشندي (**صوت داخلي بصدى**) أنا من يجب أن ينهي هذا النبت السام لأنه نابت من عروق تربتي، يجب عليَّ أن أتخلص وحدي منها.. حتى أنفض غبار الفضيحة عني.. يا ربي إنها قادمة (**تنتابه قشعريرة**) لمَ لا أتمالك نفسي

من هذه القشعريرة المريرة، من ذلك الذي تستند عليه، علي أن أختبئ ثم أفاجئها بطعنة خاطفة.. ها هما اقتربا.. **(يختبئ)**

(تدخل شمس وبرانكاتشي..)

برانكاتشي إنك تملئين الطرقات ضياءً حتى لتستغني به عن ضوء البدر في اكتمال وجهه..

شمس أنت رائع يا برانكاتشي في أوصافك دائماً.. لا أسمع هذا الكلام المعسول..

برانكاتشي إنهم يبخسونك قدرك يا شمس.. لكنك الآن تسطعين في سمائهم شيئاً فشيئاً، وحينها ستكونين العين الناظرة لنا أيتها الحلوة.. والآن فقد تأخرنا قليلاً على عاموس، لا شك أن الأمير منطاش قد سبقنا إليه..

شمس إذن فعلينا أن نحث الخطا إليه..

القلقشندي **(بعد خروجهم، يخرج القلقشندي من مخبئه)** كم أنا عاجزٌ ومشلول، ما الذي صيرني لهذا الحال..؟ كم مرة حاولت أن أخرج من مخبئي كي أفتك بها فأشفي غليلي.. آه يا للغبن الذي ينتابني **(يبدأ في الهلوسة)** آه يا ويلي، كيف أصبحت.. كيف أصبحت أيتها اللعينة.. عرفت الكلاب من أين تعضني.. لماذا صرت أنا الضحية الأولى؟ لماذا لا أكون ضحيتهم الأخيرة؟ ألأن سكان المدينة هم أول ما يتلفهم الجفاف.. آه الجفاف.. أشعر بقشعريرة الجفاف في أوصالي، أشعر بالتصحر في

حلقي، حلقي جاف لا ريق فيه، أشعر أن جسمي خال من أية قطرة ماء كآنية فخار مفلوقة.. الجفاف..أشعر بالنار، أتلوى..أحترق، النار تلتهمني، الجفاف، حلقي، الماء، أعضائي.. آي.. آي (**يصرخ**).

إسقاط (٢٢)

الأمير منطاش وعاموس وبرانكاتشي والمحتسب وشمس

عاموس (**وهو يهدي إليه حمامة من ورق داخل إطار زجاجي، بخبث مصطنع**) أرجو أن تعتبر هذه الحمامة المصنعة من الألماس عهد مودة وصداقة، أرجو أن تحملها مني يا ناظر الجيش إلى مولانا الظاهر بن برقوق.

شمس يا لهذا الوميض اللامع من بريقها..

عاموس إن هديتك ليست بأقل من هذه..

المحتسب (**بمكر**) يبدو أنها كلفتك مبالغ باهظة ياعاموس..

عاموس من يريد الأغلى فعليه أن يبذل الغالي في سبيله يامحتسب، أنت تعرف هذا. إن الهدايا تقرب القلوب وتكسر جدران التكلف بين الناس..

منطاش أشكرك يا عاموس.. وسأحمل هديتك إلى الظاهر بن برقوق، سيعجب بها كثيراً فهو يحب الهدايا خاصة تلك اللامعة البرّاقة..

عاموس (**يضحك بخبث**) بقي مطلب لا يتعدى حجم قمة الخنصر أيها العزيز (**ينظر إلى المحتسب**).

المحتسب تود شمس أن تحظى بشراء الأراضي الواسعة التي ستطرحونها للبيع..

(شمس مندهشة لكنها سرعان ما ستفرح للفكرة، في حين يضحك الأمير منطاش)

منطاش فكرة رائعة!! أليس كذلك؟! إذن فقد أبيتم على شمس إلا أن تشرق في مساحة واسعة جداً من الأراضي.. حسناً فمن أين لها بالمال؟..

برانكاتشي لا تكترث أيها الأمير منطاش لهذا الأمر..

منطاش (**بلهجة الرافض**) لكن لجنة الوقف هي المخولة بالنظر في الأمر..

شمس لم يعد لها تلك الصلاحية منذ أن عزل القاضي الفاضل.

منطاش لا أستطيع أن أفصل في هذا الأمر..

عاموس ماذا لو تحدثنا عن نصيبك في البيع..

منطاش ربما يمكننا حينها أن نجد مخرجاً مناسباً لذلك!!..

إسقاط (٢٣)

الفقهاء الثلاثة ترى ظلالهم على الجدار أو من وراء ساتر شفاف وتسمع أصواتهم فقط..

فقيه١ نعود إلى الموضوع الهام الذي كنا نناقشه يا علماء؛ أنا

أرى أن الذبابة إذا سقطت على جناحها الأيمن فيجب أن تغمس في الشراب لتصبح دواء.

فقيه٣ وأنا أرى أنها يجب أن تسقط على جناحها الأيسر.

فقيه٢ أنا أقول الأيمن.

فقيه١ وأنا أقول الأيسر.

فقيه٢ بل الأيمن.

فقيه١ لا بل الأيسر.

فقيه٣ يا شيوخ.. يا شيوخ، ما هذه الضجة المفتعلة حول الأمر.. هل تريدون إضحاك الناس علينا هاه.. **(صمت)** أنا أرى أن الذبابة إذا سقطت على مؤخرتها في الشراب ولم يلمس أحد جناحيها الشراب أثناء سقوطها فإنه وجب أن تكون هي المقصودة هنا أن في أحد جناحيها الداء وفي الآخر الدواء..

إسقاط (٢٤)

الظاهر بن برقوق، الدوادار، نور الدين، القاضي الفاضل، ابن شاهين، والحمامة التي أهداها عاموس على جنب ظاهر..

الفاضل لقد قلَّبنا الأمر - يا مولانا - على جميع وجوهه، ورأينا أن الأرض يجب أن يستغلها أصحابها ولا يجب أن تمنح لغريب ليس من جلدتنا.. ولهذا فقد اجتمعت أنا وخليل بن شاهين كبير التجار بجميع التجار في المدينة

وأجمعوا على استعدادهم لشراء الأراضي التي كانت في الأصل أوقافاً للبلاد بأموالهم، ثم جعلها وقفاً لمساندة البلد في فترة الجفاف القادمة..

الظاهر وماذا بعد؟

الفاضل نجعل الوقف لا يقتصر على الأراضي الزراعية فحسب، بل يشمل القصور.

الظاهر **(يضحك بسخرية فيهتز بحاله)** القصور!!

الفاضل والأسواق والحوانيت والحمامات والأفران ومصانع الصابون وغيرها مما يمكن أن يدر مورداً منتظماً، بدل أن نساهم بغمس أيادي الطامعين في خيراتنا الخصيبة..

الظاهر **(يضحك بسخرية ولا يزال يردد)** القصور..!!

نور الدين الكلام عن جعل القصور ضمن الأوقاف فيه ما فيه من الشر المبطَّن..

الظاهر **(يضحك بسخرية ولا يزال يردد)** القصور..!!

نور الدين هذا أمر.. أما الأمر الآخر فالمشتري للأراضي مواطن من أولاد الناس..

ابن شاهين من هذا الذي يمتلك تلالاً من الأموال ليشتري ما طرحتموه من أراضٍ خصيبة..

الدوادار المواطنة.. شمس.

ابن شاهين شمس!!

الفاضل من أين حصلت على الأموال أيها الدوادار..؟

الدوادار يهمنا المال وليس الطريقة، لسنا مسؤولين عن ذلك، ولن نعمل على أن نبعث العيون لنعرف حقيقة الحصول على الأموال.. ما يهمنا أنها ستتدبر المال.. كما أنها واحدة من بني جلدتكم.. وقد كان اعتراضكم على الغريب، فعلامَ اعتراضكم الآن؟..

الظاهر **(يضحك بسخرية ولا يزال يردد)** القصور..!!

إسقاط (٢٥)

المؤرخ ابن إياس وهو يكتب..

ابن إياس ولم تكن قلعة الجبل ترتبط بالمدينة إلا عن طريق الضرائب، أما سلطة القاضي الفاضل فقد ضعفت وانحطت في زمن الظاهر بن برقوق بعد أن اعتمد صلاح الدين عليه ووثق به وعهد إليه بكثير من الأمور..

المرحلة الرابعة

"النبوءة.. تتحقق"

إسقاط (٢٦)

الأمير منطاش، القاضي صفي الدين، المحتسب وهو منكب على رأسه مقيداً وفوقه جنديان (جندي١، جندي٢) أصوات كعب ضامنة المغابن، وهي تنزل من الدرج..

شمس (**تدور حول المحتسب ثم ترفسه برجلها**) كيف تجرأت أن تقتحم داراً من دوري أيها الغبي المستهتر؟

المحتسب بالخطأ.. بالخطأ ياسيدتي شمس.

شمس (**ترفسه**) بالخطأ أيها الحقير (**ترفسه**) بالخطأ..بل قل سولت لك نفسك، وأردت أن تتحداني، تتحداني أنا شمس.. شمس التي تعتمدون عليها يا منطاش (**تنظر إلى منطاش**) في سداد ديونكم وفي بناء السور الذي تحصنون به قلعتكم ضد النمل.. بعد هذه الفعلة النكراء من هذا المحتسب هل تريدون يا منطاش أن أتخلى عن واجبي وأدع لكم مصيراً مظلماً.. قل لي بالله عليك:

كيف يمكن لكم أن تستمروا في عيشة الرفاهية والأبهة في القلعة حينما يجتاحكم الجفاف؟ هل تريدون أن تقفوا مع العامة في طوابير الأفران؟ قل يا منطاش..

منطاش لا بالطبع ياست الكل، ولكن..

شمس **(مقاطعة)** حتى وصل بكم الأمر أن تجلبوا الثلج من الشام لتبريد الماء زمن الحر صيفاً، هل تريدون أن تتخلوا عن حياة الإسراف والبذخ التي تعيشونها داخل القلعة يا منطاش؟

منطاش مستحيل.. مستحيل يا ست الخلق؟

شمس وهل تريدون أن يحاصركم الجفاف وينهشكم النمل من كل ناحية؟

منطاش بالطبع لا.. لا يا شمس.

شمس إذن لماذا تطلقون يد القاضي الفاضل دون أن تصدوها عن مصالحكم؟!

منطاش ما الذي تريدينا أن نفعله يا شمس؟!

شمس تولون رجلاً غيره.. **(تنظر إلى صفي الدين، ويبتسم لها هو طمعاً في المنصب)** قل لي يا صفي الدين: من الذي أفتى منكم بعدم جواز قصر الثياب، وأنكر على النساء ضيق ملبوسهن، وخروجهن الطويل من البيوت، وحرم تجوالهن في أماكن اللهو والفرجة..

صفي الدين **(بتخانع وتصنع الطاعة)** الفاضل.. أجل القاضي الفاضل كبير القضاة يا ست الكل..

شمس سمعت يا منطاش.. إذن فنحن محاصرون، محاصرون بكبير قضاتكم هذا..كفوا أيديه عنا حتى نستطيع أن نجبي لكم الضرائب يا ناظر الجيش!

منطاش افعلي ما شئت ولن يعترض طريقك بعد اليوم أحد ياست الناس..

إسقاط (٢٧)

القاضي الفاضل / خديجة وهي مذعورة

خديجة لقد حاول المحتسب وجنوده التحرش بي ياسيدي، إنهم يعيثون في الأسواق فساداً، يخطفون أولاد الناس وسط الزحام، أرجوك يا سيدي القاضي، زوجي ابن أيبك في السجن، افعل شيئاً لإطلاق سراحه.. أرجوك..

الفاضل لقد بعثت في أثره بعد أن تقدم إلي الكثير من جمهور الناس من أمثالك.. هاهو قادم.. سأنال منه، سأعزله أمامك..

(يدخل عليه المحتسب برفقته الجنود الثلاثة)

الفاضل أخبرني أيها الحقير هل جعلتك في منصبك هذا لتبتز الناس، وتتحرش بالنساء، وتغتصب أموالهم، أم لتشرف على السوق والباعة وتكون مسؤولاً عن الأسعار والموازين والمكاييل فيها؟!!.

المحتسب لا يحق لك أيها الفاضل أن تخاطبني بهذه الصورة.

الفاضل لماذا؟ ألست مسؤولاً عنك أيها الرجل؟

المحتسب كنت..

الفاضل كنت!! ما تقصد؟!!

المحتسب أقصد أنني خرجت من ربقة القضاء إلى ربقة العسكر، أي إنني أصبحت تحت تصرف الأمير منطاش وهو الذي أمرني أن أفعل ما فعلت، المال والقضاء انتقلا منك إلى ناظر الجيش، فهمت، ولولا ما بقي فيّ من حياء لأمرت هؤلاء الجنود أن يقتادوك..

خديجة ما الذي تلغو به أيها المنافق.. أهكذا تخاطب أكبر قضاتنا أيها المحتسب؟ ألم يبق فيك إلٌّ ولا ذِمّة..؟

الفاضل أنا الذي آمرهم أن يقتادوه إلى السجن أمامكِ **(للجنود)** خذوه للسجن.. **(صمت)** قلت لكم خذوه؟!

جندي٢ بالطبع لا تريد أن تجني على نفسك يا سيدي..

الفاضل غيبوا من وجهي أيها المنافقون، غيبوا.. **(يخرجون)** يالفظاعة الأمر..

خديجة يا للمصيبة كيف يمكن أن يمسي كبير القضاة بهذه الصورة، كيف؟ **(يدخل مسعود خادم القاضي الفاضل مهرولاً)**

مسعود سيدي..سيدي، لقد رفعت أحكامك وفتاويك يا سيدي.. لقد عزلت من القضاء..

(ظلال مندوبي النهر.. تتداخل أصوات مندوبي النهر مع أصواتهم:

نهر النيل يجف والنمل على الأبواب، نهر النيل يجف والنمل على الأبواب، يتكرر)

إسقاط (٢٨)

القلقشندي، ابن إياس، ابن دقماق

القلقشندي **(وقد تصوّف وتدين وطالت لحيته وانزوى في ركن معين، كأنما أصابه الهبل والجنون)**. يقول بعض العارفين: إنك يجب أن تصعد بالخلوة، وأن تكتشف الوجد بعد معاناة مريرة، ورحلة وعرة..

ابن إياس يا قلقشندي، لقد عزل شيخنا القاضي الفاضل من منصب كبير القضاة.. ولهذا يرى شيخنا أنك أفضل من يحمل رسالته إلى حكام الأقاليم المجاورة للنجدة..

القلقشندي إن النفس إذا أصابها الغرور عمت عن الحقيقة، والعبد لا يرى ذلك لأنه فقير مسكين..

ابن دقماق حسناً سأقوم أنا بهذه المهمة، أما أنت فعليك أن تجمع الأعيان كما هي عادتك على كلمة واحدة..

القلقشندي متاع قليل، أما وجهه فدائم، ولا أزال في بداية الرحلة، أغثني أيها المحبوب لأصل إلى طرف من جلباب عطفك..**(يدخل في همهمة غير مفهومة، بصوت أخفض)**.

ابن دقماق لا فائدة ترجى منه.. فما مر عليه من خطب ليس بهيِّن..

ابن إياس لقد وجدوا في شمس ضالتهم..

ابن دقماق علي أن أرتحل إلى أمراء الأمصار، أما أنت يا بن إياس فعليك أن تبحث عن ابن شاهين الذي بدأ يتغيب عن جلساتنا هذه الأيام!!

إسقاط (٢٩)

عاموس..

عاموس آه منك أيها الوهم.. حينما تسيطر على النفس تعمي بصرها، فلا تعود ترى شيئاً سوى ما خيِّل لها.. ها هو جدار القلعة يوشك أن ينتهي والقوافل تترى على القلعة لتخزين المؤونة، وكأني أرى المدينة كجسد تلوح به الرياح في حين أن رأسه قد صب في جبل كأنما هو صخرة فيه.. كل شيء يتجه نحو الجفاف، كل شيء،..لا تحتاج المكيدة في هذه الأصقاع كبير عناء، ولن يضير الأسماع هدير النيل، فقد أصبح ذلك في تخيلاتهم، في حين يقوم مندوبو النهر المرتزقون بالدور المناسب.. أووه من هذا القادم.. أكاد أرى ابن شاهين قادماً نحوي.. يا لك من قنَّاص ماهر يا برانكاتشي تعرف من تختار في كل رحلة من رحلاتك.. حسناً لابد أنه يريد أن يحظى بصفقة مناسبة قبل أن يكتمل الجدار وعليَّ ألّا أخيب ظن ابن شاهين..

إسقاط (٣٠)

المؤرخ نور الدين والأمير منطاش

نور الدين حسب الاتفاق معهم ستحظى بالدعم من ملك الإفرنجة، ولدى موثق من برانكاتشي. أنت ترى بأم عينيك أن ما تم اتخاذه من إجراءات الجباية وبيع الأراضي لمصلحة شمس وعزل القاضي الفاضل قد أضر بمصداقية السلطان الظاهر بن برقوق عند العلماء والوجهاء والأعيان وأولاد الناس، لقد تم جمع الأموال اللازمة للوفاء بديون ملك الإفرنجة بعد بيع الأراضي لشمس. وعليك أن تكون أنت في الواجهة أمامهم. هو الآن لا أمر له ولا نهي، وحينما يطوق السور القلعة سيختفي أثر الظاهر بن برقوق..

منطاش آه من دهائك وفطنتك يا نور الدين.

نور الدين تجارب عديدة أيها الأمير مررت عليها (**يأخذ نفساً عميقاً**) أحداث وأحداث أيها الأمير، ولكن خرجت منها كالشعرة من العجين..منها أنني قمت بمراسلة أمير بجاية أبي عبد الله الحفصي في سجنه على أن أعمل على خروجه من السجن..

منطاش بأي ثمن كان ذاك؟..

نور الدين **(يتردد ثم يجيب واثقاً)** نظير منصب وزاري.. بالطبع هذا لا يساوي شيئاً مقابل خروجه!!

منطاش لكن المؤامرة كشفت، وأمر السلطان المريني بالقبض عليك وإلقائك في السجن..

نور الدين **(مندهشاً مع شعور بالخوف)** كيف عرفت؟!

منطاش هذه أمور لا تخفى على أحد يا نور الدين..

نور الدين على كلٍّ أفرج عني على يد الوزير الحسن بن عمر بعد وفاة السلطان..

منطاش وتريد أن تكرر الحكاية هنا يا نور الدين، أليس كذلك..؟

نور الدين لكنني استفدت كثيراً ياسيدي من تجاربي وسأكون حاجبك المطيع إن شئت إكرامي..

منطاش علينا الآن أن ندفع الأموال لمندوب الشرق السامي برانكاتشي، ونعاين أعمال السور، لم يتبق على المهلة إلا وقت يسير..

إسقاط (٣١)

القاضي الفاضل يتحدث مع نفسه.. أصوات مندوبي النهر تتعالى: النمل على الأبواب والنهر يجف (يتكرر بإيقاع) وهو يتلفت يمنة ويسرة ويدور حول نفسه.. تخرج إليه شمس في صورة تخيل.

شمس (وهي **تضحك ضحكات مجلجلة**) يا للمسكين (**تشير إليه بإصبعها**) صحيح أنك مسكين.. كيف يمكن لك أن تقاوم، المدينة تنهار أيها الفاضل وأنت وحدك..

الفاضل لا لست وحدي.. لست وحدي معي الحق.. الحق.

شمس (**تضحك**) الحق.. دع هذا الحق يحميك من الجفاف، لُذْ بالقلعة واطلب حمايتها، ستظل كبير القضاة.

الفاضل خرافة.. لا أريد أن أعيش الخرافة.

شمس أتظن أن بقية صلاح الدين فيك تنفعك؟ هاه؟ (**بسخرية**) أنت مخطئ يا كبير القضاة المعزول، مخطئ.. (**ثم بغضب وتهديد**) اسمع إن أصررت على اعتراض طريقي (**وهي تحمل حبلاً تتطوقه على رقبته**) سأقطع عنك نفسَ الحياة، ومن يقطع عنه نفس الحياة يموت (**تضحك، وقد طوقته على رقبته وهو يحاول أن يزيحه. فترة إظلام بسيطة تختفي فيها شمس. ثم يضاء موقعه وهو يصرخ وكأنه يحاول التخلص من الحبل وهو غير مستدير على رقبته، يدخل عليه خادمه مسعود**).

مسعود سيدي.. ما بك يا سيدي؟

الفاضل الحبل يا مسعود.. الحبل يطوقني (**وهو يتنفس بصعوبة**).

مسعود (**يتلفت مسعود ليبحث عن الحبل**)

الفاضل الحبل هنا يا أبله..

مسعود لا يوجد حبل يا سيدي.. أنت تتخيل.

الفاضل (وكأنه يستفيق) لا يوجد حبل!! أتخيل!! آه.. ياللفاجعة يا مسعود.. تصورت أن حبلاً قد استدار على رقبتي يا مسعود، انظر أين وصل عقل سيدك..

مسعود لكنهم بدؤوا في مصادرة الأراضي من السكان وبناء السور.. ورأيت ياسيدي أفواجاً من الحمالين يسوقون المؤن المختلفة إلى القلعة، لقد بدؤوا يفرغون مخازن التجار في السوق لينقلوا ما فيها من مؤنٍ إلى القلعة..لم يعد لدى السكان شيء يقتاتون به، الأرض التي كان السكان يرتزقون منها صودرت..

الفاضل والنهر - يا مسعود - النهر؟

مسعود يقول مندوبو النهر بأنه قد نضب..

الفاضل وهل أبصرته بأم عينك؟

مسعود هذه مهنتهم يا سيدي، وسكان المدينة يصدقونهم، هؤلاء لا يكذبون إطلاقاً، لا يشغلك الظن عما يجب فعله ياسيدي..

الفاضل استدع إليَّ خليل بن شاهين وابن إياس وابن دقماق، ثم اذهب واستكشف خبر النهر، ألق نظرة ملية عليه وتعال إلي بالخبر اليقين..

مسعود على الفور ياسيدي..

إسقاط (٣٢)

عاموس وخليل بن شاهين وقد فرغا من توقيع موثق بينهما..يتحدث مع نفسه

ابن شاهين لم لا.. من يفكر في الآخر، يتشدقون في النهار بمعاداة برانكاتشي وعاموس، وفي الليل يغصُّ بهم بيت عاموس.. أجل، وحين يجتاح الجفاف المدينة تظهر أموالهم التي ادَّعوا منحها لأموال الوقف فجأة.. ماذا سيكون حالي عندها وأنا كبير التجار حتى اللحظة؟

عاموس ستصبح شحَّاذاً يجوب الزقاق في طلب رغيف يابس..

ابن شاهين **(مواصلاً في حديثه لنفسه دون أن ينتبه له)** تباً للمُثُل، لتذهب أدراج الرياح.. لكنني لن أدع ثروتي تذوب كالملح في الماء.. الماء.. **(يتحسس حلقه)** أشعر أنني بحاجة إلى الماء، أشعر بجفاف الريق في حلقومي، أحس قشعريرة غريبة تسري في جسدي، وكأنني في صحراء قاحلة، كأنما النار تشتعل في جسدي، يا للحرارة، الجفاف يمتص كل قطرة في حلقي.. النار، الجفاف، النمل.. الماء، الماء.. **(يصرخ)** الماء..

إسقاط (٣٣)

شمس ومسعود وخديجة

شمس أنا من يستطيع أن يعيد إليك زوجك أيتها الحسناء الجميلة، وأجعل لك مكانة في القلعة في وقت يندر فيه المكان لأولاد الناس من أمثالك..!!

خديجة لن أقع في فخك كفراشة حائرة يبهرها الضوء، ما زلت أتمتع بقوة بصيرة وعزيمة، سأبذل كل ما في وسعي لأصل إلى الظاهر بن برقوق وحين يخرج زوجي من السجن سنمضي إلى أية قبلة من هذه الأرض الواسعة..

شمس في اللحظة والتو أنا أوصلك إلى الظاهر بن برقوق.. وافقي على شرطي، أنت حسناء وحرام على حلوة مثلك **(وهي تلامس خد خديجة)** أن تذبل ورود وجناتها تحت وهج الصبر المر والحزن المقذع..

خديجة لن يطول أمر سجنه، لا شك أن سجانيه يتبادلون معه الطرائف والقصص البهيجة، أكاد أتخيله في السجن وهو يمازح الحراس في أزهى ملبوس وينادمهم، من قال إن كيساً يوضع على رأسه ويعرى جسده للكلاب.. إن مواقف كهذه لم تتفتق عنها أذهان البشر بعد..!!

شمس (**تضحك شمس**) قل لها يا مسعود كيف هو حال زوجها فأنت سجَّانه..

خديجة أوَلستَ خادم القاضي الفاضل يا مسعود..

مسعود تقصدين المعزول يا خديجة.. تأملي في الألفاظ!!

إسقاط (٣٤)

ابن دقماق وهو يحمل رسالة إلى حاكم الولايات الشمالية للنيل / الحاكم وهو نفس شخصية الظاهر بن برقوق سلطان المماليك / المستشار وهو نفس شخصية ابن خلدون، وشخصية أخرى هي نفس شخصية عاموس.. والشخصيات الثلاث تعطي ظهرها للجمهور، بينما يخاطب ابن دقماق الحاكم..

ابن دقماق لقد أرسلت إليكم يامولاي حاكم الولايات الشمالية للنيل من قبل كبير القضاة في القاهرة القاضي الفاضل، المقتدي بسيرة صلاح الدين لأبلغك أن الظاهر بن برقوق قد أفلت زمام الأمور من يده، وأنه استسلم لنبوءات تافهة من ملك الإفرنجة، وأنتم تعلمون - يا مولانا - أطماع هؤلاء الإفرنجة، ولكنهم لم يكونوا ليرفعوا رؤوسهم في عهد صلاح الدين فكسر شوكتهم، وحطم آمالهم، لقد رأينا بأمهات أعيننا - يا مولاي - سفنهم ترسو على السواحل في الضفة الأخرى، وهي ذات السفن التي جاؤونا بها بقصد الاستعمار، جاؤوا اليوم بملبوس آخر دخلوا علينا بألعاب خيال الظل،

والمنشورات الفاضحة، ثم دعموا عاموس ليصبح وكيلهم في الشرق، وتنبؤوا - يا مولاي - بجفاف النيل.. ويدفع الأهالي المغارم مكرهين من أجل تسوير القلعة، ثم صودرت أراضيهم التي يعتاشون من ورائها.. أرجوك - يا مولاي - وأنت صديق حميم للظاهر ثم تربطك به أواصر الدين واللغة والتاريخ، أن تنقذنا مما آلت إليه أمور البلاد والعباد..

(يلتفت إليه الحاكم وهو ذاته الظاهر بن برقوق، كما يلتفت إليه نور الدين، وعاموس).

الحاكم/ الظاهر تنبؤات ملك الإفرنجة لا تكذب مطلقاً أيها الرسول!!

إسقاط (٣٥)

خديجة وهي تتحدث أمام عرش الظاهر بن برقوق، وهو عبارة عن كرسي كبير به ستارة لا يرى داخلها المتسع.. ظناً منها أن الظاهر تحجبه الستارة عنها..

خديجة **(وهي ترتعد خوفاً ولا تكاد تتمالك نفسها في وقوفها)** وظللت أيها السلطان الظاهر بن برقوق أنتقل بين أصحاب المناصب والنفوذ، أسألهم أن يطلقوا سراح زوجي.. زوجي مسكين أيها المبجل، أقسم بالله أنه لم يفعل شيئاً، ربما قال: إن خيول الملك ترعى في غلاله، ولكنه.. ولكنه بالتأكيد لم يكن يقصد شيئاً.. فهو

يطعمنا من هذه الغلال كما يطعم أيتاماً منها.. وهي وقفٌ لهم أيضاً، لكنهم ردوني خائبة، بل إن منهم - يا مولاي - منهم **(تتحدث مع نفسها)** ما الذي أقول له عنهم ربما، ربما سيثير غضبه إذا قلت له ما فعله وزراؤه وأمراؤه أو ما قالوه لي.. يا إلهي لقد رميت نفسي في ورطة **(ثم ترفع صوتها)** لا يهمني يا مولاي مافعلوه أو ماقالوه لي.. المهم أنني أعرف أن للدولة عظيماً في مقامك، وسترفع الظلم عن أهل المدينة وعني.. أليس كذلك؟ **(صمت)** مولاي أليس كذلك؟ مولاي كلمة واحدة تنقذنا من العذاب وتطلق زوجي من سجنه، واحدة فقط!! **(تقترب بخوف وفزع من العرش وتحاول أن تمد يدها للستارة، ولكنها ترجعها فزعة)** هل سمعت - يا مولاي - ما قلت.. كنت أعلم أنني مهما لاقيت من النصب حتى ألقاك ستنصفني، أليس كذلك؟ **(تقترب خائفة، تتحدث مع نفسها)** بسم الله الرحمن الرحيم **(تفتح الستارة، ترى بداخلها قزماً كان يأكل طعاماً وعلى الفور يفر من الكرسي هارباً).**

القزم لست منهم..لست منهم.. لست منهم..

(أو أن ترى الظاهر وهو نائم يشخر..!!)

إسقاط (٣٦)

نور الدين لا أراك تقف إلا موقفاً مهزوزاً يا بن إياس..!

ابن إياس هذا غير صحيح.. ثمة أشياء غير مفهومة لي، أقف كي أفك طلاسمها، ولهذا جئتك كي أستوضح موقفك منها.. بصفتك مؤرخاً مثلي يا نور الدين، بل إنك أخبر مني بما دار في كثير من الأمصار.. غير أن الأمر الغامض بالنسبة لي هو وقوفك موقفك المعتقد الجازم بوقوع الجفاف.. في حين نعتقد نحن باعتقاد القاضي الفاضل أن ذلك وهم ساقه ملك الإفرنجة علينا وتبناه المماليك في القلعة..

نور الدين اسمع يا بن إياس.. عليَّ وعليك بل علينا جميعاً أن نرى الأمور من أعلى.. حسناً ربما يخالجك الشك في وهم التنبؤ الذي حدّث به برانكاتشي. لكن كيف يمكننا برهنة عكس ذلك؟!

ابن إياس نحن نعرف نواياهم ومقاصدهم.. وهذا وحده كاف للبرهنة على عكس نبوءاتهم..

نور الدين جميل. لكن ذلك لا يكفي، إذ إننا نحتاج إلى ما يترجم رؤيتنا للواقع وهذا غير مواتٍ لنا..

ابن إياس لماذا.. ما الذي يمنعنا أيها المؤرخ الكبير..؟

نور الدين أنت تدرك الكثير مثلي لأنك مؤرخ مثلي.. اسمع، لقد فات الأوان، وسلمت الأموال لملك الإفرنجة، ولم يتبق من سور القلعة إلا القليل، وهذه نصيحتي: أن تلحق بنا في القلعة أو أن ينخر النمل جسدك في بحثه عن القتات خارج أسوار القلعة..!

إسقاط (٣٧)

شمس/ ابن أيبك في السجن

شمس حينما أخرج من عتبة الباب سيخلى سبيلك..

ابن أيبك وددت أن أعرف السبب الذي اعتقلت لأجله..

شمس المصادفة وحدها ليس إلا..

ابن أيبك المصادفة! المصادفة، المصادفة وراء التعذيب والامتهان والتحقير...وال وال..المصادفة..

شمس على كل حال ستخرج.. أكدوا لي أنك ستخرج..

ابن أيبك من هم؟ من هؤلاء السجانون؟ أنا لا أعرفهم، تتغير سحناتهم كل يوم.. يا ربي ترى، بأي حال سأخرج؟

شمس اسمع.. مجيئي هنا لأمر واحد لو استطعت لتجاوزته دونك.. حُلَّ الربقة عنها كما حل القلقشندي الربقة عن رقبتي، فأصبحت - كما ترى - صاحبة أراض وأملاك.. ودور وحوانيت وحمامات ومنتزهات..

ابن أيبك ثقي بأنني سأشنق نفسي بالربقة التي تتحدثين عنها ولن أحل عنها ذلك، لأنها انتظرتني..

شمس (**تصفق بيديها فتدخل خديجة**) من المؤسف أنها

شاهدت نتفاً مما كان يمارس سجانوك عليك من تعذيب مذل في المعتقل..

ابن أيبك **(يصدم)** شاهدت..! **(صمت، يتقدم نحو خديجة)** ما الذي شاهدته يا خديجة؟ **(لا تجيبه)** تكلمي.. **(يهزها)** ما الذي شاهدته؟ قولي، تكلمي.

شمس إنك تضعها في موضع حرج بالغ. هل تريدها أن تصف الفحولة المسلوبة حين تراق من عصب الرجولة؟! هل تريدها أن تصف تلك الكومة من الأجساد العارية التي تنهال على ظهرك كالخرفان المسلوخة.. لقد مت في نظرها يا بن أيبك..

خديجة لقد مت في نظري يا بن أيبك.. طلقني..فقد بدأت أشعر بقشعريرة غريبة، أرجوك طلقني.. لن أحتمل هذه السخونة

ابن أيبك **(منزوياً يبكي بحسرة بكاء متشنجاً في حين تبدأ قشعريرة بجسدها تتنامى)** هل تتذكرين - ياخديجة - حينما كنت على وشك أن تمسكي ذراعي وقت الخصب، **(يرقص سارحاً)** وقت أن كان النيل يفيض على جانبيه، والسوسن الرائق يطفو على مياهه نابضاً بالأشعار، في حين كان البردي يحجبنا عن الأنظار **(يضحك)** كان مؤنساً وجهك صبوحاً كقشرة الفجر الرقيقة **(ثم بغضب)** لكن الشياطين مندوبي النهر صرخوا فينا: النهر تسعة

أقدام ولم تشتبك أيادينا.. (**صمت وسرحان**) أنت طالق يا خديجة.. طالق.. (**تصفق شمس**)

خديجة (**تندلق النار**) أشعر أن حلقي جاف ليس به ماء، أشعر بسخونة تكوي جسدي، من يساوم على هذا الجسد يا محتسب؟! أريد ماء يا **مسعود**.. النار تنهش جسدي.. صبوا على رأسي الماء.. (**تصرخ**) الماء.. النار تلتهم كل أعضائي وكأنما تلتهم الهشيم المعصوف.. يا إلهي ما الذي يجتاحني الآن، أية صحراء هذه التي أغرق في رمالها الحارقة.. الماء.. صبوه على رأسي كي يحيلني إلى صخرة صماء باردة..!

إسقاط (٣٨)

ابن إياس وهو يتحدث مع نفسه..

ابن إياس كيف أنسلخ من جلدي؟ كيف.. أووه. كيف كيف مللت سؤال نفسي بهذه الكيف، لماذا أظل وحدي، تحت سياط العذاب؟ يكفي هذا العذاب ليواجه كل مصيره، لماذا يلقى علي السخط؟ هل لأن جريمتي حمل القلم؟! ليحترق كل شيء، ليحترق (**يشعل النار في كتبه، وهو ينتفض**) ليحترق كل شيء، أنا قادم يا نور الدين، سيسجل لي التاريخ أنني استمعت لنصيحتك..ليحترق كل شيء، ما من منفعة، أشعر بسخونة النار تشتعل في جوفي، ليحترق كل شيء،

لتمضغ النار أمعائي بشراهة ونهم، ليمت كل شيء فيّ، ليمت القلم، أريد ماء أبلل به ريقي.. هذه النار الساخنة تحرقني.. **(يصرخ)** أنا أحترق.. أنا أحترق..أنا أحترق..

إسقاط (٣٩)

القاضي الفاضل يتحدث مع نفسه..

الفاضل **(وفي يده رسالة)** هذه رسالة ابن دقماق.. ما الذي يقوله فيها؟ ولماذا بعثها دون أن يأتي إليَّ؟ **(يقرأ الرسالة)**: ولقد مررت أيها الفاضل بحكام الولايات الشمالية للنيل، فوجدت أن الجفاف قد تفشى فيهم وزحف إلى ولاياتهم النمل، حتى إني غامرت فتتبعت بعض الطرق التي جاء منها النمل فوجدت أنها ديار بكر، هذه الديار التي كان يحكمها الملك العادل سيف الدين أبوبكر أخو صلاح الدين وساعده الأيمن، ولم أصدق عينيَّ إذ أرى النمل يخرج منها، سألت نفسي كيف للنمل أن يخرج من ديار بكر ليقوض بلاد العرب والمسلمين؟ وهكذا وبعد أن عدت دون أن أحمل معي أي حل لهذه المعضلة، وبعد أن رأيت ما رأيت، أعلن لكم - يا سيدي - أنني تنازلت عن صحبتكم، واعلموا أن صحبتكم هي الرمق الأخير لي في الحياة.. مخلصكم ابن دقماق **(وهو يغلق الرسالة)** تنازل!! ما الذي يقصده؟! وأين هو؟!، أين ابن دقماق أم أن الجفاف قد

ناله هو أيضاً.. لم يبق سوى القليل ويكتمل طوق السور..ياللفاجعة (**همهمات ذات إيقاع لمندوبي النهر**).

مسعود (**يدخل مسعود مذعوراً**) سيدي.. سيدي، لم يبق سوى بعض اللبنات ويكتمل بناء السور أسرع يا سيدي، أسرع..

الفاضل أسرع!! إلى أين؟

مسعود لنحتمي بالقلعة.. دع المدينة وانجُ بنفسك ياسيدي، الجفاف قادم، والنمل ينهش بيوت المدينة الآن..

الفاضل أنت!! أنت تقول هذا يا مسعود؟! أنت الخادم الوفي المطيع يا مسعود..

مسعود لقد استدعت أخلاق العشرة ياسيدي أن أنصحك، كل الرؤوس من أصحابك قد انحنت، فقد سبقك أصحابك خليل بن شاهين وابن دقماق..

الفاضل خليل بن شاهين وابن دقماق!! عمن تتحدث يا مرتشٍ؟!

مسعود وابن إياس هو آخر أصحابك الذين لاذوا بالقلعة..

الفاضل ابن إياس!! كيف؟!

مسعود هيا ياسيدي، هيا، ليس لدينا وقت، المدينة يجتاحها الجفاف، ويسقط النمل بيوتها، هيا.

الفاضل وأهل المدينة هل نتركهم لمصيرهم.. يا مسعود؟

مسعود الموت حق ياسيدي.. وإذا مات عشرة فسيولد مئة..

الفاضل لن أتراجع معكم فلن يغفر التاريخ لي..

مسعود إن أكبر مؤرخَيْن قد لاذا بالقلعة، فلهذا كن مطمئناً من غفران التاريخ!!

الفاضل ما الذي يحدث؟! لقد سلموا بالأمر جميعهم، آه أين أنا.. ما الذي حدث لي؟ هل بدأت أتخيل، آه أنا محاصر، أنا معتقل.. القيود.. القيود في يدي منذ متى.. يا ربي؟ لم تكن فيَّ قبل أن يدخل **مسعود**.. هل كان مسعود سجاناً، هل تحول إلى سجان..

مسعود **(يضع قناعاً على وجهه)** ربما أيها القاضي الفاضل.. ربما صار خادمك سجانك!

إسقاط (٤٠)

الظاهر بن برقوق / الأمير منطاش / نورالدين / الدوادار..

الظاهر هل ملأتم جميع مخازن القرية من الغلال والمؤونة وجميع أصناف الغذاء والدواء والملبوس ما يكفينا لعدة أعوام من الجفاف؟

منطاش تم كل شيء كما أمرتم يا مولانا..

الدوادار **(وهو يدخل مسرعاً ومتدرعاً لباس ناظر الجيش)** كاد النمل أن يتسرب إلى القلعة لولا أن اكتمل بناء السور في الوقت المناسب..

الظاهر النمل..!!

الدوادار ماذا عن القاضي الفاضل!!

منطاش في المعتقل..

الظاهر في المعتقل!! كيف؟ بأمر من.. وهو كبير القضاة..؟

الدوادار منذ أن عزلتموه عن القضاء ورفعتم أحكامه.. و..

الظاهر **(مقاطعاً)** نحن عزلناه ورفعنا أحكامه..؟ من زعم هذا، متى حدث ذلك..؟

نور الدين أووه، لقد بلغ بكم العمر مبلغاً أيها السلطان الظاهر.. حتى أصبحتم لا تتذكرون ما تصدرون من أوامر وتوجيهات..

الظاهر ما الذي حدث ويحدث..؟

نور الدين القصة عصية على التفكير وتحتاج إلى جلسة طويلة يا مولانا الظاهر..

الظاهر آه نور الدين، تذكرت الآن قصتك مع التتار وهم يجتاحون قلعة دمشق!!

نور الدين **(ينتحي بمنطاش جانباً)** عليك الآن أن تبادره بطعنة خاطفة ترديه عن العرش، لقد آن أوانها لقد كشف بعض الفصول..

منطاش **(يستل خنجره).**

المحتسب **(يدخل مذعوراً)** لقد تفشى الجفاف في المدينة وأعاصيره الساخنة تحرق أشجارها اليانعة الخضراء، وتقتلع نباتها الغض، لم تعد المدينة هي ذات المدينة التي عشنا فيها وتربينا في أروقتها وسككها حين نظرنا

إليها من أعلى برج في القلعة.. ورأينا النهر وهو يجرف الجثث..

الجميع (**مصدومون**) النهر.. قلت النهر!!

المحتسب أجل النهر.

الجميع (**ينظر بعضهم إلى بعض**) النهر.. النهر.

الظاهر لكن النهر جف..جف منذ آخر لبنة في السور الذي يفصل القلعة عن المدينة..

نور الدين (**وكأنما اكتشف شيئاً لم يدر بباله من قبل، بخبث**) آه ربما لم يكن ملك الإفرنجة يقصد جفاف النهر يامولاي..

الدوادار (**يدخل ونفسه يكاد يتقطع**) مولاي.. مولاي.

الظاهر ما بك.. ما بك؟

الدوادار السور.. السور يا مولاي.

الظاهر ما به السور؟

الدوادار السور ليس له باب يا سيدي.. ليس له باب.

الظاهر ماذا؟ ليس له باب؟!

الدوادار أجل.. وقد.. وقد رأينا أقواماً ذوي سحنات غريبة تقيم حول القلعة بدلاً من مخازن الغلال مخازن سلاح.. يبدو أننا حوصرنا يا مولانا..

الظاهر من المؤكد أننا قد تعرضنا لخدعة كبيرة..

المحتسب ماذا..؟ (**ينظر إلى الأمير منطاش ونور الدين، ثم يأخذ**

كوب ماء ليصبه على الحمامة المصنوعة من الورق داخل الإطار الزجاجي فتذوب، يضحك) انظروا إنها تذوب.. تذوب.. انظروا يالجمالها وهي تذوب! يالحسنها! الحمامة المصنوعة من الألماس والتي أهدانا إياها عاموس تذوب.. لقد تحولت إلى حمامة من ورق، من ورق **(يضحك، يأخذها وهي ورق مبلل ويبدأ بتقطيعها وإلقائها في الحضور، وهو يضحك، ثم يتغير مزاجه)** الجفاف، أحس أن حلقي جاف، لا أستطيع أن أبلع ريقي، أشعر بسخونة..

الدوادار انظروا.. **(يشير إلى زاوية)** انظروا..

نور الدين أنصتوا جيداً.. أنصتوا.. دبيب النمل.. لقد اقتحم السور.. أي لعبة كبرى كنا نلعبها - ببلاهة - أيها القوم..

إسقاط (٤١)

القاضي الفاضل في المعتقل، ظهره للجمهور، شمس وهي تخاطبه من خلف ظهره..

شمس الآن فقط، أستطيع أن أنام قريرة العين، لقد تم فصل الرؤوس عن الأجساد.. وزهقت هذه الروح التي تتردد في جسد القاضي الفاضل.. القلعة تنتظر ساعة الأجل، بينما سأسوس المدينة الجديدة حسب ما يتنبأ ملك الإفرنجة في ليلته التالية..

الفاضل **(يستدير القاضي الفاضل وفي بطنه خنجر وثيابه ملطخة بالدم)** إذن فإن ملك الإفرنجة لا يكذب أبداً.. فقد صدقت نبوءته.

إسقاط (٤٢)

تضاء نافذة فوق المشهد في الإسقاط السابق حيث سقط القاضي مقتولاً، ابن إياس وهو يكتب..

ابن إياس ويبدو أن نهر النيل لم يجف ولن يجف وسيستمر في الجريان، لكنما الجفاف والنمل قد استشريا في المدينة والقلعة.. وهكذا تراوح الحال طبقاً لكل نبوءة من نبوءات ملك الإفرنجة..

تنتهي المسرحية

استلهم المؤلف المسرحية من القراءات التالية:

- أثر الحروب الصليبية في العالم العربي د. قاسم عبده قاسم
- بعض مظاهر الحياة اليومية في مصر في عصر السلاطين د. قاسم عبده قاسم
- نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك د. سعيد عاشور
- المرأة في الحضارة الإسلامية د. سعيد عاشور
- المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية د. سعيد عاشور

ملاحظة ..أرجو الرجوع إلى المقدمة لبيان كيفية الاستفادة من هذه المراجع.

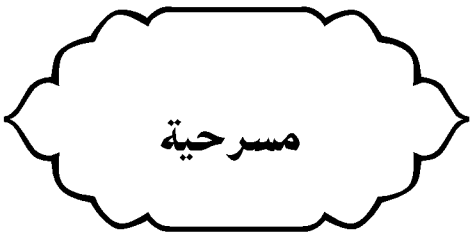

اللؤلؤة

من عبراتِ الزّمنِ، وتجاربِ النّاس

فكرة المسرحيّة

الطبائعُ البشريّة تتفاوتُ في أمزجتها ورغباتها لبني البشر، وكلُّ مجتمعٍ يجمعُ خليطاً من الطبائع البشريّة التي تكوّنه، وتؤسس وجوده، وهذا أمرٌ طبيعي. في هذه المسرحيّة طبيعةٌ من الطبائع تقف في وجهِ طبائع مناقضةٍ أخرى، في صورةِ صراعٍ أبدي بين الرغباتِ الشخصيةِ والرغبات الجمعية التي تقصدُ إلى تحقيق مصالح عليا مشتركة تؤسسها العدالة والإنصاف.

الشخصيات

سالم

زوجته سلمى

محمد

المنسقة

مهندس١

مهندس٢

حمود

زبون

زبون١

زبون٢

مازن بن سالم (طفل بين ٩-١٠ أعوام)

صفحة بيضاء
رقم ٨٢

المشهد الأول

(إظلامٌ خفيف، سالم يجلسُ على كرسيٍّ هزّاز، الوقتُ فجراً، ويبدو أنّه يجلسُ في قاعة استراحة، بعد قليل تدخلُ عليهِ زوجته سلمى، يضاءُ المسرحُ أكثر مع دخولها لأنها تفتحُ الإضاءة، تُدهشُ لوجوده).

سلمى سالم..!! أنتَ هنا.. خيرٌ إن شاءَ الله، قمتُ من النّومِ فلم أجدك، فهرعتُ أبحثُ عنك في كلِّ مكان.. ما الذي يُقلقك..؟

سالم لم أستطعِ النّوم.. كنتُ أتقلّبُ يمنةً ويسرةً أصارعُ الكرى بلا فائدة.. يبدو أن فكرةَ اللؤلؤة قد طغت على تفكيري وتملّكته..

سلمى (**مدهوشة، تجلس**) اللؤلؤة..!! أيّةُ لؤلؤةٍ هذه..؟ هل أنت في وعيك يا سالم..؟

سالم (**عاتباً بحزم**) منذ متى عهدتني غائباً عن الوعي وأنا أكلّمكِ يا سلمى؟

سلمى أقصدُ أنني لأول مرّةٍ أسمعكَ تتحدّث عن اللّؤلؤة.. لا أدري ما تقصد؟

سالم صحيح، فقد ظهرت الفكرةُ في مأدبةِ العشاء التي أقمتها

البارحةُ لضيوفي من الخارج، وهم - كما تعلمين - مستثمرون من الخارج.. وقد وصلتُ البيت في ساعةٍ متأخّرةٍ ولم أشأ إزعاجك بالفكرة..

سلمى فكرةُ اللؤلؤة..!

سالم أجل فكرةُ اللؤلؤة.. تعرفين أن البرج التجاري الذي أبنيهِ قد أوشك على الانتهاء.. وهؤلاءِ المستثمرون جاؤوا لقصدِ استئجاره كاملاً.. ولكنّهم - ويبدو أنّهم أصحابُ تجاربَ، وأفكارٍ خلّاقة - قد اشترطوا بناء مطعمٍ في قمّة البرجِ يكونُ على شكلِ لؤلؤةٍ لامعةٍ، مصقولةٍ، هي كالدرّة النفيسةِ التي تكلّل التاج..!!

سلمى لكن البناء - حسب ما علمتُ منك - قد استغلَّ المساحات والارتفاع المسموح به..

سالم وهذا ما أفكّر فيه..

سلمى ما دام المبنى واشتراطات تراخيص البناء لا تحتملان أيّةَ إضافة، فلماذا تجلبُ إلى نفسك هَمَّ التفكير..؟!

سالم الفكرةُ طاغيةٌ على عقلي يا سلمى.. تخيّلي البرجَ وموقعهُ على الشارع، وفي قمّتهِ لؤلؤةٌ مصقولة، أفلا يكونُ منظرها ساحراً، أفلا تخلبُ العقول، وتجذبُ الأبصار؟!..

سلمى بالطّبعِ كانت ستكون فكرةً رائعة، ولكن فات أوانها..

سالم لم يفت شيءٌ بعد.. كل الأمور عندي تقبلُ الاحتمالات..!

سلمى عليك إذن بالمهندس محمد فهو صديقك، وجديرٌ بمثلهِ أن يسديك النصيحة السديدة في مثلِ هذه الأمور..

سالم سأرى من أستشير في مثل هذا الأمرِ.. لن أستشير أحداً يعقّدُ لي الأمورَ، ويُكثرُ العراقيل..

سلمى لكن عليك أن تسمعَ للمقرّبين قبل أيِّ أحد..

سالم لا تدرين من هو المقرّب أو البعيد حينما يطغى الحسدُ على القريبِ فيصبحُ بعيداً، ويُغري البعيدَ المال فيصبحُ قريباً..!!

سلمى لستُ أفهم..

سالم ولن تفهمي لأن عواطف المرأةِ تغيبُ عنها الكثيرَ من حقائقِ النّاس..

"ينتهي المشهد"

المشهد الثاني

(في مكتب سالم بالشركة، المنسِّقة وهي تعرضُ عليه بعض الملفّات.. ثم تخبره بانتظار صاحبه محمد)

سالم هل تمت مراجعة جميع المشاريع من قبل مدقِّقي الشركة؟

المنسقة نعم.. هذا ملفُّ شركة القوارب الحديثة.. وهذا ملف الشركة العالميّة للشحن الكهربائي، وهذا ملف شركة الألبان.. وهذا..

سالم هاتي جميع الملفات دفعةً واحدة.. دون أن تعدّديها لي.. نخاف أن يسمعنا الحاسدون فيحسدوني على كثرة الشركات التي أمتلكها..

المنسقة أبعد الله عنك عين الحاسدين..

سالم أكيد، لمصلحتك أيضاً..

المنسقة لا يا أستاذ لا تفهمني خطأً..

سالم كنتُ أمزح.. ولكن افهميها بالعقل.. فلو حسدني الحاسدون..

المنسقة (حركة) تفو على أعينهم..

سالم وتقلّصت أعمالي، وربّما أفلست لخسرتِ أنتِ وظيفتك..

المنسقة لا قدّر الله..

سالم إذن فانشري البخور يا سعاد كلَّ صباح، واقرئي ما تحفظين من الأدعية..

المنسقة سأفعل يا أستاذ..

سالم شكراً لك، هل في قاعةِ الانتظار أحد؟

المنسقة صاحبك محمد..

سالم محمد هنا ولا تخبرينني.. هيّا هيّا.. كلُّ الناس ينتظرون إلّا صاحبي محمداً.. أدخليه فوراً..

المنسقة أمرك أستاذ.. (**تخرج**).

(محمد يدخل، يستقبله سالم قريباً من الباب)

محمد السلام عليكم.

سالم وعليكم السلام.. أين أنت يا رجل..؟

محمد عذراً فقد جئت بلا موعد..

سالم أنت تأتي بلا موعد... وأنت لا تنتظر.. أنت تدخل المكتب بلا استئذان.. تفضل استرح..

محمد أشكرك يا صاحبي.. لقد اشتقتُ لك، فقلت أمرُّ كي أسلّم عليك..

سالم خيراً فعلت..

محمد ماهي أخبار التجارةِ والأعمال..؟

سالم أخبارها لا تنتهي، وأكبر مصائبها أنها تبعدُ عن الأصدقاءِ الأوفياءِ مثلك يا محمد..

محمد شكراً يا سالم.. **(يشاهد صورة البرج)** بالمناسبة لقد شاهدتُ البرجَ الذي تبنيهِ يا سالم، وقد أوشك على الانتهاءِ ما شاء الله.. لقد أعجبتني هندسةُ بنائه التي احتفظت بالأصالة..

سالم هذا من ذوقك يا صديقي.. شهادتك هذه أعتزُّ بها فأنتَ من خيرةِ مهندسي الإنشاءات في البلد..

(يدخل المقهوي.. يصبُّ القهوة لهما)

سالم ربّما يكونُ مجيئك هنا فرصة كي أستشيرك في أمر..

محمد أنا رهنُ أمرك بما أمتلك من خبرةٍ متواضعة..

سالم على العكس، خبرتك كبيرة وفي غنىً عن شهادتي..

محمد تفضل يا صاحبي..

سالم **(للمقهوي)** شكراً..

محمد **(للمقهوي)** شكراً بارك الله فيك.. **(يخرج المقهوي)**

سالم الموضوع يا صديقي العزيز يتعلّق بالبرج.. **(ينهض ناحية رسم البرج، ينهض معه محمد)** تولّدت لديَّ فكرة، ما فتئت تكبرُ يوماً بعد يوم في ذهني.. في الحقيقة أوقدها في ذهني مستثمرون أجانب..

محمد سمعتُ أن مستثمرين أجانب سيستثمرون البرج..

سالم لم نتوصّل بعدُ إلى اتّفاق.. فقد اشترطوا إنشاء مطعمٍ على شكلِ لؤلؤةٍ في الجزءِ العلويِّ من البرج..

محمد **(يفكر)** أممم..

سالم وفي الحقيقة فإن هذه الفكرة قد تملّكت وجداني، لا أكتمك هذا السر فأنت صديق العمر..

محمد وهل تحتملُ أساساتُ البناءِ هذه الزيادةَ الطارئة..

سالم أظنُّ أنّها تحتمل..!

محمد هذه مسألةٌ لا تحتملُ الظنَّ يا صاحبي.. إنها مسألةٌ تحتاجُ إلى يقينٍ تام..

سالم هذه أمورٌ فنيّة دعك منها.. فلديَّ مستشارون متخصِّصون في هذه الشؤون..

محمد **(يخفي تذمُّره من الرد)** فلم إذن تستشيرني، أليس بوصفي مهندساً إنشائياً؟!

سالم بل بوصفك صديقاً.. ما رأيك بالفكرة.. الفكرة فقط؟!

محمد الفكرةُ في حدِّ ذاتها فكرة رائعة، وغير مسبوقة..

سالم أتعرف يا محمد أنني لم أستطع النوم ليلةَ البارحة..؟! اللّؤلؤةُ تملّكتني، وأسرت أفكاري.. أراها تشعشع في اللّيلِ المظلمِ، فتطغى بألوانها المبهرجةِ على كلِّ ألوان المدينةِ، حينها لا يكونُ للناس حديث إلّا عنها، ولا يتفاخرون بمزارٍ أجمل منها..

محمد ذكّرتني بتاج محل..

سالم أين هي المقارنة.. تاج محل ضريح.. وهذه اللؤلؤةُ مطعم.. الأول يقرأ فيه الناس الأدعية، أمّا في اللؤلؤةِ فيتناولون الطّعام، ويسترجعون أحلى لحظات العمر، ويُحسنون الحديث حول مستقبلهم لأنّهم داخل لؤلؤةٍ في فضاءٍ رحيب.. هل وصلتك الصورة..؟!

محمد بالطّبع، ولكنني أفكّر أنّها في النهار ونظراً لأنّ شكلها مركّبٌ من قطعِ الزجاجِ الرّصين المركّب على زوايا مختلفة سيعكسُ الأشعةَ على الشارع.. وسيسبّب ذلك ضرراً كبيراً على المارّة.. كما أن المشكلةَ الأخرى تكمن..

سالم **(يتغيّر فجأة، ويقاطعه)** أراكَ تبحثُ لي عن عقباتٍ ومشاكل.. كلّما قلتُ لك شيئاً لم أجد التشجيع منك.. وكأنّك تريدُ أن تثنيني عن مشروعي..!

محمد حاشا لله يا صاحبي.. إنّما أريد أن أفكر فيما يمكن أن تواجهه من عقبات كي تتلافاها..!!

سالم سبحان الله..!! أكلمك عن الفكرةِ، وتذهبُ بعيداً لتجمع لي العقبات..

محمد ما هذا الكلام يا سالم..؟ أنا أجمع لك العقبات!..

سالم هذا ما يوحيهِ كلامك..

محمد افهم يا سالم.. أنا صاحبك ومن الواجب عليَّ أن أنبّهك إلى بعض الأمور كي لا تقف في طريقك لاحقاً..

سالم بل إنني أشتمُّ رائحةَ الحسدِ النتنةِ منك..

محمد الحسد..!!

سالم نعم الحسد..! فكم صديقٍ يتزيّا في صورة ناصحٍ أمينٍ لصديقه، وهو أبغضُ حاسديه، ولو أنّ له مخالبً وأنياباً لما توانى عن غرسها في ظهر صاحبه..

محمد سبحانك يا مجير..!

سالم أفيقوا من سباتكم أيّها الحاسدون، وانزعوا عن أبصاركم غشاوة الحسدِ الداكنةِ، فلن تروا بسببها غير الظّلام الماحق..!! إنّكم لتتقلبون همّاً حينما تبصرون برجاً يشمخُ أو شركةً تُنشأ.. هل تنكرُ أنّك حينما شاهدت البرجَ لم يوخزك ثعبانُ الحسدِ الرابض فيك..

محمد بل أنا أزكى صورةً مما رسمت.. ليس في قلبي ذرة من حسد..

سالم هل أنت ملاك؟

محمد لستُ ملاكاً ولكنّي..

سالم **(مقاطعاً)** إنسان.. إنسان أليس كذلك.. أتنكرُ أن الإنسانَ ليس بحاسد..؟! وأنت بالأخص..

محمد ما الذي غيّرك فجأة يا سالم؟

سالم تساوقت في ذهني الآن مواقف أخذتها على حسنِ النيّةِ منك.. لكنّني الآن أراها غير ذلك.. أتذكرُ رأيك في شركةِ الشحنِ العالميّة.. ألم تصوّر لي تقلُّبات الاقتصاد العالمي، والركود والانخفاض في الطّلب، أتذكر

حينما قلت لي لا فائدةَ من المضاربات في السّوق.. كل تصوّراتك لم تتحقّق.. ذهبت أدراج الرّياح..!

محمد أنا في النهايةِ بشرٌ يخطئ ويصيب.. لكنَّ نيّتي والله سليمة..

سالم سليمة..!! والله لا أرى السلامة فيها مطلقاً..

محمد **(غاضباً)** إنّك تضعُ نزاهتي، ومصداقيتي على المحك..

سالم بل أنت الذي وضعتها بيديك، وبتشكيكاتك وأسئلتك التي لا تنتهي..

محمد أشكرك يا سالم، وأستأذنك..

سالم خير ما تفعل.. وأقول لك: لقد كنتُ مخطئاً حينما بحتُ لك بما أنوي فعله..

محمد لا أزال أقول لك يا سالم، تفكّر فيما ستجرّه على نفسك.. أنت رجلٌ لا ينقصهُ المالُ ولا الجاه.. ولا السمعة الطّيبة.. إنّما حصاةٌ صغيرةٌ يمكنها أن تعرقل قافلةً بحالها..وطوبةٌ قد تهدمُ قصوراً..!!

سالم هه..! وقّر هذه الدروس لصاحبٍ غرٍّ، حديثٍ لا يعرفُ نواياك.. فلقد خبرتك، واطّلعتُ على ما يجيشُ في صدرك، وما تبوحُ به عيناكَ، ويداريه لسانك..!! فاذهب غير مأسوفٍ عليك.. ولتعلن عتبةَ هذا المكان آخر عهدي بك..

محمد **(قبل أن يخرج)** إن اللؤلؤةَ التي تُبهجُ العيون ليلاً، يمكنُ أن تُعميها نهاراً.. **(يخرج)**.

سالم (**يحدّث نفسه**) ذئاب في ثياب أصدقاء..!! نستشيرهم لكي يساندونا، فيلمّون لنا الحطب من كل ناحيةٍ كي يحرقوا بها أفكارنا.. حُرقت أفكارهم!! (**يدخل مهندسان**) هؤلاءِ ليسوا أصدقاء.. يقول تاج محل..!! لا يعرف الفرق حتى بين قبرٍ وقصر..! (**ينتبه لهم**) كيف دخلتم؟

مهندس١ (**مرتبكاً**) قيل لنا ادخلوا.. فدخلنا..

سالم وكالةٌ بلا حارس.. مرعى بلا راعٍ.. أيتها المنسقة (**يناديها**)..!!

المنسقة (**تهرع داخلةً**) نعم يا أستاذ..

سالم كيف دخل هؤلاءِ بلا استئذان..أين كنتِ؟

المنسقة عفواً أستاذ أنت قلت لي أن أدخلهم مباشرةً بعد خروج صاحبك محمد..

سالم لا تقولي صاحبي..

المنسقة حاضر يا أستاذ.

سالم ألم تبخّري المكان عن الحسد؟

المنسقة منذ الغد يا أستاذ..

سالم بل منذ اليوم.. لأنني أشعر أن الحسدَ يكبرُ كل يوم، ولا بد من تطهيرِ المكان..

مهندس٢ بالفعل فالبخور يطرد الجن والحسد معاً سمعت هذا من جدتي..

سالم بل أريده أن يطرد الإنس أولاً..

مهندس٢ حينها لن يزورك أحد في مكتبك..!! **(يهمزه صاحبه)**

سالم صاحب نكتةٍ هاه..! اصلب عودك..! حسناً دعينا الآن..

المنسقة حاضر يا أستاذ..

سالم بلا مقدّمات.. بلا مشاكل أو عوائق.. ولا تعليقات.. طلبتكم وأنتم المسؤولون عن بناء البرجِ كي تنشئوا هذه اللؤلؤةَ في أعلاه **(يرص صورة اللؤلؤة في أعلى رسم البرج)**..!

(وقفة، المهندسان مشدوهان)

سالم ما بالكما خرستما عن الكلام..!

مهندس٢ هل هي بالونة يا أستاذ؟

سالم نعم..! حضرتك مهندس أم بائع بالونات حتى تروّج لبضاعتك..؟!!

مهندس١ عفواً يا طويل العمر.. هل أنت جاد..؟

سالم هل تظنُّ أنني أضحّي بوقتي الثمين كي أسلّيكم بطرفةٍ أو نكتة..؟! أفيقا.. قلتُ أريد هذه اللؤلؤة أن تتوّج البرجَ..

مهندس١ لكن البرج قد أوشك على الانتهاء..

سالم لا تحسب أنك تلقنني معلومة جديدة فأنا أعرف ذلك.. وأعرفُ أيضاً أن أبراجاً في أماكن أخرى من العالم قد طرأت عليها تغييرات لم تكن في الحسبان..! أتحسبُ أنني لا أعلم..؟

مهندس١ لكنها بالتأكيد كانت تتمتّع بأساسات وخرساناتٍ قويّة تمكّنها من إضافة أيّة تغييرات..

سالم اسمعا.. ليس لدي الوقت لسماع هذه الهرطقات..! عليكما أن تبدأ على الفور بالمخطط الإنشائي لشكلِ اللّؤلؤة حتى نتمكّن بعد يومين من عمل الإجراءات اللازمة..

مهندس٢ سنبدأ على الفور ومنذ الآن..

مهندس١ عفواً، سنحتاجُ إلى دراسةِ الأساسات، وعمل الحسابات اللازمة.. قبل أن نشرع في الرسم التخطيطي..

سالم دعك من كل هذه الأمور.. أعلم بأن كل شيء في النهاية سيسير على ما يرام.. هذه تشكّكات.. دعك منها.. فلو عمرت حياتك بالشك فلن تفيق أبداً على واقع ولن تعيش..!!

مهندس٢ أعجبتني هذه المقولة، وسأطبّقها فوراً.. فلي ابنةٌ دائماً ما تلحُّ على طلب هاتفٍ نقّال، وهي لا تحتاجُ له.. وهذا مصدرُ شكي.. ولكن بعد أن سمعتُ مقولتك يا سيدي سأشتري لها الهاتف فلو عمرنا حياتنا بالشك لما أفقنا على واقع ولن نعيش.. رائع.. سأكتب المقولة وسأعلّقها في مكتبي وفي مقابل سريري، وسأقرؤها خاصّة في الأيام التي تتأخّر فيها زوجتي لكي أنام بصورةٍ طبيعية..!!

سالم سأنتظر الرسم إذن هذه اللّيلة، في البيت.. يمكنكما الاستئذان الآن!!

مهندس٢ (**قبل الخروج**) شكراً على المقولة..!

ينتهي المشهد

المشهد الثالث

(يجلسُ وقد انتشرت حوله الأوراق التي يبدو أنه تخلّص منها يائساً من عدم توصله لفكرة مقنعة، تدخلُ عليه زوجته)

سلمى سالم..!! (**يتفاجأ.. وينزعج، يرمي الورقة جانباً، ويرخي ظهره للخلف متنفساً**) عذراً، لقد فاجأني المنظر..!!

سالم كان بإمكانكِ أن تدخلي بطريقةٍ غير هذه.. طريقةٍ أهدأ..

سلمى هالني ما رأيت..

سالم تعلمين أن فكري مشغول..

سلمى (**مازحةً**) هل ينشغلُ فكرك بشيءٍ آخر غيري..؟!

سالم اللؤلؤة..!! هي التي تشغلُ بالي، بل وتطغى على كلِّ شيءٍ فيه..

سلمى كلُّ شيء..!

سالم كلُّ شيء..!

سلمى يا للحسرة..!

سالم حتى إنني لا أعرفُ كيف تخطو قدماي وإلى أين.. أرى

اللؤلؤة أمامي أينما ذهبت، تلتمع أنوارها، وتبرق أضواؤها، أسيرُ بلا هدى..

سلمى ما الذي جرى لك يا سالم.. لم يكن لينقصك شيء..

سالم **(غاضباً)** ينقصني..!! هل يعتبرُ السعي إلى هدفٍ ما لشعورٍ بالنقصان.. أعلمُ أنّه لا ينقصني شيءٌ من المال، والعقار، والجاه.. وكلّ شيءٍ.. إنّما أنا بالفعلِ محتاجٌ للؤلؤةٍ تكلّلُ هذا كلّه.. وكأنني أتخيّل هذا كلَّه تاجاً واللؤلؤةُ ترصّعه في وسطه.. تخيّلي معي.. ما أروعها من صورة.. ما أجمله من منظر!

سلمى اللّهم ألهمه الثبات يا رب..!!

سالم **(غاضباً)** ثباتُ ماذا؟ ثباتُ عقلي..؟ هل ترينني مجنوناً..أركضُ في الشوارع، وأرمي الناس بالحجارة.. ما الذي حدث لك.. أريد منك أن تناصريني في فكرتي فتدعين لي بالثبات.. ماذا دهاكِ يا سلمى..؟

سلمى **(وقد استاءت من كلامه)** لا شيءَ يا سالم.. لا شيء.. **(تدخل)**

سالم غريبٌ أمرُ المصائب.. أصدّها من هنا وتأتيني من هناك.. لم أنسَ بعدُ كلام من سمّى نفسه بالصّاحبِ حتى تدعو لي زوجتي بالثبات..!! **(يرنُّ الجرس، يرفع صوته)** أدخلوهم هنا.. أنا هنا..! **(يدخل حمود مدير أعماله، ومهندس٢)**.

سالم وأين المهندس مجيد..؟!

مهندس٢ شعر بصداع واعتذر..

سالم صداعٌ يفجّرُ رأسه..!! وهل أشدّ من الصداع الذي يسكنُ رأسي..؟

حمود سلّمك الله - يا طويل العمر - من الصداع.. إن صداع المهندس مجيد سلبي، وصداعك يا سيّدي إيجابي.. أيّ إن صداعه لا ينتجُ عنه في النهاية سوى الغثيان.. أما صداعك فلا ينتجُ عنه سوى المشاريع الضخمة، الهائلة..!

سالم أتعلمون أنّ نفسي تهدأ حينما تسمعُ مثل هذا الكلام..؟

مهندس٢ ومنذ أن خرجنا من مكتبك صارحني المهندس مجيد برأيهِ حول الموضوع..

سالم هذا الكلام الذي قلتُه يا حمود هو الذي يدفعني إلى الأعلى..

حمود تقصدُ إلى اللؤلؤة..

سالم **(مغتبطاً)** بالضبط.. هو ما أقصده.. الأعلى عندي الآن هو اللؤلؤة وليس غيرها..أنت تقرأ أفكاري..

حمود كيف أصبحتُ مدير أعمالك إلّا لأنني أقرأ أفكارك..

مهندس٢ نحن نتعلّمُ منكَ يا سيّدي..

سالم **(لا ينتبهُ له)** ماذا يقول المتنبي في هذا الشأن.. أعد لي الأبيات التي ترددها دائماً.

مهندس٢ **(يستبق)** أنت كالكلب في حفاظك..

سالم (يُسكته) صَهْ..!

حمود وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

سالم هذا هو الكلام العظيم.. **(يرد ساخراً من مهندس٢)**

أنت كالكلبِ في حفاظك للود.. وكالتيس في قراعِ الخطوب..

ما هذا الذي تحفظونه.. تثقّفوا.. تعلّموا، احفظوا الشعر فإن الشعر حكمة..

مهندس٢ ما الذي نفعله؟ فنحن طوال يومنا..

سالم **(مقاطعاً)** هات ما في يدك.. لا تكثر من الرّغي، فالبعران وحدها ترغي!!، دعنا نرَ مخطط اللؤلؤة.. **(ينظر، يتمتم قول الشاعر)** إذ عزّتْ البعران ترغي من الفسطاط تسمع رغيها[1].. **(يدخل ابنه الصغير)**

ابنه أبي.. أبي..

سالم **(وهو ينظر للتصميم الهندسي)** دعني الآن يا مازن..فلديَّ ضيوف..

مهندس٢ أهلاً بالباشا الصغير.. في أيّ صفٍّ أنت..

الابن أنا في الصف الثالث..

مهندس٢ ما شاء الله، شكلك ذكي..

سالم لا تحسد ابني..!

مهندس٢ معاذ الله يا سيدي.. قلت ما شاء الله.

---

(١) المقولة الشعرية للشاعر الفلسطيني / عمر رشراش.

حمود إن بعض العيون تصيب كعين هذا الرّجل..

مهندس٢ لو كانت تصيب.. لكنت..

سالم دعني أركّز..

الابن بابا، عرفت معنى تاجر..

سالم قل سريعاً يا مازن، ما معناها؟

الابن أول حرف (**التاء**) تعني (**تقي**)، ومن يتقي الله لا يمكن أن يضر الآخرين، ثاني حرف (**ألف**) تعني (**أمين**)، والأمين لا يفرط بأموال الآخرين من أجل ماله، وخاصة إن كان مليونيراً، ثالث حرف (**الجيم**) أي (**جريء**) في الحق وليس في الباطل، رابع حرف (**الراء**) أي (**رؤوف**) وليس ظالماً.. هل أنت هكذا يا بابا؟

سالم (**يتوقف عن معاينةِ الرّسم وكأنّه أصيب بصدمة**) هيّا ادخل إلى غرفتك.. ولا أريد رؤيتك ثانيةً.. هيّا.. (**الابن يمضي منكّس الرأس**).

مهندس٢ لا تؤاخذه يا سيدي فهكذا هم الأطفال يسألون كل ما يخطر على بالهم..!

حمود لكنّهم يجب أن يوقفوا عند حدودهم.. كيف إذن نعلّمهم، ونربّيهم؟

سالم الرّسم بشكلٍ عام ممتاز، وإن كانت لمسات المهندس مجيد ستضفي عليه جماليةً، فهو متخصّص في إضفاء اللّمسات الجمالية..

مهندس٢ مشكلته أنّه يعاندك يا سيّدي، وقد قال لي إنّه غير موافق

على هذه الفكرة..

سالم هو عاملٌ عندي ليس أكثر.. وإذا لم يطاوعني فالباب يسعُ جملاً كما يقولون (**وقفة قصيرة**) صدق المثل (**اتق شرَّ بطنٍ شبعت بعد جوع**)..! حمود!

حمود (**مرتبكاً**) نعم يا طويل العمر..

سالم أريدك غداً أن تقدّم هذا المخطط للجهات المعنيّة.. أريد موافقةً سريعةً بلا جدل، ولا تسويفٍ ولا تأجيل..

حمود ولا يهمّك..!

سالم لا تقل ولا يهمّك.. فأنا خالٍ من الهموم.. لا يهمني ولا يقلقني شيء.

حمود حاضر سيدي، صحيح؛ نسيتُ أن أخبرك يا سيدي أن المدير السابق للدائرة المختصة قد تم نقله.. وتم تعيين صاحبك المهندس محمد بدلاً عنه..

سالم ماذا..!!

حمود ستكون الأمور عسلاً على عسل أكثر من السّابق..

سالم (**لمهندس٢**) اذهب أنت الآن..

مهندس٢ على فكرة يا سيدي لقد كتبتُ العباراة التي تعلّمتها منك هذا الصباح.. وهي الآن..

سالم (**مقاطعاً، وعقله مشغول**) تصبح على خير..!

مهندس٢ وأنت من أهله يا سيّدي.. شكراً مرة أخرى على العبارة الصائبة.. (**يخرج**)

سالم (**يحدّث نفسه**) لم يُحسنوا الاختيار بتاتاً..

حمود حسبت أن اختياره سيفرحك..

سالم سيكشفُ كلَّ شيء.. هذا رجلٌ حاسد..

حمود ألم يكن صديقك.. ما الذي حدث؟

سالم طيبتي هي التي تُعمي بصري عن رؤيةِ معادنِ النّاس.. ولكنّ التجارب تبرهنُ ما يختبئُ في دواخلهم.. اسمع يا حمود هذا الرّجلُ يجب ألا يبقى في منصبه هذا، لكي تمضي الأمور على ما نخطّطُ لها..

حمود ما الذي يجب فعله يا سيّدي؟

سالم هذا ما لا يصلُ إليه فكرك يا حمود.. أنتَ موظّفٌ بسيط ..(**ينكمش حمود ويتظاهر بالضعف**) سمسارٌ متواضع، لاعبٌ قزمٌ في معادلةٍ كبرى، دع هذه الأمور لغيرك، فلكلِّ مقام رجاله.. ألم تسمع المتنبي ماذا يقول يا حمود في هذا الشّأن..

حمود لم أسمعه يا سيّدي.. فهو لا يُسمعُ الناس الضعفاء الأقزام من أمثالنا..

سالم المتنبي يقول يا حمود لسيف الدولة:

أكلما رمت جيشاً فانثنى هرباً تصرَّفت بك في آثاره الهممُ..

حمود المتنبي حكيم..!

سالم اذهب يا حمود الآن.. وتعال غداً ظهراً لاستلام المخطط المعتمد..!

حمود تصبح على خير يا سيّدي..

سالم **(لا ينتبه له.. إنّما يردد بيت المتنبي)**

عـليك هـزمـهـم في كـل مـعـترك وما عليك بهم عار إذا انهزموا..

(يضغط على شفته السفلى غاضباً) لقد أرادت أن تحرجني أمام موظفيَّ..! ولهذا أرسلت مازناً كي يسألني هذا السؤال السّخيف.. ليس سؤاله بالتأكيد، فهو صغير على هذه الأسئلة.. إنّه سؤالها، هي التي لقّنته إيّاه.. ما الذي تنويه هذه المرأة.. يبدو أنّها ليلةٌ سوداء غاب عنها القمر.. **(يرفع صوته)** يا سلمى.. يا سلمى.. تعالي حالاً..

ينتهي المشهد

المشهد الرابع

(في مكتب المنسِّقة.. المنسقة على كرسيّها، يدخلُ سالم وهو يحملُ حقيبته مسروراً..)

سالم ماهذه الرّوائح الجميلة؟

المنسقة مساء الخير أستاذ.. منذ الصباح والمكانُ يرجُّ بهذه الرّائحة..

سالم نحتاجُ إلى مثلِ هذه الرّوائح التي تطرد الحسد.. **(يجلسُ في الكرسي المقابل للمنسقة، فتريد أن تنهض من كرسيها احتراماً له ولكنّه يومئُ لها بالجلوس)** اجلسي مكانك..

المنسقة لا يصلحُ هذا يا أستاذ..

سالم أتعلمين يا سعاد.. سعاد صحيح؟

المنسقة نعم سعاد يا أستاذ..

سالم مشاغلي تجعلني أنسى حتى اسم منسقةِ مكتبي..

المنسقة معذور يا أستاذ..

سالم أتعلمين يا..

المنسقة سعاد..

سالم يا سعاد.. أن الإنسانَ حينما يمتلكُ القوّةَ النافذة، يستطيعُ أن يهزمَ صغار النّفوس من حسّاد الناس؟

المنسقة لكن بعض من يمتلكون القوّة يسعون للظلم يا أستاذ..

سالم **(لا يعجبهُ قولها)** أنا أتحدث عن صنفٍ آخر، ليس الصنف الذي تقصدين.. **(يريها ظرفاً)** أترين هذا..؟

المنسقة ماذا بداخله يا أستاذ؟

سالم لا يخصُّك ما بداخله.

المنسقة آسفة يا أستاذ..

سالم هذا هو علامةٌ من علامات النفوذ.. اسمعي هذه النصيحة يا سعاد..

المنسقة أتشرف بسماعها يا أستاذ..

سالم إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب.. هذه نصيحة ثمينة احفظيها..

المنسقة حاضر يا أستاذ بالفعل ثمينة..

سالم **(ينهض)** استدعي لي حموداً فوراً..

المنسقة حاضر أستاذ **(يدخل)** يا لها من نصيحةٍ ثمينةٍ!!

(يدخل حمود..)

حمود هل وصل طويل العمر؟

المنسقة منذ قليل، وطلبك على الفور..

حمود هاه..! أنا أمتلك جهازاً حسّاساً يلتقط كل ذبذبةٍ في المكان..

المنسقة (**هازئةً**) ما شاء الله.. تقصدُ أنّ لديك راداراً..

حمود (**بغمز**) راداراً ينتظرُ أن يدخل في مدى رؤيته نبضاً واحداً.. وحين يقترب، ويقترب ويقترب يتّحدُ هذا النبض ونبضي.. فيصبحان نبضاً واحداً..

المنسقة الأستاذ يريدك فوراً، هل أبلّغه بأنّك موجود، وأنّك..

حمود لا لاتكلّفي نفسك هذا العناء.. سأدخلُ فوراً.. ولكن سيبقى الرادار متيقّظاً لأيّةِ نبضةٍ أو خفق.. سلام!

المنسقة (**تتبعهُ بتعبيراتٍ غير مرتاحة**)

(**يدخل المهندس مجيد..**)

مهندس ١ خيراً يا سعاد..

المنسقة مرحباً مهندس مجيد..

مهندس١ قلنا مجيد.. مجيد..

المنسقة عذراً مجيد.. فقد كان معي صاحبُ العادةِ القبيحةِ، والتلميحاتِ المريضة..

مهندس١ حمود..

المنسقة وهل غيره مضَّ لي كبدي..!

مهندس١ الناس المرضى بهذه الأمراض النفسيّة لا يشفون منها أبداً، إلّا أن تهتدي أنفسهم..

المنسقة لا أعرف ما الذي يجعلُ الأستاذ سالماً يحتفظ به مديراً لأعماله..

مهندس١ ما خفي أعظم يا سعاد.. عموماً ما الأخبار؟

المنسقة الأخبار لا تسرّ؛ فقد أقالك الرّجل.

مهندس١ كنتُ أتوقع هذا.. وخيراً فعل، فلن أشاركَ في مخالفاتٍ نتائجها خطيرة (**يدخل محمد**).

محمد السلام عليكم.

المنسقة مرحباً مهندس محمد.

مهندس١ أهلاً.. أهلاً بالمهندس الكبير الأستاذ محمد..

محمد لا تُعلِ من شأني يا مهندس مجيد..

مهندس١ بل أنت المهندسُ الذي أصبح لنا جميعاً قدوةً في النزاهةِ والدقّةِ والإخلاص.. أنت مثالٌ نقتدي بعمله يا مهندس محمد..

محمد أشكرك يا مهندس مجيد.. (**للمنسقة**) عفواً هل الأستاذ سالم موجود..

(**يسمعون ضحكة سالم، ويبدو أن باب مكتبهِ لم يغلق، وسيتسربُ حوار سالم وحمود منه**)

سالم خذ هذا التصريح ببناءِ مطعمِ اللؤلؤة يا حمود..

حمود هل اعتمده المهندس محمد..

سالم هذا لو ظلّ محمد في مكانه..!

حمود ماذا تقصد..؟

سالم (**وهو يضحك**) لم يكد البائس يجلس على كرسي منصبه الجديد حتى جاءته رسالة بالإحالةِ إلى التقاعد.. مسكين.. لم أستفسر في الحقيقة عن أثر الصدمةِ عليه،

المهم تم اعتماد المخطط من غيره..!

حمود ضربة معلّم يعرف كيف وأين ومتى يضرب..!

(المنسقة، محمد، مجيد مصدومون)

سالم لكن أريدك أن تتأكّد أنّه لا يعلمُ شيئاً عن قدرة الأساسات، وعن قدرة البرج على احتمال المزيدِ من البناء فوقه..!!

حمود لديَّ جهازٌ حسّاس دقيق يكشف كل نبضةٍ دقيقة..

محمد **(للمنسقة)** أرجوك أغلقي الباب..لا نريدُ أن نسمع المزيد **(تذهب فوراً لإغلاقه)**

مجيد لقد سمعنا جميعاً وبلا قصد ما حدث.. ولربّما كنّا نشكُّ سابقاً في أن الأمور لم تكن لتمضي في اتجاهٍ سليم..

محمد جئت لنصيحتهِ بعد أن علمت أموراً أخطر..

المنسقة أيّة أمورٍ يا مهندس..

محمد أرجوكم لا نريدُ أن نفتحَ الخيشةَ العفنةَ مرّة واحدة..

سلمى **(وهي تدخلُ مفاجئةً الجميع)** بل قل يا محمد..

المنسقة **(متفاجئةً)** أم مازن..!!

سلمى لقد انكشفَ بغير إرادةٍ منه ما قام بفعله.. فقد سمعتُ أيضاً ما سمعتموه وكنتُ على عتبةِ المكتبِ لولا أن أوقفتني ضحكته، وحسبت أنّه يتحدّث إلى مجموعةٍ من الضيوف في مكتب المنسقة، لذا لزمتُ مكاني.. لم أدر

أن بابه كان مفتوحاً.. حزنتُ كثيراً لموقفه معك يا محمد..

محمد بعض السّهام تصيب لُبَّ القلبِ يا أم مازن..

مهندس١ وكنتُ متوقعاً لردّة فعله معي..لقد أقالني!

سلمى قل يا محمد.. وعلينا أن نجد جميعاً الحل..

محمد أساسات البرج لا تحتمل أيّة زيادة.. لقد استنفد طاقة الخرسانات ببناء أدوارٍ لم يكن مخطّطاً لها مسبقاً، وبنيت بشكل تدريجي..!! **(يصدم الجميع)**

سلمى وهذه مصيبةٌ أكبر..

المنسقة ما الحل إذن..؟!

محمد نقفُ الآن جميعاً في مفترق طريقين، تعلمون ما هما جيّداً..!

سلمى لسنا في مفترقِ طرق يا محمد بل نحنُ في طريقٍ واحد.. إنني لن أُغلّبَ المصالحَ الشخصية الأنانيّة، على مصالحِ العامّة لأنني زوجةُ سالم..

مهندس١ هذا موقفٌ جريءٌ يا أم مازن..

سلمى وإن لم أتخذه أنا فأي واحدٍ غيري سيتّخذه.. وليس لنا خيارٌ غيره..

(يخرجُ سالم وحمود..)

سالم لا بد أن يشرع في البناء.. **(يتفاجأ بوجودهم)** أيُّ مصادفات تجمعُ الأحبابَ هكذا جمعاً واحداً..!! هل

ترى يا حمود.. هذه زوجتي أم أبنائي.. وهذا الذي كان أقرب أصدقائي، وهذا الذي كان أيضاً أفضل مهندس عندي.. في مكتبي.. ما الذي يحدثُ بربّكم..؟ لأولِ مرّة أعرفُ أن حسّاداً يتشاورون في مكتبِ خصمهم.. هؤلاءِ متحضرون إذن..!

سلمى كلُّ واحدٍ فينا جاء..

سالم لي معك حديثٌ لن يكون طويلاً لاحقاً..!

سلمى بل يجب أن تسمع.. إنك تجازف بكلِّ شيء.. قد تستطيع بكلِّ بساطةٍ أن تلفظَ عليَّ كلمة من أربعةِ أحرفٍ لا تلقي لها بالاً.. وقد عشتُ معك أترقّبها كلّما تحدّثتُ معك.. فها أنت تخلّيت عن أقربِ صديقٍ، وأقرب موظف.. وليتكَ قد تخلّيت عن أقربِ مستشاريك (**تنظر لحمود**)..

سالم خطابيّة فذّة كعادتها حينما تتكلّم.. (**لمحمد**) وأنت، ما الذي في جعبتك..؟

محمد لم أكن أعلمُ بأنّك تملك هذه النزعة الشريرة للإضرار بأقرب الأصدقاء.. أتضرُّني يا سالم.. أنا من وقفتُ معك في أحلك الظروف..

سالم وأقمتك على ساقيك، وموّلتُ أول مشاريعك، ووو.. أهذا ما تريدُ قوله.. وأنت (**مهندس١**)

مهندس١ لم يفاجئني شيءٌ منك.. سوى أنني كنتُ أصبُّ عرقي في أرضٍ ليست لك..!

سالم ما هذا الخرف..؟

سلمى لقد سمعنا بدون قصدٍ ما كنت تقوله داخل مكتبك..

سالم تجسّستم عليَّ، هذا واضح..

محمد نحن أنزه من أن نتجسسّ.. الروائح النتنة تفوحُ دائماً بصورةٍ غير طبيعية..

سالم عرفتم إذن كل شيء.. هيّا أطلقوا لأحقادكم العنان.. اتركوا الحسدَ يندلقُ في كلِّ صمّاماتِ قلوبكم.. افتحوا صنابيركم بالكلام.. لقد بدأت اللؤلؤةُ تشعشعُ فتغشى أبصاركم حتى قبل أن تظهر للعيان، فماذا أنتم فاعلون حينما تكون حقيقةً واقعة..؟!! شيءٌ مخجلٌ أن تشترك زوجتي في هذه العداوة..؟

سلمى صحوةُ ضمير..! إنّك لم تحصل على ترخيص حقيقي لمشروع اللؤلؤة، كما أن الأساسات لا تحتمل أيّة إضافات..

سالم جئتم متأخرين جداً.. جداً.. ولا شيءَ يعودُ إلى الصفر مطلقاً.. وسنرى لمن ستكون ضربةُ النهاية..!

ينتهي المشهد

المشهد الخامس

(في مطعم اللؤلؤة.. وقد انتهى المشروع، طاولات أنيقة، إضاءات ملوّنة تعمرُ المكان، ديكور أنيق، سالم وحمود يجلسان على طاولة.. في حين يجلس على طاولة أخرى زبون يلاحظهما بين فترةٍ وأخرى)

حمود شعشعت اللؤلؤةُ يا طويل العمر..

سالم وأغشت عيون الحاسدين، الذين ترهقهم أشعّتها لأنّهم لا يرون فيها جمالاً، بل يرون فيها حقداً، وكراهيّة..!

حمود أنت أكبرُ يا سيدي من هذه التفاهات..

سالم **(ينهض نحو النافذة)** شعشعي أيّتها اللؤلؤةُ الوضّاءة، أنيري دجى الظلمةِ، وتلألئي في ليلك ونهارك ناثرةً حسن الحياةِ، وبهاءها، في عيون أصحاب الذوق والفنِّ والجمال، وانثري الملح في عيون حسّادك.. أولئك الذين تطعنهم أشعتك طعناً يدمي قلوبهم.. فليكتب الشعراء فيك قصائدهم، وليتغنَّ المطربون، وليضرب العشّاق مواعيدهم بين أحضانك.. هل ترى يا حمود ما أراه..؟ مصوّرون يلتقطون صوراً للؤلؤة..!

حمود أراهم بالتأكيد.. وهل يجدون منظراً أروعَ منها..

(يدخل زبونان.. يجلسان)

زبون١ مكان رائع.. لا شك بأن اللؤلؤة ستكون معلماً يشارُ إليه بالبنان.. شكراً لك يا ناصر على تشريفي بالدعوة للؤلؤة..

زبون٢ مكانٌ كهذا ليس القصدُ منه العشاء وإنّما الاستمتاع النفسي.. تفضل **(يجلسان)**

سالم **(بصوت خافت)** هل سمعت انطباعاتهما؟

حمود لا يمكن أن يقولا غير هذا..!

زبون١ لكن هناك شائعات تروّج حول اللؤلؤة.. **(الزبون السابق والجالس وحيداً ينصت باهتمام).**

سالم بدأ المروّجون الكذّابون شائعاتهم..!

زبون٢ مثل ماذا..؟

زبون١ يقال إنّها مبنيّةٌ بعد اكتمال المساحةِ المرخّصةِ للبرج، يعني أنّها بنيت دون تصريح!

زبون٢ أنت الآن تنشر الخوف في نفسي ألّا يحتمل البرج ثقلها ونحن فوقها، فأنت وحدك صاحبُ وزنٍ ثقيل..!

زبون١ لا تخف.. بالتأكيد، تتحمل خرسانات البرج أشد مما يشيّد عليها..! أم تريد أن تتهرب من عزومتك..

زبون٢ لا..مطلقاً..

زبون١ أمّا الحوادث المرورية التي تسبّبت فيها الجوهرة بسبب سقوط أشعتها بطريقة مباشرة على الشارع فكثيرة، وقد كثر عدد المشتكين..

زبون٢ كثروا أو قلّوا.. كلّها أقاويل ولن تؤثّر في الواقع، ثم إن صاحب البرجِ رجلٌ مكين.. لا تثنيه الأقاويل ولا الشّائعات..

سالم **(قافزاً دون وعي، يتحدث بصوتٍ عميقٍ غاضب، ينهض على إثر كلامه الزبونان ويتراجعا حتى يخرجا)** الناس تطيبُ للشّائعات، وترقصُ لها.. فها أنتم تضيّعون أجمل أوقاتكم على الإطلاق في ترويج خزعبلات غير صحيحه..

زبون١ لم نقل شيئاً.. كنا..

سالم وبدلاً من ترطيب ألسنتكم بالثناء على المكان، والاستمتاع به، تستمتعون بتمليح الشائعات كأنّها مقبّلاتٍ قبل الوجبةِ الرئيسة.. **(يخرج الزبونان)** اخرجوا يا من لاهمَّ له سوى ترويج الشائعات الكاذبة..

الزبون السابق هل بناؤك للبرج في أرضٍ مخصصةٍ لمصلحةٍ عامة.. من الشائعات أيضاً..

سالم **(يلتفتُ إليه مصدوماً)** من أنت..؟!

ينتهي المشهد

المشهد السادس

(منظر عام.. خالٍ من أيِّ شيء)

محمد سبحان الله، اختفى البرجُ وانطمست اللؤلؤة وكأن شيئاً لم يكن..! هكذا في لمحةِ عين..

مهندس١ ما لا يُبنى على أساسٍ فلا يدوم.. لقد ظنَّ سالم أنّ اللؤلؤةَ ستشكّل درّة أملاكهِ، لكنّها كانت وبالاً عليه..!!

محمد كم نصحته يا مجيد أن يتفكّر في عواقب الأمور.. ولكنّه كان واثقاً إلى حدِّ الإفراط في قدرته على المضي قدماً فيما يريد.. لقد نظر إليَّ وكأنني عدوّه الخصيم، مع أنني - وأنت تعلم عني ذلك - كنت له ناصحاً أميناً..

مهندس١ لكنني لم أره منذ ذلك الحين..

محمد ليس المسؤول بأعلم من السائل، فأنا انقطعت عن زيارته ولا أعلم عنه شيئاً..

مهندس١ عموماً كان فصلاً وانتهى..

محمد (**يخرج خارطة**) هنا إذن سيكون مشروع محطة تحلية المياه..

مهندس١ نعم.. وهنا موقعه بالتحديد..

(يسمعان صوت حمود ومهندس٢ وراءهما)

حمود في هذا الموقع تقريباً سيكون البرج التجاري القادم.. وستكون كل هذه المساحة مواقف تابعةً له

مهندس٢ هل ستكون اللؤلؤة في آخره هذه المرّة أيضاً..

حمود لا.. هذه المرّة بدون لؤلؤة.. على المرء أن يتعلّم من أخطائه.. وحضرته يدركُ ذلك جيداً..!

(محمد ومهندس١، متسمّران من الدّهشة)

تنتهي المسرحيّة

صفحة بيضاء
رقم ١١٨

مسرحية

المفتاح

صفحة بيضاء
رقم ١٢٠

الشخصيات

الأب هيثم

الأم مريم

الابن مهند

الابنة سمر

الابن معاذ

صفحة بيضاء
رقم ١٢٢

بداية المسرحية

(الصالة الرئيسيَّة في شقّة الأسرة، حيث ستدورُ أحداث المسرحيَّة.. يجب إظهار جميع أفراد الأُسرة وهم لا يأبهون بعضهم لبعض، وأن هناك حواجز عاطفيَّة بينهم، حتى تعاملاتهم سطحيَّة، وهم منسجمون مع هذا الوضع، متأقلمون معه، بل مستسلمون له، لكلٍّ واحدٍ منهم حياته الأخرى، وعلاقاته، وانشغالاته.. خارج سقف الأسرة..الأب يتحدّثُ في الهاتف، وأمامه الصحيفة).

هيثم **(يضحك)** ممتاز، أخيراً استطعتم إقناعه بالخروجِ من وحشةِ البيتِ إلى فضاءِ الأصدقاء الرّحيب..!**(وقفة)** صحيح..**(وقفة)** صحيح، وتعلم بأن هذا عاملٌ نفسيٌّ سيساعده جدّاً للخروج من حالةِ الانطواء التي يبدو أنّها تغلغلت في نفسه.. **(وقفة)** حسناً.. **(ابنه معاذ يدخل)** سأراكم بعد نصف ساعة تقريباً.. فقط أكمل قراءة مقالٍ في الصحيفة، ثم سأخرج على الفور..

معاذ **(وهو يحمل دفتره المدرسي)** أبي أحتاجُ إلى مساعدتك في هذا الـ..

هيثم لا أستطيع يا معاذ لأنني لم أكمل المقالة في الصحيفة..

معاذ حسناً بعد أن تنتهي من القراءة..

هيثم بعدها.. سأهرعُ إلى لقاءِ الأصدقاء.. دعني الآن..

معاذ لكن هذا الـ..

هيثم **(منفعلاً)** ألا تسمعُ الكلام؟ قلتُ لك لا تشاغلني.. تكفيني مشاغلي..!! **(ينهض معاذ مكسور الخاطر، يذهب إلى غرفته..)**

(سمر تخرجُ من المطبخ، وهي تأكلُ فاكهةً، وتتحدث إلى صديقتها)

سمر قمتُ بتجهيزِ كعكةٍ، ستأكلون أصابعكم وراءها..**(وقفة)** بل ستلتهمون أياديكم.. نلتقي بعد وقت قصير.. **(يدخل مهند).**

مهند من فضلك يا سمر أرجوك..

سمر لا تقل أريد سيارتك..

مهند والله اتفقت مع صديقي على أن نذهب اليوم إلى موعدٍ هام..!

سمر آسفة لن أستطيع لأن لديَّ موعداً أنا كذلك..

هيثم أووه.. ألا يستطيع أحد القراءة في هذا البيت.. هدوء.. **(ينظران إليه، يتابعان حديثهما دون اكتراث).**

مهند أرجوك يا سمر لا أريد أن أفوِّت هذا الموعد..

سمر اعذرني فلن أستطيع أن أتعاون معك..

مهند ما الحيلة..! سأطلب سيارة أجرة..! **(ترفع سمر أكتافها إشارةً بأن هذا لا يعنيها، يدخل كل واحدٍ غرفته).**

مريم (**لهيثم**) هل رأيتَ ساعتي التي أهدتني إيّاها صديقتي سماح..؟

هيثم لم تريني إيّاها..

مريم أقول لك.. هل وجدتها فأنا أبحثُ عنها..

هيثم وأنا أقول بأنني لم أرها قط.. فأنت لم تريني إيّاها.. عجيب!.. هل أنتِ خارجة..؟

مريم أخبرتك منذ يومين أن اليومَ هو افتتاحُ المبنى الجديد للجمعية..

هيثم (**يعبّر عن عدم اكتراثه**) لا أتذكر هذه الأمور.. (**يعاود القراءة..**).

مريم (**تبحث عن الساعة**) أين ذهبت هذه الساعة يا ترى.. أين اختبأت في هذه اللحظة الحرجة.. (**تدخل غرفتها**)..

هيثم (**ينتهي من القراءة، يتوجّه إلى المطبخ**)

(**يخرج الجميع تباعاً من المرافق الأخرى، وكل واحدٍ يتحدّث في الهاتف..يختلطُ كلامهم، وجميعهم يتوجّهون ناحية الباب، ويتساءل كل واحدٍ منهم عن المفتاحِ بإشارةٍ من يده وهو يواصل الكلام، ثم يبدؤون البحث، سيكون كلامهم مختلطاً..**).

مهند ما شاء الله عليك، تجيد اللّعب جيّداً.. تعرف متى ترمي بالجوكر في الوقت الذي تحسبه جيداً (**وقفة**) أعرفك، فنّانٌ في هذه الأمور، لا يُخاف عليك.. بل يخافُ

منك..(**يضحك**) عموماً سأراك في وقتٍ لاحق مساء هذا اليوم ربّما نجلس في المقهى الذي تعوّدنا عليه..

سمر قلت لها يا سعاد، ولكنّها عنيدة ولن تسمع أحداً.. تريدُ الآخرين أن ينصتوا لها، وحين يتحدث أحدٌ إليها لا تكترث.. (**وقفة**) دعيها.. لا تلقي بالاً لها.. وأقول لك.. مثل هذه لا تستحق صداقتنا.. كان هذا رأيي فيها منذ أن كنّا في المرحلة الابتدائية.. تحاول دائماً أن تظهر نفسها أنّها تملك كل شيء، من يسمعها يقول إنها تملك العالم وهي لا تملك شيئاً.. اعذريني سعاد.. سأضطر إلى إنهاء المكالمةِ حالياً.

هيثم يا رجل، الأمور لا تقاس بهذه الطريقة.. الرّجال يتفاهمون فيما بينهم، وأنتم على قدرٍ كبير من العقل، وتستطيعون أن تجلسوا وتتناقشوا بطريقةٍ حضارية.. فليس أهم من الحوار والنقاش في حل المشكلات التي تحدث بين بني البشر.. (**وقفة**) بالتأكيد..(**وقفة**) معظم المشاكل تحدث بسبب سوء الفهم بين الناس، والذي سببه عدم التحاور فيما بينهم..

مريم نعم كلُّ الأمور قد تم ترتيبها، كنّا هناك هذا الصباح، وأعددنا قاعة استقبال الضيوف، وطلبنا زهوراً، يفترض من عائشة أن تكون قد استلمتها من المحلِّ، وأشرفنا على جميع الكراسي، ووضعنا عليها ملصقات الحجز.. (**وقفة**) هذا ما كنتُ أخشاه بالفعل.. ولكن اطمئن فالأمور ستمضي مادمنا يداً واحدة فنحن نعمل في

الجمعية كالأسرة المتكاتفة وهذا هو الأهم.. **(وقفة)** أشكرك جداً على اتصالك.. مع السلامة.

مريم **(يفترض أن تكون آخر من تنهي المحادثة الهاتفية)** أين ذهب المفتاح؟ **(في حين يبحث الآخرون عنه ويتصاعدُ التّوتر)**.

هيثم لو كنّا ندري لفتحنا الباب..

مريم أمرٌ غريب.. أين اختفى..؟

سمر ابحثوا أرجوكم..

مهند بل علينا أن نبحث جميعنا عن المفتاح..

مريم **(تنظر إلى ساعتها)** يا ربي.. يفترضُ أن أكون في الجمعية منذ ربع ساعة.. لقد تأخرتُ عليهم..

هيثم وأنا من المفترض أن أخرج الآن للقاءِ الأصدقاء..

سمر وأنا لا وقت لديَّ أضيِّعه..

مهند أمّا أنا فلا يمكن أن أتنازل عن موعدي.. **(يبحثون)**

هيثم أنا الذي لا يجب أن أتنازل..

مريم هاه.. موعدي أهم من مواعيدكم جميعاً..

سمر لا أعتقدُ أهم من موعدي.. ابحثوا أرجوك.. **(تحاول معالجة القفل)** أووه.. هل كان من المفترض أن يكون البابُ من الألمنيوم الصلب..!! لو كان خشباً لكسرناه..

هيثم ابحثوا أرجوكم فالأصدقاء لا شك في انتظاري الآن..! ما هذا.. يا معاذ..

مهند صحيح.. ربما أخفاه معاذ..

معاذ **(يدخل)**.. نعم يا أبي..

مريم أين المفتاح؟

معاذ أي مفتاح..؟

مهند أي مفتاح.. أعرفُ أنك تفعلها.. هذه حركاتك..

هيثم قل يا معاذ أين مفتاح الباب الرئيسي..

معاذ لا أعرف يا أبي..

مهند أنت أخفيته.. صح!

معاذ كيف أخفيه وأنا سأخرج إلى صديقي ماجد بعد قليل..

مريم قم.. قم.. ابحث معنا.. **(يبحثون.. يشعرون بتعب.. يقفون.. ينظرون بعضهم إلى بعض.. يركضون دفعةً واحدة للباب يحاولون أن يسحبوا الباب..يسقطون..)**

هيثم صحيح.. المفتاح الاحتياط..!

مهند قل هذا منذ البداية..

سمر حلّت المشكلة..!

مريم هذا هو المفتاحُ الأخير.. ولا يوجد احتياط

هيثم **(بغضب)** كيف.. أين ذهبت نسخته؟

مريم كم مرةٍ أخبرتك بأنّه لا توجد نسخة من المفتاح..

سمر أووه.. ما هذه المصيبة..

مهند **(يتوجّه نحو النافذة)** المصيبة أنني لا أستطيع أن أقفز، ولو لم نكن في الطابق الرابع لقفزت..!

مريم هل جننت..؟

سمر لمَ نسكنُ في الطابق الرابع..؟

هيثم هاه..! هل كنّا نملكُ خياراً آخر..؟

مهند اتصل بسرعة بنجّار أو حدّاد..

هيثم انظر إلى ساعتك.. من يأتيك بعد المغرب..؟

مريم تصرّف يا هيثم..

هيثم ما الذي تريدينني أن أفعله..؟

مهند أن يخلع هذا الباب..

مريم افعل أي شيء.. المهم أن أذهب.. لقد تأخّرت..

مهند يا ربي.. ما هذه المصيبة؟ ليتني ذهبت مباشرةً لبيت صديقي بعد مجيئي من العمل..

معاذ أنا يجب أن أغادر البيت أيضاً..!!

مريم (**مهتاجة، لهيثم**) أنت السبب..؟

هيثم أنا السبب..؟

مريم نعم أنت السبب.. لو كنت قد نسخت المفتاح لما حدث هذا الموقف المشؤوم الآن.. قل لي كيف سأتصرف الآن؟ لقد اجتهدت لتحضير الاحتفالِ، وأعددت كل شيءٍ لهذا اليوم.. وحينما يأتي اليوم أقع أنا في فخٍّ كطائرٍ لا حول له ولا قوّة..

هيثم بل أنا الذي أقول لك أنت السبب.. تذكرين هذه

المواعيد جيداً ولكن ما يخص بيتك لا تذكرينه إلّا في آخر الليل..

مريم لأنك لا تظهر إلّا آخر الليل..

سمر أبي.. أمي.. دعا الجدل، وتصرفا.. لدي موعد هام..

مهند صحيحٌ كلام سمر، تشاجرا فيما بعد، أما الآن فقضيتنا واحدة ويجب أن نوحد الجهود..

هيثم **(بغضب)** ما الذي تريدون مني أن أفعله.. هاه.. أنا لدي موعد أهم منكم جميعاً.. وها أنا مقيّد الرجلين كسجينٍ لا يستطيع الفكاك من القيد!!

سمر **(تحضر مطرقة، تطرق الباب، الآخرون متحفزون، ترمي المطرقة بيأس)**

معاذ أبي.. أنا سأتنازل عن موعدي.. لماذا لا تجلس معي كي تساعدني في واجبي..

هيثم **(مقلداً باستهزاء)** سأتنازل عن موعدي..! أي موعدٍ هذا الذي تقارنه بمواعيدنا..!!

مريم **(تجلس بيأس)** ماهذه الحالة البائسة..! تعبت من البحث، هل اختطفه جني.. عفريت.. ساكنو المكان..! أين اختفى هكذا فجأة..؟

سمر ألا تفعل شيئاً يا أبي..؟

هيثم اكسري الباب.. هيا واصلي الكسر إذا كنت ترين فائدة..

مهند **(يحاول كسر القفل، بلا فائدة، يرمي المطرقة)** هذا بابٌ

صلف..لا يجدي معه الكسر.. تعبت (**يجلس ورأسه للخلف**)

معاذ (**يكتم ضحكته بيده**)

مهند أبي.. قل لهذا أن يسكت وإلّا ضربته.. هل تضحك لخيبتك..؟

معاذ بل أضحك لمنظركم..

هيثم لمنظرنا..تضحك لمنظرنا (**ينهض نحوه**)!! هل نحن مهرجون حتى تضحك منّا يا ولد.. (**يصفعه، يبكي معاذ**).

مريم لماذا ضربته..؟

هيثم ألم تسمعي ما قال.. حسبتك أنت التي ستضربينه..

مهند يستحق الضرب..

سمر أرجوكم دعونا نبحثُ مرةً أخرى عن المفتاح..!

معاذ (**وهو يتشنّجُ باكياً**) لم أكن أعلم بأننا نسكنُ في سجن..

هيثم (**ينهره**) ولد!!

معاذ وحينما تقفلُ بوابته، يصرخُ الجميع طلباً للهروب..!

مريم اسكت يا معاذ.. نحن نسكنُ في بيت..

معاذ أجل بيت في الطابق الرابع وله سقف وجدران وأبواب..

هيثم وتسكنهُ أسرةٌ سعيدة..

معاذ أسرة..!!

سمر أبي أرجوك أسكته، ولنبحث عن المفتاح..

هيثم **(وقد نهض)** هل تسكتُ أم أبرحك ضرباً..

معاذ كيف تكون أسرة.. ولا يلتقي أفرادها. يجمعهم سقفٌ وتفرقهم جدران..!!

مريم اسكت يا معاذ.. لا تزيدنا مصيبة..

معاذ وليتها تشبه الجدران.. بل جدران أسْمَك من الجدران.. **(تقع هذه الكلمة موقع تأمّل وتفكر في عقل هيثم)**..

هيثم جدران أسمكُ من الجدران.. **(يكرّرها في نفسه)** جدران أسمك من الجدران.. جدران أسمك من الجدران.. **(يلتفت للجميع)** هل هذا صحيح؟ **(لا أحد يجيبه)** أجيبوا.. **(يذهب ليرفع معاذاً بقبضتي يديه)** هل هذا صحيح..؟

سمر **(بعد معاناة)** صحيح.. **(يتفاجأ هيثم، يستدير نحوها ببطء)**

هيثم **(بهمس، وهو ينظر إليها)** جدران أسمكُ من جدران.. هل هذا صحيح؟

مهند بلا شك صحيح..

هيثم **(مصدوم، يلتفتُ بسرعة)**.. عن أيّ بيت تتحدثون..؟ أي جدرانٍ تقصدون..؟ أنتم تكذبون.. تكذبون..

مريم بل هذه الحقيقة التي يشعرون بها..

هيثم ولعلّك أيضاً أنت تشعرين بها..

مريم ولعلك أنت أيضاً تشعر بها..

هيثم هذا غير صحيح..

مريم بل صحيح، ولكنها لا تخطر في بالك..

سمر كلّنا نشعرُ بها..

معاذ **(يضحك)** السجناء يتشاجرون..

هيثم اسكت وإلّا..!!! **(يرفع يديه)**.. **(صمت)** ما الذي أسمعه..؟ أنتم لا تفهمون الأمور، تتخيلونها بغير ما هي حقيقتها، ما نحسُّ به شيء والواقع شيءٌ آخر، أمّا أن نضع العالم المفترض الذي نريده مكان الواقع الذي نعيشه فهذا الخطأُ الفادح.. أنتم تحتاجون للمراجعة، بالتأكيد تخيُّلكم خاطئ..

مهند ولهذا تكوّنت في البيت جدرانٌ أسمكُ من جدرانه..

هيثم ما الذي تهرفُ أنت أيضاً؟

مهند صحيح..!

هيثم ما هو الصحيح..؟

مهند أنني أهرف.. أهرفُ دائماً يا أبي في نظرك.. لم أكبر يوماً في نظرك.. ما زلتُ صغيراً.. ويبدو أنك قد حكمت عليَّ بأن أكون صغيراً..

هيثم هذا كلامٌ غير منطقي.. ألا تعرف مع من تتكلّم يا ولد..؟

مهند يا ولد..!! وتسألُ عن الجدران..

هيثم هذا لأنّك لم تنضج بعد.. لم تجنِ من تجارب الحياةِ كما جنيتُ أنا.. و..

مهند أتذكّرُ في يومٍ من الأيامِ.. **(يمثّلون مشهداً في الماضي)**

(الأب هيثم يجلسُ في مكتبه.. يتحدث هاتفيّاً، بينما يتردد مهند في القدوم إليه لرغبةٍ في نفسه لمفاتحته في موضوعٍ يشغله)

هيثم **(يضحك)** اسمع هذي الحكمة.. اسمعها، تقول.. عامل ابنك كالأمير ٥ سنين، وكالأجير ١٠ سنين، وكالصديق طول العمر.. طبّق هذي الحكمة وتَرَ النتيجة..! تمام.. تحياتي، نلتقي غداً إن شاء الله.. **(يقفل الخط)** يا مهند..

مهند نعم أبي..

هيثم أريدك غداً أن تمرَّ على العامل الكهربائي، وتعطيه **(يخرج مبلغاً)** هذا المبلغ، نظير ما قام به من إصلاح العطل في البيت.. وخذ هذا المبلغَ لك..!

مهند إن شاء الله.. **(يقف مكانه)**

هيثم هذا كل شيء.. تصبح على خير..

مهند أبي..

هيثم **(بتثاقل)** نعم يا مهند ماذا عندك..؟

مهند أبي.. هل يمكنني الجلوس والتّحدث معك..أشعرُ بحاجةٍ كبيرةٍ للتّحدثِ معك..

هيثم أرجوك يا مهند سنجلس في وقتٍ لاحق.. لأنّ لديَّ بعض الملفات الخاصة بعملي التي يجب أن أراجعها الليلة.

مهند ولكنّك تحضر هذه الملفات كل يوم..

هيثم هذا عملي.. ما الذي أفعله؟

مهند ولكنك أيضاً تمضي وقتاً كبيراً خارج البيت..!

هيثم **(ينهض من مكانه غاضباً)** هل تحاسبني على وقتي يا مهند.. هل بلغت بك الجرأة أن تحدّثني بهذا الأسلوب..؟

مهند أبي، والله لا أقصد..

هيثم وتظنني غبياً لا أفهم..

مهند أبي أرجوك لا تسئ فهمي.. فأنا..

هيثم أنت ماذا..؟! كم نصحتك أن تقرأ، أن تفهم، أن تخالط الناس الفاهمين الذين هم على شاكلةٍ من أخالطهم..

مهند لماذا لا تأخذني معك إذن..

هيثم لم تبقَ إلّا هذه..! حبيبي افتح عقلك، أنت كبير الآن..

مهند لكنني في حاجةٍ إليك أبي.. فأنا على وشكِ أن أفصل من عملي..

هيثم هذا لأنّك فاشل..

مهند فاشل..!!

هيثم ومتهوّر أيضاً.. وتدرك أن المؤسسات لا تحتفظ بالفاشلين المتهورين..

(يعودون لوضعيتهم الأولى)

مهند عانيتُ طويلاً مما ألقيتَ في قلبي من بذور الفشل والتّهور، صارعتُ حبّك في قلبي مع كلمات الإحباط التي طعنتني بها.. صدّقت هذه الأوصاف لأنها صادرةٌ من أبي.. فصاحبتُ الفاشلين المتهوّرين فترة.. وفعلتُ ما فعلتُ من مفاسد ورذائل لا يفعلها إلا هؤلاء.. لكنني بعد وقت طويل استطعت أن أتجاوز هذا كلّه وأن أستعيد نفسي، وأنصت إلى صوتي.. هل تعلم ما وضعي في العمل الآن..

هيثم (صامت)

مهند أنا مدير الدائرة الآن.. لقد كنت محتاجاً إلى من يسمعُ صوتي فوجدته خارجَ هذا البيت.. حتى أمّي كانت بعيدة.. أمي التي نحتاج إلى ضمّتها الحانية، ولمستها الدافئة، وكلمتها المشجعة.. حرمتنا منها.. لهذا لم أكن أعرف أنني حين بحثت عن علاقةٍ بفتاة أنني كنتُ أبحث عن علاقةٍ بأم وليس بصديقةٍ..!!

سمر آه.. يا أمي آه.. هل تذكرين يا أمي حين دخلتِ عليَّ غرفتي وأنا أعاني من فراغٍ مدمّرٍ.. فرحتُ لأنك دخلتِ غرفتي، وبشّت غرفتي لأنّ إنساناً آخر غيري يدخلها.. وسأسمع منك كلمات دافئة، نصائح هادفة.. من صديقة لصديقة.. كنتُ حينها منشغلة في مشاركات تافهةٍ على (النت)..

(تمثلان المشهد، سمر على شبكة الإنترنت، وأمها تدخل عليها)

مريم (**وهي تدخل**) سمر.. أريدك أن تبحثي لصديقتي غادة عن موضوع التنشئة الصالحة.. تقول إنها تريده لتستفيد منه..

سمر حاضر يا أمي..هل تجلسين معي..

مريم يجب أن أقوم بعدّة اتصالات لمكالمات لم يرد عليها..

سمر أمي، أحتاجُ أن أستشيرك في موضوع يقلقني..

مريم اسمعي يا سمر أنت ابنةٌ ناضجة لم تعودي بحاجة إلى نصيحتي..

سمر أرجوك أمي أنا أحتاج إليك..

مريم لكنني مشغولة.. ماذا عليَّ أن أفعل.. أترك شغلي وأنصت لك.. ربما سنتحدث في وقت لاحق.. لا تنسي موضوع البحث.. (**ينتهي المشهد، تعودان إلى الحالة الأولى**).

سمر للأسف يا أمي.. لقد كنتُ أمرّ بحالة من التقلبات العاطفية ناحية بعض الأشخاص، ولأكن صريحة ناحيتك وناحية أبي وإخوتي، مرةً أحبكم ومرةً أبغضكم.. كنتُ أعيش المتضادات.. أبغض وأحب في الوقت نفسه.. تركتني وحدي.. كلّكم كنتم تراقبون حالتي، لم يسألني أحد عن انطوائي، عن ابتعادي عنكم في وجبة طعام.. لأنه وبكل بساطة لا يسأل أحدٌ عن أحد في هذا البيت..

مريم ما هذا الكلام الذي أسمعه..

سمر لا أدري ما سبب التقلبات العاطفية التي كنتُ أمر بها،

لكنها بالتأكيد كان لها علاقة بعدم استقراري مع ذاتي، أو ربما لأن طموحاتي أكبر من الواقع، أو من الصدمات النفسية التي كنت أتعرض لها في هذا البيت..لا أدري.. لم يكن أحدٌ منكم بجانبي.. تركت الصلاة ولم يسألني أحد.. خرجتُ ولم يلمني أحد.. بحثتُ في النت عمن يمكن أن يملأ الفراغ العاطفي في نفسي.. ووجدت الشباك جاهزةً للإيقاعِ بي..

هيثم لا تقولي أنّك..

سمر تهمّك النتائج أليس كذلك..؟!

هيثم لا تكلّميني بهذه الصورة..

سمر لا تبحثون عن الأسباب، وإنّما تحدثون دويّاً بعد أن تسمعوا ما آل إليه تجاهلكم..

مريم أخبرينا هل غرّر بك أحدهم..

سمر كاد يا أمي..

هيثم يا ويلك..!

سمر أجل يا ويلي.. لا شيءَ أبداً يعوّضني عن علاقتي بكم.. الجلسات التي كنت أجلسها مع والدةِ صاحبتي سلوى ووالدها أنقذتني من تقلباتي وأعادت إليّ توازني. لقد كانا يُشعران أسرتهما بمعنى العلاقات الأسرية الدافئة..كنتُ أتمنى أن أحظى منكَ بسؤال يا أبي عن حالتي، وظروفي، وأفكاري، دراستي الجامعية وعن نتائجي..

مريم كنتُ أحياناً أسألك كيف الدراسة..؟

سمر كلّكم لا تعبؤون..! ولذلك شعرتُ بأن لا أحد يكترث بي.. أتذكرُ يا أبي كم مرّةٍ طلبتُ منك أن تقفَ بجانبي فكنت تواجهني بشغلك وجريك وراء الحطام..

هيثم حطام..!! ماذا تقولين؟! حطام..! هل مسعاي من أجلكم، وكدحي من أجل حطام.. لمن تراني أعمل..

مهند كلّها لا تساوي جلسةَ ساعةٍ واحدةٍ يا أبي..

معاذ **(يسرح)** في يوم من الأيام، دخلتُ على أبي وأمي.. كانا يتشاجران.. **(يعيدون تمثيل المشهد، هيثم ومريم يتناقشان بحدة ومعاذ ينظرُ إليهما من الخلف)**

مريم كم مرّة قلت لك اذهب للمدرسةِ واسأل عن مستوى ابنك معاذ، ولكنّك دائماً تسوّف.. غداً.. بعد غد.. في المستقبل.. حتى أصبحت تقول لي لم لا تذهبين بنفسك..!

هيثم أجل لم لا تذهبين بنفسك.. لقد مللت هذا الطلب..

مريم لكن ابنك في مدرسةٍ حكومية ومعلموها رجال، فكيف تريدني أن أذهب بين رجالٍ وأسألهم..

هيثم لا أعتقد أنك أول أم ولا آخر أم تذهب إلى مدرسةٍ معلموها رجال..

مريم لكنّك موجود فلم أذهبُ بدلاً عنك..

هيثم لأنني وبكل بساطة لديّ مشاغل.

مريم وأنا أيضاً لدي مشاغلي الخاصة..أنت والده وتصرف.

هيثم وأنت أيضاً أمّه وتصرفي..

ينتهي المشهد

معاذ كنت أكفكفُ دموعي، وأنا أسمعهما يتناقلانني وكأنني كرة.. كلّ واحدٍ يتبرّأُ مني.. لقد كنتُ أفضل طالبٍ في الفصل.. لكنني أصبحتُ لا أكترث بشيء.. حتى واجباتي أهملتها.. فصلتُ من المدرسة.. ثم تدخّل مدرسٌ يلعبُ معنا الكرةَ في الحيِّ وأعادني..

مريم **(لهيثم)** أرأيت ما جنيته ياهيثم..

هيثم بل أنتِ التي تسببت في كلِّ هذا.. ألّا يقولون: الأم مدرسة..

مريم أكمل.. إذا أعددتها.. فهل أعددتني لهذه المسؤولية..

هيثم هذه ليست مسؤوليتي بل مسؤولية أهلك..

مهند أرجوكم.. أرجوكم.. لا نريدُ مشاجرة أخرى.. **(صمت)** كنتُ أتمنى أن أسمع أبي ينادي أمي بكلمة غير كلمة "أم مهند" أو "مريم"، كلمةٍ جميلة، عذبة.. وفي المقابل لم تكن أمي لتنادي أبي إلا بهيثم..

هيثم لم يعوّدنا أهلنا على هذه الكلمات.. أستحي أن أقول هذه الكلمات..

مهند تستحي أن تقولها لزوجتك.. وأمام أولادك.. هل تريدها صورةً طبق الأصل عن حياةِ أسرتك..

هيثم أنت لست في مقامِ النّاصح..

مهند أعتذر نسيت..! حسبت أننا قد عثرنا على المفتاح الضائع..!

سمر مهند محق.. كم تمنيت أن تقدم الشكر لأمي.. أو تقدمي له الشكر..

هيثم لماذا تلقون اللائمة عليَّ أنا وحدي.. ألا تشتركون في هذا.. أحسُّ أحياناً أنني غريبٌ وسطكم، أحاول كتم مشاعر الحسرةِ في قلبي.. يكلّمني الواحد منكم وكأنه يكلّم أي شخص في الشارع، وكثيراً ما ينادي الآخرين بكلمات رقيقة لا أحظى أنا بربعها.. لماذا هل تكرهونني إلى هذا الحدِّ.. أشعر بأنكم لا تتحدثون عني أمام أصحابكم.. **(ينظر إلى سمر)** لو جئتِ وطبعتِ قبلةً في رأسي وعبّرت عن حبك لي هل كنت ستجدينني صخرةً صمّاء.. بل حتى من الصخر ما يتفجّر منه الماء..

سمر أنت لا تحضر في البيت يا أبي.. برنامجك اليومي معروف.. عمل، غداء، نوم، خروج..

هيثم هذا لأنني أحس أنني أنا الغائب الحاضر بينكم.. أنني غير مقبولٍ منكم، ولهذا ألجأ إلى من أجد لديهم ذاتي..

مهند أعتقد أننا نحس بنفس الشعور كلّنا..

معاذ لهذا لا يبقى في البيت أحد..!

مهند لا أعتقد أننا نشعرُ حتى بإخوتنا.. تمنيتُ أن تكون سمر أختي قريبةً مني..

سمر هاه..! وهل كنتَ في يومٍ من الأيام قريباً مني.. نعم تتقرّب لأجل مصلحة.. سيارة، مبلغ، لكن لا عواطف بيننا..

معاذ أنا الذي تمنيت أكثر أخاً أو أختاً يرأفُ بي، يقرّبني، ينزلُ إلى مستوى عمري.. يضحك معي، يمازحني، نلعب معاً.. لكنني لم أكن أتلقى سوى الصفعات منك **(لمهند)** والسخرية منكِ **(لسمر)**.. **(صمت، بهمس)** جدران أسمك من جدران!!

هيثم **(بحرقة)** إذن كنّا نعيشُ ونحن نتظاهر بأننا أسرة متماسكة.. نسير ونجيءُ وكأننا قلبٌ واحد، لكن في الحقيقة كل واحد له عالمه الخاص خارج البيت.. كلّنا نجيد الظهور المزيّف، كلّنا نجيد المجاملات..

مريم هل الحكاية في الأصل كبيرة، أم تراكم قمتم بإعطائها حجماً لا تستحقه.. كل واحدٍ يلوم الآخر.. يقرّع الآخر.. من المذنب هنا.. لا تقولوا أنت..

هيثم **(محتجاً)** ولا تقولوا أنتَ.. **(يسمع صوت المفتاح تحته، ويبدو أن رجله قد وطئت المفتاح، يتوقف متفاجئاً الجميع يهبُّون، يتراجعون، يلتقطُ المفتاح)** يبدو أن المفتاح الضائع كان مفتاحاً آخر.. **(يرميه أمامهم، صمت، يكمل)** إن ما سمعته يجعلني أدرك الآن يقيناً أنّه

ما إن ينبت جناحان لكلّ واحدٍ منكم حتى (ينظر إلى المفتاح) حتى.. (يهبُّ لالتقاط المفتاح، ويهرع نحو الباب.. يهرع الجميع وراءه).

نهاية المسرحية

صفحة بيضاء
رقم ١٤٤

مسرحيّة

ذاكرة الحيطان

فكرةُ المسرحيّة

المسرحيّة مستوحاةٌ من خبر بسيط قرأته عن تعرُّضِ منزل الكاتب المسرحي الراحل سعد الله ونوس للارتجاجِ نتيجة تصليح جيرانه لشقتهم الواقعة أعلى شقّته، وسقوط مياه المجاري على كتبه.

الشخصيات

الكاتب

مجيدة : أرملة الكاتب الراحل

سهام : ابنة الكاتب الراحل

تامر : شاب في الثلاثين، يودُّ الاقتران بسهام

سميرة : صحفية

المدعي العام

اللاعب

المهندس

الشرطي

صفحة بيضاء
رقم ١٤٨

المشهد الأول

سهام **(وهي تطالعُ مكتبةَ أبيها الرّاحل، وتتأملُ كُتُبه)** لقد رحلتَ جسداً يا أبي لكنَّك باقٍ في كلِّ شيءٍ حولنا، بل إنني أشتمُّ رائحةَ جسدك عالقة في ثنايا الأوراق..وزوايا المكان.. وفوق ذلك فرائحةُ أعمالك الخالدة طاغيةٌ على كلِّ شيء..**(تناجي صورته)** إن دُور العرضِ يا أبي ما زالت تتبارى من أجل عرض مسرحيّاتك العظيمة، في الوقت الذي تتبارزُ فيه المدارسُ لعرضِ مسرحيّاتك.. إنّما يتبقى شيءٌ واحدٌ يا أبي.. **(تسرح عن الصورة)** شيءٌ واحدٌ نحلمُ به أنا وأمي، وبقيّة أصدقائك يا أبي.. وهو أن يُصبحَ هذا البيتُ متحفاً للزوّار من محبِّي أعمالك، وعشّاقها..

(يظهرُ والدها الرّاحل، وسيكونُ حوارها معه هي فقط، بحيث لا يظهر للشخصيات الأخرى)

الكاتب لستُ أدري يا سهام إن كانت أمنيتك واقعيّة..!!

سهام لمَ يا أبي.. ألا تستحقُّ أن تخلّد أعمالك في متحف إذا كانت تعدُّ ثروةً للشعب؟

الكاتب أنت تعتقدين هذا يا بنتي.. لكن أن يخلّد كاتبٌ في هذه المجتمعات، فهذا شبهُ محال..!!

سهام أليس الفكرُ هو أساس التّقدم، أليس هو المنقذَ الفعلي من ظلماتِ الجهل، ومصائب التّخلف، أليست الكلمة هي مفتاحَ البصيرة، وشمعةَ الخُطا؟!

الكاتب آه، يا بنتي إنك تفتحين في قلبي جرحاً قديماً، ناتئاً ظلَّ مفتوحاً في قلبي حتى مت.. أراحني منه الموت، تصوَّري الموت راحة يا سهام..

مجيدة **(تدخلُ وهي تحمل كوبين من الشّاي، يظل الكاتبُ في المسرحِ يحومُ حولهم لكن سهام هي التي تراهُ فقط)** أما زلتِ تناجينَ والدك يا سهام..

سهام وسأظلُّ أناجيهِ ما حييت.. حتى يكتب الله لي لقاءه..

مجيدة بعد عمرٍ طويل إن شاء الله.

سهام إنّه حولنا يا أمي.. حولنا في كلِّ شيء، حضورهُ طاغٍ..! بالأمسِ حضرتُ عرضاً مسرحيّاً في مدرستي لإحدى مسرحيّاته.. إنّها رائعةٌ يا أمي، قراءتها شيءٌ ومشاهدتها على المسرحِ شيءٌ آخر.. لم تفقد طزاجتها مطلقاً.

مجيدة هذا لأن والدك كان يستقرئ الواقع، ويتنبأ بالمستقبل..!

سهام ليس لأنّه والدي، ولكنني أفتخرُ بكوني أحمل اسمه دائماً..

الكاتب لقد كبرت ونضجتِ إذن يا سهام، كم يسرُّني ذلك.

سهام تربيتك يا أبي..

مجيدة الإرث المسرحي الذي تركهُ والدك الرائد عظيم يا سهام.. لكنها تركةٌ كبيرةٌ على كاهلي يا بنتي..

الكاتبُ هذا آخرُ ما كنتُ أفكّر فيه يا حبيبتي مجيدة، أن أتركَ تركةً ثقيلة على كاهلك..

سهام لا تستعجل يا أبي.. وكيف ذلك يا أمي؟

مجيدة انظري إلى هذه الكتب، (**يذهب الكاتب ليتفحصها مستذكراً**) والمسوَّدات التي خطّها بيده، وخربشاتهِ الأولى، وتخطيطات نصوصه، انظري إلى أقلامهِ، ومحبرته، وصوره، ومؤلّفاته، ومقالاته.. إنّها ثروةٌ قوميّة كان لا بدَّ أن ينتبه لها المسؤولون.. ويولوها اهتماماً كبيراً.. كم مرةٍ قابلت مسؤولاً، أو كتبتُ خطاباً أناشدُ فيه الحكومة أن تجعل هذا البيت، بيت الرّاحل عبدالباري السّعيد متحفاً يؤمُّه كل من عرف أعماله فعشقها، وأعجبَ بفنّه.. لكن لا حياةَ لمن تنادي.. أعذارٌ، ووعود دون أفاعيل..

الكاتبُ لقد تجشّمتِ عناءً يا حبيبتي، وليتني قلتُ لك ألا تفعلي شيئاً، لأنني كنت أدركُ أن جهدك كان سيكون هباءً منثوراً..!!

سهام لم يكن لها إلّا أن تفعل ذلك يا أبي.. ولكن (**لأمها**) أيُعقلُ هذا.. إن أثرَ أبي في ثقافةِ هذه البلادِ مشهودٌ له، حتى إنّه من النّادرِ أن ينظّم مهرجانٌ ثقافيٌّ، أو تعقد

ندوةٌ مسرحيّة دون أن يذكر فيها اسمه، أو تقتطف عبارةٌ من عباراته..

(تسمعُ جلبة خارجيّة، أصوات بشر، أصوات شاحنات)

مجيدة ما هذه الجَلبة؟.. ما الذي يحدث؟ ما هذه الأصوات؟

(سهام تجري نحو النافذة)

سهام أرى عمّالاً، وشاحنة وسيارة صغيرة..

مجيدة ما معنى هذا؟

(يدخل تامر السيّد، يريدُ خطبة سهام، وهو شخصيّة تحبُّ التظاهر، والتفاخر)

تامر معناه واضح يا عمّتي.. وهو أنني أبلغتُ المحافظ شخصيّاً.. شخصيّاً حينما كنّا بالأمسِ في حفلِ غداءٍ ببيته، دعاني إليه بصحبةِ بعض الوجهاءِ ورجال الأعمال.. على أن يحوّل بيت الكاتب الكبير الرّاحل عبدالباري السّعيد إلى متحف قومي.. فأجابني على الفور قائلاً: إنّك صاحبُ أفكارٍ بنّاءةٍ يا تامر..

سهام **(بغمزٍ لا يخلو من التشكيك)** ما شاء الله، أخبرته بالأمس، واليوم يبدأ العمل!!

تامر أنتِ لا تعرفين بعدُ من هو تامر..!! كما يقول المثل **(من لا يعرف الصقرَ يشويه)**..!

مجيدة أووه تامر كم أنا ممتنّةٌ لك..لا أكادُ أصدِّق ما أسمع.. **(تامر ينظر إلى سهام)** أنت تثبتُ الآن أنّك صاحبُ كلمةٍ مقدّرةٍ عند المحافظ..

سهام نتمنى أن يكون هذا صحيحاً هذه المرّة..

تامر **(وقد ملأه الزّهو)** قلتُ له: إن حيطان بيت الكاتب الكبير الرّاحل عبدالباري السّعيد تزنُ ذهباً، فما بالك بما تحتويهِ الحيطان؟!

مجيدة يالك من متحدِّثٍ، أريبٍ، لبق.. لم أكن أظنُّ أن لك هذه الجرأة، والبلاغة..!

تامر أتواضعُ كثيراً يا عمّتي.. لكن بعض النّاس لا يُدركُ ما يكمنُ تحت إبطي **(وهو يجنّحُ بيديه)** أقصدُ تحت جوانحي من دُرر..!! فأنا صاحبُ بلاغةٍ لا تُبارى، وخطابةٍ لا زحفَ فيها هنا.. ولا حشو فيها هناك..!

مجيدة **(وهي تنظرُ إلى سهام)** أعتقدُ أنّك قد قلبت الأمورَ رأساً على عقب يا تامر وأثبتَّ أنك على قدر كلمتك..

(يُطرق الباب، يدخلُ مهندس يعتمرُ خوذةً على رأسه)

المهندس **(وهو ينظر إلى الأوراق التي بحوزته)** هل هذا هو المكانُ المرادُ صيانته؟

مجيدة تقصدُ المرادُ تحويلهُ إلى متحفٍ وطني..!

المهندس ليس هذا من شأني، إنّما عملي إنشائيٌّ وحسب..

تامر **(يتدخّل)** أجل.. أجل، هو المكان بلا ريب.. هل أنت متشكِّك؟ طالع ما هو مكتوبٌ في الأوراق.. **(ينزع الأوراق من يدي المهندس، ليتأكّد)** ها هو العنوان، أيها الصديق..واضحٌ وضوح القمر أقصدُ الشمس في النهار..!

المهندس غير متشكّك ولكنّني أيضاً غير متيقِّن..

مجيدة من ذا الذي يخطئ بيت عبدالباري السّعيد..؟!

تامر يا صاحبي.. الأمور واضحة، هذا هو بيت الكاتب الكبير الرّاحل عبدالباري السّعيد..

المهندس إذن علينا أن نجلس لمناقشةِ بعض الإجراءات الخاصّة بهذا المشروع..

(يجلس تامر، مجيدة، بينما تتّجه سهام إلى والدها، تزفُّ إليه البُشرى)

سهام أخيراً تحقَّق حلمنا يا أبي.. أخيراً سيكون بيت عبدالباري السّعيد مزاراً لكلِّ عشّاق كلماته، ومتحفاً وطنيّاً لمحبي أعماله الفنيّة العظيمة..ما شعورك يا أبي..؟!

الكاتبُ **(غير متفائل)** سهام ابنتي.. لا أريدُ أن أطفئ شموع الفرحةِ في قلبك وقد توهَّجت منذ قليل..

سهام **(بخيبة أمل)** ماذا تعني يا أبي..؟

الكاتبُ اسمعي يا حبيبتي.. إننا محكومون بالأمل.. سنظلُّ محكومين بالأمل..!!

سهام ها أنت سمعت تامراً يخبرنا عن حديثه مع المحافظ..

الكاتبُ **(مستهتراً)** تامر..!!

سهام لكنك رأيت بأمِّ عينيك يا أبي المهندس وهو يدخل، والآن يتناقشُ حول بعض الإجراءات الرّوتينيّة.. أنت عشت دائماً تغذي فينا الأمل يا أبي..

الكاتبُ أجل يا بنتي.. إننا بالفعلِ محكومون بالأمل، ولا شيء غيره..

المهندس **(وهو ينهض)** إذن فقد اتفقنا.. وسنبدأ العمل فوراً، لأن قرار مجلس الشّعب يحتّمُ عليَّ البدءَ فوراً دون توانٍ..!

مجيدة هذا أمرٌ رائع.. كنتُ أعرفُ أن الحكومة ستدركُ فضل الكاتبِ الرّاحلِ على الثقافة والوطن..

المهندس كما تعلمين سيّدتي أنني مهندسٌ معماري، كل ما يسكنُ في هذا الرأسِ أدواتُ البناءِ، من طوب وحديدٍ وأخشاب.. **(يضحكون)**.. على العموم أستأذنُكم الآن.

مجيدة صاحبتك السلامة يا مهندس.

تامر إلى اللّقاء يا صاحبي..

سهام قل لهم شكراً.. وعُد سريعاً..

المهندس أين أنا منهم يا بنتي.. لا تحمّليني سلاماً فوق الطوبِ الذي يُثقلُ رأسي..!! **(يضحكون، يخرج)**

مجيدة **(تمسكُ بابنتها)** أخيراً يا سهام.. أخيراً سيكون لحبيبي الرّاحل والدك متحف..

سهام الحمد لله أنّهم أدركوا هذا..

تامر ماذا تعنين أدركوا.. إنهم لم يكونوا ليدركوا لو لم يكن أحدٌ وراءهم، يحثّهم ويحرّك الموضوع.. ولولا هذا الواحد والذي هو **(يضع إصبعاً على رأسه للإشارةِ إليه)** لما تحرك الموضوع قيد أنملة..!

سهام **(لم تكن تنظرُ إليه)** آه تقصدُ نفسك..!

مجيدة أووه بالتأكيدِ يا سهام، فتامر هو الذي كان وراء هذا الموضوع، وعلاقته مع المحافظ مكّنته من الحديثِ معه..

تامر وبكلِّ أريحيّةٍ.. بل لومته يا عمّتي.. لومته! أقصدُ أنني وبّخته..!

سهام **(ساخرة)** وبّختهُ أيضاً.

تامر نعم وبّختهُ على تقصيره **(سهام تلوي شفتيها استهزاءً على جنب)** في عدم الاهتمام بعلمٍ من أعلام الثقافةِ في هذه البلاد.. فكم كان فضلُ المرحومِ على الآخرين الذين عشقوا أفكاره، واستمتعوا بمسرحياته..؟! وتنفّسوا هواء المسـ..

سهام **(مقاطعةً)** حسناً عرفنا القصّة.. والآن..

مجيدة **(تهمس لها)** خفِّفي من قسوتكِ عليه، فما إخاله إلّا صادقاً، ومحبّاً لك..وطامحاً بهذا العمل إلى إرضائك..

تامر الآن لم يتبق لنا إلّا أن نكلّل القصّة بالزّواج يا سهام، فكم كنتُ أسعى وراء هذا المطلب منذ زمن، وهذا كان شرطها وقد تحقَّق..!!

سهام أنت تعرفُ رأيي في هذا الموضوع، إنني لا أفكرُ إطلاقاً في الزّواج، فلماذا ترهقني بسؤالك الملحِّ..

تامر ولكن الشرط الذي كان يحول دون موافقتك قد تحقق فما الذي تنتظرينه بعد؟

مجيدة (**متدخلة**) أنا متأكّدةٌ بأنها ستفكّر جديّاً هذه المرة، خاصةً بعد جهدك في موضوعِ البيت يا تامر..

تامر والله يا عمتي لقد فعلتُ ما فعلته لأجلها...

سهام لأجلي..!

تامر (**مرتبكاً**) أقصدُ لأجلها ولأجل كاتبنا العظيم المرحوم.. (**يرفع يديه داعياً**) تغمّد الله ثراه.. (**يطرق الباب، تدخل الصحفيّة سميرة صديقة سهام**).

مجيدة مرحباً يا سميرة..

تامر (**يطالع سميرة بنظراتٍ ذات معانٍ**) مرحباً.. مرحباً بالصحفية اللّامعة.. (**لا تأبه له، تحضن مجيدة وابنتها سهام**).

سميرة مرحباً خالتي.. عذراً فقد دفعني فضول الصحافةِ حينما رأيتُ العمّال في الخارجِ وأدوات الإنشاءات..

مجيدة اتركنا الآن يا تامر..

تامر ربما يكون وجودي ضرورياً.. فربَّ مئة امرأة في بيت لا يغنين عن رجلٍ واحدٍ حينما تحينُ النوائب، وتشتدُّ المحن..

سميرة أبعد الله النوائب والمحن عنّا..

سهام اطمئن.. فنحنُ أقوى من بعض الرّجال المتبجِّحين (**تقصده**)..!!

تامر (**أحسَّ بالحرج**) حسناً سأستأذنُ الآن.. وسأراكم غداً مع

بدء العمل..في مشروع المتحف الوطني للكاتب الكبير عبدالباري السّعيد (**يخرج**).

سميرة إذن فحدسي الصحفيّ لا يخيب..

مجيدة وماذا كان حدسك أيتها الصحفيّة؟

سميرة تحويلُ بيت المرحوم الكاتب الكبير عبدالباري السعيد إلى متحف.. وها هي الأمنيةُ تتحقق..

سهام لا تتصورين يا سميرة كم سعدت أنا وأمي لهذا المشروع الكبير..

سميرة بالطبعِ، فهذا مشروعٌ لا يخصُّكما وحدكما بل الأمّة أجمعها، فكم انطوت مسرحياتُ المرحوم على هموم الأمّةِ وعلى أوجاعها، وآمالها، وأشواقها، أفلا تجازيه الأمّة بتخليدِ اسمه..؟ وإذا لم يخلّد من ساهم في تثقيفِ النّاس ووعيهم فمن يخلّدُ إذن..؟!

مجيدة كلامك سليم، ومنطقي يا سميرة، ولم نعدم وجود المسؤولين الذين أخذ الموضوع منهم وقتاً طويلاً إلّا أنهم بادروا في النهايةِ بالبدءِ في المشروع..

سميرة إذن فمجيئي إلى هنا ليس للنزهةِ بل لعمل تحقيق صحفي عن هذا المشروع الكبير بتحويل بيت الكاتب الكبير عبدالباري السعيد إلى متحف وطني.. ما رأيكم..؟

مجيدة سأمدّك بكلِّ ما تحتاجين من صورٍ ومعلومات..

سهام أقترحُ أن نؤجّل هذا التحقيق حتى يكتمل العمل..

سميرة هل تنتظرين أن يأتي أحد ويحوز السبق الصحفي بدلاً عني، وحينها سأقول إن السبب هي سهام..؟!

سهام أقصدُ أن..

سميرة لن يكتب عن هذا الموضوع غيري، وبأقصى سرعة.. لأنّه سيسعدُ الكثيرين.

مجيدة وبالتأكيد، سيغضب ناقمين كثيرين..

سميرة هؤلاءِ لا يستريحُ الناسُ منهم أمواتاً أو أحياء.. إذن فقد اتفقنا..

ينتهي المشهد

المشهد الثاني

(بدء العمل في البيت، عاملان برفقة المهندس يزيحان بعض الطاولات.. مجيدة تحضر لهم الشاي)

مجيدة الشاي الأحمر بالنّعناع.

المهندس هذا كرمٌ منك يا سيِّدتي.. أخشى ألا يكون لدينا الوقت لشربه..

مجيدة لن يأخذ منكم شربه إلّا ثوانيَ فقط..

المهندس (يهمس) أرجوك يا سيدة مجيدة لا تدلعينا كثيراً، وإلّا فإن العمل لن يُنجز خاصّة إذا كنت تجيدين طبخ الطّعام.. (يضحكان).

مجيدة سآخذ بالجزء الأكبر من النصيحة، وأترك جزأها الأصغر لشاي النعناع..

المهندس معقول.. إذن (وهو يرتشف جرعة من الشاي) سنزيح الطاولات والكراسي بدايةً، ثم نبدأ بإزاحة الكتب من الأرفف..

مجيدة الكتبُ لا! سأتولى أنا وسهام إنزال الكتب، هذا عملنا، نخشى أن يصيبها أي ضرر..!

المهندس معاذ الله سيدتي.. لا تخشي شيئاً، نحن حـ..

مجيدة (مقاطعة) أرجوكم ضعوا أيديكم على كل شيءٍ إلّا كتب زوجي الرّاحل، فهي لن تأنسَ إلّا بملمسِ أيادينا، نحن فقط من يعرفُ كيف يرفعها من مكانها ويحطُّها في مكانٍ آخر.. علاقتنا حميميَّةٌ بها، إنّها الإرث الكبير الذي تركه زوجي الحبيب لنا وللأمّة أيضاً..

المهندس اعذريني سيدتي، فأنا كما قلت سابقاً أتعاملُ مع الأشياءِ من منطقٍ عملي، وليس من منطقٍ عاطفي.. ولذلك سأدع لكما هذا الأمر..

(تدخل سميرة وسهام، تحملُ سهام في يدها الخبر الصّحفي حول المشروع)

سهام اقرئي يا أمي ما كتبتهُ سميرة في هذا التحقيق..

مجيدة أنتظره بفارغ الصبر.. **(تأخذ الجريدة)**..

سهام وإن كنتُ أخشى أن يثير الخبرُ كيد الحاسدين..!

سميرة ماذا قلنا يا سهام؟ الخبرُ نُشر بكل التفاصيل.. صدقيني يا سهام، إن أثر والدك على ثقافةِ هذا البلد وعلى الأمّة العربيّة كبير، فمسرحيّاته تجسِّد أمراضها، وتطرحُ قضاياها، ولهذا أضحى علماً لم يخبُ ولن يخبو مع رحيله الجسدي.. وهذا أقلُّ واجبٍ يمكن للدولةِ أن تفعلهُ من أجله..

مجيدة تحقيقٌ رائع يا سميرة، أتمنى لك التوفيق في مسيرتك

الصحفية، لتصبحي أنت الأخرى علماً في الصّحافةِ يشارُ إليه بالبنانِ..

سميرة يا رب.. دعواتك يا خالتي..

(يدخل تامر، وفي يده الصحيفة، وهو مستاءٌ جداً، ودون أن يلاحظ وجود سميرة)

تامر **(غاضباً، رافعاً صوته)** كيف تأتّى لهذه الصحفيّةِ الوقحة أن تكتب تحقيقاً حول هذا المشروع..؟

سهام هذّب ألفاظك من فضلك..

تامر **(ينتبه لوجود سميرة، يخفض صوته)** عذراً ولكن كان تحقيقاً متهوراً عن المشروع وهو في بدايته..؟

سميرة ما مشكلتك مع التحقيق الصحفي؟

تامر **(مرتبكاً)** مشكلتي أنا..! أنا ليس لدي مشكلة.. المشكلة ستقعُ على رأسك أنتِ..

سميرة رأسي أنا..!

مجيدة تمهّل يا تامر، واسترح، واشرح لنا ماذا يعني نشر التحقيق الصحفي..!!

تامر **(مرتبكاً)** لا أدري يا عمتي.. لكن بالتأكيد لن تكون النتائج حميدة..

سهام ربمّا عليك وحدك..!

تامر بل علينا جميعاً..!!

سهام أشعرُ أن هناك أمراً خفيّاً يا تامر.. لعلّك تُخفي شيئاً..

تامر أنا! أخفي شيئاً!! لا..لا..

مجيدة يا تامر، مم تخشى وأنت المقرّب عند المحافظ كما تقول..

سهام تامر يقول أشياءَ كثيرةً يا أمي ولكن..!!

تامر ماذا تعنين؟!

مجيدة (تنهر سهام) سهام!! (لتامر) اهدأ وقل لنا ما المشكلة..؟!

(يُطرق الباب.. يدخل المدعي العام..وبرفقته شرطي)

المدعي العام(للمهندس) أوقفوا العمل..

المهندس عفواً..!!

مجيدة من أنت حتى توقف العمل..

المهندس لن أتوقف عن عملي إلّا بأمر مسؤولي الأعلى.

المدعي العاموأنا لدي الصلاحيات كي أوقفك أنت ومسؤولك الأعلى..

المهندس من تكون حضرتك؟

المدعي العامأنا المدعي العام.. (**يتفاجأ الجميع، لحظة صمت**)

تامر (**مرتبكاً**) هذه أول المصائب..!!

مجيدة ما الذي حدث يا حضرة المدعي العام.. تحضرُ بنفسك لتوقف العمل..

المدعي العامليس هذا فحسب، بل إنني أصدرتُ أمراً بالتحقيق مع

هذا المهندس، والصحفيّة التي كتبت التحقيق المنشور في صحيفة (**الوفاء الوطني**).

سميرة (**خائفة**) ما الجرم الذي فعلته يا سيادة المدعي العام؟ أنا لم أكتب عن فراغ..

المدعي العام إذن أنتِ هي.. بل كتبتِ عن فراغ.. فالحكومة لم تبذّر مالها العام في تحويل منزل كاتبٍ إلى متحف.. لم يكن هذا في حسبانها إطلاقاً.. (**ينظرون بعضهم إلى بعض**) هذا ما ينقصنا: متحفٌ لكاتب..!!

مجيدة (**لتامر**) وحديثك إلى سيادة المحافظ..!!

المدعي العام حديث من تقصدين إلى المحافظ..؟

تامر لا شيء يا سيدي.. لا شيء، ربما سمعت عن إشاعة، أنت تعلم يا سيّدي أن الإشاعات أحياناً يصدّقها النّاس، وللأسف تصبح واقعاً..

سهام إشاعات..!! ألم تقل لنا إنّك قد تحدّثت مع المحافظ و..

تامر (**مقاطعاً**) المحافظ رجلٌ متواضع يتحدّث مع كل الناس من كلِّ الشرائح حول شؤون المجتمع، ما العيبُ في ذلك..؟

مجيدة (**تحوّل مسار الموضوع**) ما الذي حدث يا سيادة المدعي العام.. أرجوك فنحن في حيرةٍ من الأمر..

المدعي العام الحكومة منحت لاعب كرة القدم المشهور منصور شعبولا شقّةً سكنيّة لأنّه كان أفضل لاعب في الدوري

هذا العام.. ولأنّه زرعَ الحماسةَ لدى الكثيرين ممن لم يكونوا يعرفون لعبةَ كرة القدم بفنّه الرّائع.. ولحسن حظّكم فقد أراد أن يكون جاراً لكم، مصرّاً على قراره بالحصول على الشقة العليا..

مجيدة (مستنكرة) لحسن حظّنا..!

المدعي العام نعم لحسن حظّكم، فقد اختار الشقة العليا مباشرةً، ولهذا تكفّلت الحكومة بصيانتها كاملةً، وتأثيثها.. لكن المصيبة التي حدثت أن هذا المهندس المخبول الذي لا يعرف عمله أخطأ في العنوان..

المهندس لقد نُقلت إليَّ المعلومةُ هكذا..

المدعي العام من هذا الذي سوّلت له نفسه نقل المعلومة الخاطئة لك؟

المهندس (متردداً).. المعلومةُ نقلها لي هذا الرّجل.. تامر..!! **(دهشة من الأم وابنتها).**

تامر إنني يا سيّدي..

المدعي العام لا تقل شيئاً، وفّر طاقتك للمحاكمة، فهناك سيكون لديهم الصّبر كي يسمعوا مرافعتك أو دفاعك، أيّاً ما يكون..!!

مجيدة كيف ذلك يا سيِّدي..

المدعي العام عفواً.. كيف ماذا؟

مجيدة زوجي الرّاحل كاتبٌ كبير، انظر.. كتبه، دفاتره، مسودّاته، مقالاته، مقابلاته.. كل شيءٍ عنه.. كم أثرى

الساحةَ الثقافية بأفكارهِ وأطروحاته..

المدعي العام تقصدين أثراها بمجادلاته، وأسئلته التي لا تنتهي..

سهام أسئلته هي التي حرّكت الكثير من القضايا البليدة..

المدعي العام البلدُ لا يحتاجُ لمن يثيرُ أسئلةً، بل إلى من يُحرزُ أهدافاً في المرمى..!! هذا هو الفرق بين الكاتب الرّاحل (**يحرّك يديه علامةً على الرحيل**) الذي أثار زوبعةً في حياته، وبين اللاعب منصور شعبولا..! هناك فرق بين زوبعةٍ في فنجان، كما هي زوبعة الرّاحل، وبين زوبعةٍ في ميدان كما هي زوبعة اللاعب الكبير منصور شعبولا..!!

مجيدة أيّ مقارنةٍ تعقدُ أيّها المسؤول الكبير..؟

المدعي العام تعلمين يا سيدتي أن كل بلدٍ يحتاجُ إلى التضامنِ والوحدة وهذا ما يحقّقه لاعب كرة القدم، ولا يحتاجُ في المقابل إلى إثارةِ أسئلةٍ جدليّة غير واقعيّة، تقلّبُ المواجع، وتخفقُ بأفكارها بعيداً عن الواقعِ المعاش.. إن الكاتب الرّاحل كان يملأ المساحات البيضاءَ سواداً.. حتى تصبح مأتماً حزيناً.. بينما يملأ اللاعب المشهور منصور شعبولا المساحات الخضراء أهدافاً رائعةً، بل قولي يملؤها أزهاراً جميلة.. حتى يُحيلَ المدرجات المليئة بالجمهور الغفير إلى حقولٍ ملوّنةٍ تهيمُ، وتُطرب لكلِّ هدفٍ يسجّله.. ولذلك رأى مجلس الشّعب بأغلبيةٍ ساحقة والحكومة مكافأته على جهوده والتي كان ضمنها

هذه الشّقة السّكنيّة.. هل شاهدتم المباراة الأخيرة.. أووه لقد سجّل هدفاً رائعاً في المقصِّ من مسافةٍ تزيدُ على خمسة وثلاثين متراً.. يا إلهي لقد قفزتُ دون شعوري من الكرسي، فسقطت على ظهري، وتحطّم زجاج الطاولة التي كانت أمامي، وانكسرت الأكواب، وانسكبت العصائر، وانتثرت المكسّرات.. (**يضحك وحده، ينظر إلى الشرطي فيشاركه الضحك مجاملةً**) لقد جُرحت في ركبتي، لكن الهدف كان يستحق كل هذه الحماقة اللّطيفة..!!

مجيدة (**ساخرة**) أيّةُ مقارنةٍ هذه التي تعقدها بين الكاتب الكبير عبد الباري السعيد وهذا الشعبولا..!!

المدعي العام يمكنني أن أعتبر كلامك هذا جاداً، وأن أفتح لك بسببه ملفاً معقّداً..!!

(أصوات خارجيّة، صوت اللّاعب منصور شعبولا محتجّاً)

المدعي العام إنّه صوته..!! أعرفُ صوته من بعيد فالإعلانات في المذياع والتلفاز جعلت صوته يزنُّ كما يزنُّ البعوضُ آخر اللّيل..!! يا إلهي كنت أتمنى لو كانت تجمعني به فرصةٌ أفضل..!!

تامر أستأذن يا سيادة المدعي العام.

المدعي العام (**بحزم**) بل عليك الانتظار، سترافقني حتى المكتب لنشرب الشاي معاً..!!

(يدخل منصور شعبولاً، في هيئة غير مرتّبة، يلبس نعال حمّامٍ، وقميصاً رياضياً، وبنطال نوم)

المدعي العام مرحباً، مرحباً بلاعبنا الكبير..

منصور **(لا يأبه له، ولا يوليه انتباهه)** أخبروني من الّذي ضحك على ذقن العاملين وكذب عليهم بأن هذه هي الشّقة التي اخترتها..

المدعي العام اهدأ يا لاعبنا الكبير، المسألة بسيطة.. بسيطة للغاية، وسوف أتخذُ الإجراءات الرّادعة ضد الذين تسبّبوا في هذه الإشكاليّة..!

منصور من أين لي أن أعلم ما يحدث في الشقّة الخطأ لو لم ينشر خبر التحقيق الصحفي.. **(ينظر إلى سميرة)** أنت التي كتبتِ الخبر صحيح..؟

سميرة نعم أنا..

منصور رأيتُ صورتك.. أنتِ أحلى في الواقع..!!.. عموماً أولاً أشكرك لأنك لو لم تكتبي الخبر لكنتُ أنا أحلمُ في سريري بالانتقالِ إلى الشقّة الجديدة في أقرب فرصة، وسأتفاجأ أن حضرات العاملين الأذكياء ورئيسهم المهندس الفهيم قد قاموا بصيانة وتأثيث الشقّة الخطأ..وعندها سيغمى عليَّ.. فشكراً.. ولكن عليك أن تنشري خبراً بالاعتذار عن الخطأ الفادح الذي وقعت فيه وأن مشروع الصيانة يخص الشقة الممنوحة لمنصور شعبولا.

سميرة اعذرني فلن أنشر شيئاً من هذا..

المدعي العام ولن تتمكن حتى من مزاولةِ مهنتها..

سميرة ماذا الذي تقوله..؟

المدعي العام لقد تم طردك من العمل، وسينشرُ إيضاحٌ غداً حول المشروع الحقيقي.. لقد أوقعتنا في ورطة بتحقيقك هذا..

منصور غريبٌ أمر هؤلاءِ النّاس.. يعقدون مقارنات لا تجوز بين أهميّة كاتبٍ لا يحضرُ جلسةً ثلاثةُ أرباعها كراسي فارغة، وبين لاعب كرةٍ يعادُ أغلبُ جماهيره من بوابات الدخول لامتلاء المدرجات..!!

سهام (**محتجّة**) أبي لم يكن كأي كاتب.. أبي ألّف عشرات المسرحيّات..

منصور وأنا سجّلت مئات الأهداف..ها ها..!

سهام أبي خاطب العقل والوجدان، وأثرى ثقافة الناس.. انظر إلى تلك الكتب المؤلّفة..

منصور لا قيمة لها عندي وعندي أغلب النّاس.. الناس تبحث عن الهدف وليس عن الوسيلة، وأنا أحرز لهم أهدافهم..!!

مجيدة مع احترامي لك يا سيادة المدعي العام، (**لمنصور**) أرجو أن تغادر فوراً هذا البيت، ولا تخطو فيه خطوة أخرى..

المدعي العام (**محتجاً**) تطردينه في حضرتي..!!

منصور (معانداً) لن أخرج (يتّجه نحو الكتب، فيسقطها من الأرفف، تسلّط بقعة إظلام عليه ترافقه) وسأخطو مرةً، وثانيةً، وثالثة، ولن يهمّني شيء، ولن تستطيعي إخراجي..

(يسمع صدى صوت مجيدة وسهام)

مجيدة تدخّل أرجوك يا سيادة المدعي العام وامنعه.. لا يمكن تركه ينسف كتب الراحل الكبير نسفاً من أرففها.. لقد غرّرت له نفسه فعل ذلك.. أرجوك امنعه..

سهام لا يمكنُ له أن يفعل ما يشاء، إنّها أشياءُ أغلى من قلوبنا..

(يصطدم بالكاتب، بقعة الضوء تجمعهما، يشعر منصور بخوف، ولكنّه يستجمعُ قواه)

الكاتبُ (بضحكة رزينةٍ هازئة) المعرفةُ التي غرستها أنا هنا.. في العقل.. فلا تظنّن أنّك حينما تسقطها تتكسّر، كما يسقطُ دورقٌ أو قنينةٌ فتنكسرُ فتكْنَسُ فينتهي أثرُها..!

منصور أتعلمْ..! لم أختر الشقّة العليا هكذا عبطاً، (حاقداً) لقد أشار عليَّ بعض الأصدقاءِ ممن تظنّهم في صفّكم باختيارها لتكون شقتك السّفلى وشقّتي العليا..

الكاتبُ يا صديقي.. فضيلةُ السموِّ ليست أعظم درجةً عند ساكني الأدوار العليا لارتفاعهم.. السموُّ هو سموُّ العقل..

منصور (متحدّياً) وشهرتي ستلغي كل أثرٍ لك في المكانِ، لأن

شهرتي ستطغى على شهرتك..

الكاتبُ في هذه أنت محق..

منصور **(حركة انتصار)**

الكاتبُ **(معقّباً)** ولكن ليس لأنّك صنعتها، بل صُنعت لك لغاياتٍ..

منصور أنا مشهور لأنني أحرزُ أهدافاً..

الكاتبُ يا صاحبي..! الأهداف التي تحرزها إنّما هي لأهداف أخرى، في لعبةٍ أكبر..!!

منصور وصلتُ معك إلى غايةٍ غامضة.!! قل لي: كيف تتأتى لك صياغة الكلام..؟

الكاتبُ لأنني لا أركل الكلامَ كما تركلُ أنت الكرة يا صاحبي.. بل أصوغه صياغة الذهب بدقةٍ متناهية.. هل يتغيّر الذّهب..؟

ينتهي المشهد

المشهد الثالث

(غبار يكسو قطع الأثاث، البيت يرتج، أشياء تسقطُ من على الأرفف..)

مجيدة (**من الخارج**) لقد استأنفوا العمل ثانيةً.. أسرعي يا سهام!!

سهام (**تدخل سهام مسرعة كي تتلافى سقوط الأشياء من هذا الرفِّ أو ذاك.. تتحدّث وسط الفوضى والضجيج**) ياعيب الشوم.. يا للمصيبة التي داهمتنا.. من سيوقف هذه المهزلة.. تحدّثي يا حيطانُ.. أخبريهم ما تحتوينه بين جوانحك من أفكار الكاتب الكبير.. قولي لهم إن عبد الباري السّعيد حمل همَّ الأمّةِ، وأشواقها على كاهله حتى رحل وبقيت مؤلفاته وكلماته، قولي لهم إنّهم يسيئون للتاريخ حينما يرجّون حيطان بيته رجّاً قاسياً..

مجيدة (**تدخل، محذّرة**) احذري، سيسقط القناع الإفريقي..

سهام أين هو..؟

مجيدة يا رافع السموات..! لقد سقط القناع.. وكسر مشعّ

التدفئة المركزية في طريقه..!! أيّةُ مصيبة.. **(أصوات مياه مجارٍ)**

سهام أسمع أصوات مياه يا أمي.. **(تجري نحو زاوية فيها كتب..)** ماء المجاري يا أمي، يبدو أن أنابيب مراحيضهم قد كُسرت..!!

مجيدة إلّا هذه.. إلّا هذه.. هذه ثالثةُ الأثافي..!

سهام **(محتجّةً وهي تبكي)** لقد بلّلت المياهُ الوسخة كتبُ أبي.. مياهُ المجاري القذرة تسيلُ على كتبُ أبي..!!

مجيدة اجري إلى المطبخ وأحضري منشفة على وجه السّرعة.. **(تخرج سهام)**

مجيدة **(تتحدث إلى نفسها)** لن تبلّل فكرك مياه المجاري يا عبد الباري السعيد وأنا أقف كتمثالِ رخام.. سأنتقم لك، ولن يسقطوا كتاباً لك إلّا على جثّتي.. **(تحمل سكيناً وتخرج، تدخل سهام، لا ترى أمّها).**

سهام أمّي، أمي، أين ذهبتْ..؟ **(تسرع لتجفيف الكتب والتحف التي بللتها المياه القذرة)** يا عيب الشّوم.. هل يحدثُ هذا لعبد الباري السّعيد..؟! لا أصدّق ما أراه.. إنّه فوق الاحتمالِ، فوق الصّبر، ولو أن قلباً يحتملُ ثقلَ جبلٍ لما احتملَ هذا المنظر الرهيب..**(تبصرُ والدها وقد جلس على زاويةٍ مظلمةٍ وقد كساهُ الغبار، تهرع إليه)** أبي.. أنت تدري ما الذي حدث يا أبي.. لقد حاولنا..

الكاتبُ **(يقاطعها بإشارة)** قلتُ لك يا سهام.. وأنا أدري..

ارجعي إلى بعض مسرحيّاتي، ستجدين أنني أدركُ تماماً ما يحدثُ..

سهام لكنَّها سنوات منذ أن رحلت روحك عنّا، تبدّلت إداراتٌ، وتغيّر مسؤولون..

الكاتبُ لكنّ العقليات، المصالح، الطبائع، الغايات ظلّت واحدة..!.. لم يتغيّر منها شيء!! وإن اختلفتِ الأقاويلُ، وتغيّرت الدوائر.. كأنما هي نسخةٌ واحدةٌ تتكرّر بألوانٍ مختلفة..!

(تدخل مجيدة البيت، وهي تُخفي السكّين وراءها)

سهام **(تهرع إليها)** أين كنت يا أمي؟!

مجيدة ذهبتُ لقضاءِ حاجةٍ على وجه السرعة..

سهام الحمد لله لقد هدأت الأمور.

مجيدة لا بد لها أن تهدأ..؟

سهام ماذا تقصدين..؟ ما الذي تحملينه في يدك.. **(تهرع نحوها)** أريني يا أمي **(ترى السكين)** يا رحمن أغثنا.. **(في الزاوية يدفن الكاتب رأسه بين يديه).**

مجيدة الجرحُ الذي شُقَّ في قلبي أعمقُ وأكثرُ إيلاماً..!

(سميرة تدخل حزينة.. تُخفي سهام السّكين)

مجيدة طمئنينا يا سميرة.. عسى خيراً.

سميرة ليس خيراً يا خالتي.. لقد تمت إقالتي من الصحيفة، وفصلتُ من عضوية نقابة الصحفيين..!!

مجيدة يا للمصيبة التي تسبّبنا لكِ فيها!

سميرة لا يا خالتي، لقد كان إصراري على أن أفوز بسبقٍ صحفي حول تحويل منزل الكاتب الكبير عبدالباري السعيد إلى متحف وطني هو السبب..

سهام (**وهي تمسحُ دموعها**) هل تزنُ كرةُ القدمِ التي يملؤها الهواءُ ذهباً، ويزن الكتابُ الذي يرصّعه دُرَرُ الفكرِ مجرّد وزنِ الورق الذي كُتبَ عليه..؟!

سميرة قلت لهم: على افتراض أنني تسرّعت في كتابة التحقيق، ولكن ألا يستحقُّ الكاتب الكبير عبدالباري السعيد الاهتمام به على ما قدّمه لهذه الأمّة من فكرٍ أراد به أن يعمر بنيانها، وينبهها إلى إدراك عيوبها، وتلافي أخطائها؟ قلتُ وقلت.. لكن المصيبة أن رئيس تحرير صحيفتي بدلاً من دفاعه عنّي ومناصرتي، تولّى هو تقريعي بصورةٍ جارحة وهو الذي قبل نشر التحقيق..

مجيدة بالتأكيد كان خائفاً على منصبه..!

سهام هذا ما أكّده أبي وكنتُ أحسبُ أنّه يبالغُ فيه إلى حدِّ الإفراطِ في التشاؤم..لكن الجرحَ يعمقُ كلَّ يوم..

مجيدة وما الذي حدث بالنسبة إلى تامر والمهندس؟

سميرة أُخلي سبيله لعدم ثبوت أيّ دليلٍ ضدّه..

سهام بعد أن ضحك علينا بقصّته المبتدعة مع المحافظ لكي يبعثني على الموافقة على الزواج (**لنفسها**). صدق يا أبي ظنّك فيه..!!

سميرة أما المهندس فقط تمت إقالته مع مسؤوله من الشركة القائمة بالمشروع.. تخيّلوا ثلاثُ ضحايا..

مجيدة وسيزيدون..!

سميرة ماذا تقصدين خالتي..؟!

(يطرق الباب، يدخل الشرطي..)

الشرطي لديَّ أمرٌ من المحكمة بالقبض على مجيدة وذلك لجرحها عاملاً، وتهديدها للآخرين بمديةٍ حادّة أثناءَ صيانة الشقة العليا..

سميرة **(تطلق آهةَ رعب، وتضعُ يدها على فمها)**

سهام **(تُريه السّكين)** بل أنا التي قمت بطعنهِ وتهديد العاملين في الشقّة..

الشرطي سيكتشفون أنها لعبةٌ مكشوفة.. الأدلّة جميعها ضدُّ أمّك..

مجيدة لم أتحمّل رؤية كتب المرحوم الكاتب الكبير عبدالباري السعيد التي سكب حبرها بماء عينيهِ، وعطَّرها بأنفاسهِ الزكيّة، تلوّثها مياه المجاري..!! تحمّلتُ كلَّ شيءٍ.. تحمّلتُ الارتجاج، تحمّلت رؤيتها تسقطُ من أرففها، تحمّلت رؤية جوائزهِ، ومسودّاته يؤثثها العبار، لكنني لم أتحمّل رؤيتها تغرق في قذارةِ المراحيض..!! لقد ثارت ثائرتي ولم أدرِ ما أفعله.. سوى طرد العاملين.. أعلمُ أنني ارتكبتُ جرماً كبيراً.. لكنني كنتُ فاقدةً للإدراكِ بعد أن

رأيتُ ما يحدث لأغلى تركةٍ خلّفها المرحومُ للأجيال..!

الشرطي أتفهّم موقفك سيّدتي..

سهام أرجوك خذني بدلاً عنها.. ما الذي تبقى لي..!! **(تواسيها سميرة)**

الشرطي أتعلمين سيّدتي أنني وزوجتي لم نكن لنذهبَ لمسرحٍ إلّا لأجلِ مشاهدةِ مسرحياتِ المؤلف الكبير الراحل عبدالباري السعيد.. لقد جعلنا نفكّر كثيراً فيما نحيا فيه، ونعيدُ تمثيل المشاهدِ بعد أن نجسّدها في أعماقنا.. نرى فيها صفحات نفوسنا، تلك الصفحات المليئة بالسّواد.. لقد كان يلامس كثيراً مناطق السّوادِ في أنفسنا لينيرها في مسرحيّاته العظيمة.. ما الذي أفعلهُ يا سيِّدتي، أنا أعيلُ أسرة كبيرة وإن خالفتُ الأمر، وإن بحتُ بحقيقةِ حبي لهذا الكاتب الكبير.. فإن ذلك لن يكون من مصلحة أسرتي، دعكم من مصلحتي..!!

مجيدة لنذهب أيها الشرطي معاً..

سهام سأرافقك إلى المخفر..!

الشرطي بل ستبقين هنا فلديكِ عملٌ تقومين به، فقد عاد العاملون، وستتساقطُ كتبٌ ومذكراتٌ وأوراق.. عليك أن تبقي يقظةً، ومنتبهةً وسريعة في تلافي أي ضياع.. **(لمجيدة)** أليس كذلك؟

مجيدة **(مذهولة لكلامه، تردُّ عليه وكأنها غير واعية)** بلى.. بلى هو كذلك..

سميرة أنا سأرافقك يا خالتي.. **(لسهام)** سأكون معها اطمئني.. **(يخرجون)**

سهام أمي..!!

مجيدة إرثُ والدكِ يا بنتي..! **(يخرجون)**

سهام **(تنخرط في بكاء)** هل للحيطانِ ذاكرةٌ تبوح؟! هل لها لسانٌ ينطق..؟ إذن لو كان كذلك، فأخبريهم أيّتها الحيطانِ التي توزَنُ بالذّهب.. أخبريهم بأنك تضمّين بين جنباتكِ فكراً نبيلاً لكاتبٍ نبيل.. **(يعلو صوتها بغصّة)** تكلّمي أيتها الحيطانُ، وتحدّثي عمّا حملت على أرففكِ من كلماتٍ سطّرت معاني الوطنيّة والنزاهةِ والحريّة.. هذه المعاني التي تنضحها اليوم زخّاتٌ من القذارةِ تنهمرُ عليها من أعاليها.. تحدّث يا أبي قل شيئاً.. أعد إليَّ ما كنت تقوله دائماً..

(يدخل اللاعب منصور وتامر.. يضحكان، تصبحُ سهام وكأنّها شبحٌ تصيحُ فيهم فلا يسمعونها ولا يرونها، صوتها صدى)

سهام **(صوتها صدى)** ما الذي تفعلونه هنا..؟

تامر تفضّل أيّها اللّاعب الكبير.. إن البنايةَ قد أصبحت لك كلّها..

سهام **(لتامر ولكنّه لا يراها ولا يسمعها)** هيه أنت.. أكلّمك.. ماذا تفعلُ ثانيةً..

تامر لقد هجروها بعد أن كانوا يطمحون إلى تحويلها إلى متحف..

اللاعب هي بالفعل متحف طبيعي على حالتها هذه..

سهام ما الذي تتآمران عليه.. ما الذي يفعلهُ هذا في بيت الكاتب الكبير عبدالباري السعيد.. **(للاعب)** ألم تحذرك أمي من المجيءِ ثانيةً..

تامر لقد فعلوا خيراً حينما منحتك الحكومةُ البنايةَ كاملةً..

اللاعب مقابلَ ما منحتهم إيّاهُ من فرحةٍ غامرة.. لقد تزيّنت كلُّ الأزقّةِ بالصورِ التي اختلط فيها السياسيّون بالرياضيِّين..

تامر كلّهم في الحقيقة لاعبون.. ولكن في ميادين مختلفة..!!

سهام لم نغادر هذه الشقة بعد.. أنا هنا، وعبدالباري السعيد في كلِّ مكانٍ فيها..

اللاعب سأعيد ترميمها ثانيةً لتكونَ معرضاً رياضيّاً يؤمّه عشاق فني الرِّياضي..

تامر فكرة صائبة..!

سهام هل جننتم..؟!

الكاتبُ **(يسلّط عليه الضوء، ويظلم المسرح كاملاً إلى بقعته، وهو يكتب)** إننا محكومون بالأمل، الأملُ هو الوميضُ اللامعُ في فضاءٍ واسع.. **(أصوات جماهير كرة تعلو تدريجياً حتى تطغى على كلامه)** ربّما ستتغيّر طبائع، وتنبتُ أجنحة، ولكن حتى يأتي ذلك اليوم، سيبقى الأملُ هو زادنا الوحيدُ **(تسقطُ على أوراقه كرة)**.

تنتهي المسرحية

في الأخير تتحدث الأم مع الحيطان:

تحدثي أيتها الحيطان.. أخبريهم..

لو كان للحيطان ذاكرة، لكانت حيطان بيت سعد الله ونوس في مساكن برزة توزن بالذهب! لو كان للحيطان ذاكرة لكنا كسبنا فيضاً من أفكار عقل سعد الله الحر النبيل، ولتعلمنا منه دروساً لاتقدر بثمن في مجال النزاهة والوطنية وحب الآخر وحق الآخر في الحرية والاختلاف. ليس من مكان في دمشق عرفت فيه لذة قطاف ثمار العقل كما بيت سعد الله ونوس، فهو يرى في قطرة الماء سر البحيرة العذبة، ويرى في السؤال البسيط باباً مشرعاً على الكون.. تتدافع فيه الأسئلة وظلال الأجوبة. نبهته مراراً أن سمعي ليس مرهفاً كسمعه، لكنه في كل مرة كان يواصل الحديث بما يشبه الهمس كما لو أنه يبوح بسر خلق قديم .لو كان للحيطان ذاكرة، لحكت لنا حيطان بيت سعد الله، كيف كان يقتل مع كل قتيل فوق أرض العرب وكيف كانت روحه تُنهب مع كل نفيس ينهب من أرض العرب، وكيف كان قلبه يقطر دماً لدم الإنسان في كل مكان. قبل أربعة أشهر بدأ الجيران الذين يشكل سقف بيت سعد الله أرضاً لهم، بإجراء ترميمات شاملة على شقتهم، تم قلع البلاط بواسطة ضاغط كهربائي يطرد النوم والسلام إلى مئات الأمتار؟ مع أنه كان يمكن إضافة بلاط جديد فوق البلاط القديم ؟ واستمر التكسير طوال شهر رمضان. ولم تبق المشكلة في الخارج، ففي كل مرة كانت رفيقة سعد الله فايزة شاويش تعود فيها إلى بيتها، كانت تجد

غرضاً أو أكثر واقعاً من فرط الارتجاج. وذات مرة وقع قناع إفريقي على رخامة مشع التدفئة المركزية فكسرها وانكسر! ذات صباح استيقظت فايزة على رائحة المجاري، لتكتشف أن جيران الفوق قاموا بكسر كوع مرحاضهم مما أدى إلى سقوط زخات من القذارة! ولما احتجت عليهم، نسوا في يوم آخر صنبور الماء مفتوحاً قبل انصرافهم من البيت منزوع البلاط، مما أدى إلى سقوط زخات من الماء على كتب سعد الله ومقتنياته الشخصية فتضاعفت سماكة الكتب كما لو أن صراع الأفكار التي فيها قد نفش بفعل الماء .مرة أخرى تم سطم تواليت جيران الفوق بمواد صلبة، فسقطت زخات أخرى من القذارة، مما اضطر فايزة لفتحه على نفقتها. بعد أيام بدأ جبل الإسمنت داخل البيت المجرد من البلاط ما أدى لتسرب الماء الرمادي إلى مكتب سعد الله، حيث لا تزال نظارته الطبية على الطاولة كما وضعها قبل رحيله، تراقب المكان. واصلت فايزة احتجاجها، لكن صوتها تبدد أدراج الرياح! بعد انتهائهم من أعمال التبليط قال كبير العمال للسيد المهندس: إنه لا يجوز جلي البلاط قبل تركيب النعلة لأن هذا سيؤدي لتسرب المياه إلى بيت سعد الله، لكن المهندس أمره بمتابعة العمل، مما أدى إلى تسرب المياه إلى كافة أنحاء المنزل .قبل بضعة أيام عادت فايزة إلى بيتها لتفاجأ بأن أحد جدران بيتها قد تحول إلى سخانة بسبب ماس كهربائي سببه تسرب المياه لدى جيران الفوق، وهي الآن تحصر الكهرباء في المطبخ خشية أن يشتعل البيت وهي نائمة .أشهر الرطوبة والتوتر أرهقت فايزة مما أدى لإصابتها بربو تحسسي، رفعت شكواها

للشرطة ولبلدية برزة، ولمجلس الشعب، ثم رفعتها للسماء الزرقاء. ولأن الجيران الذين يشكل سقف بيت سعد الله أرضاً لهم، هم مجلس الشعب، فقد وجهت فايزة لهم الرسالة النصية التالية: "شاءت الظروف أن أكون من عامة الشعب وأن أقطن في بيت سقفه ملك مجلس الشعب، في مكان آخر يعتبر هذا نعمة..." طوال السنوات الماضية حافظت فايزة على مكتبة سعد الله وكل مقتنياته الشخصية على أمل أن تقرر الدولة يوماً إعطاءها بيتاً صغيراً تسكنه كي تحول بيت سعد الله إلى متحف.

مسرحية

أخو الرئيس

صفحة بيضاء
رقم ١٨٤

الشخصيات

١- حسّون

٢- المشرد

٣- الصحفي

٤- خالد

٥- صاحب المقهى

٦- سناء

٧- زبون، ١، ٢، ٣

٨- موظف١، موظف٢، موظفة

٩- مدبرة منزل

١٠- الرجل

١١- الضابط

١٢- شرطي١، شرطي٢

١٣- المندوب

١٤- وانج

اقتراحات في أدوار الشخصية: نظراً لكثرة الأدوار فإنه يمكن أن يقوم بعض الممثلين بأكثر من دور.

الفصل الأول

المشهد الأول

(قارعةُ الطريق، زاوية محصورة، ينحشرُ فيها مشرّد، يغطي نفسه بقطع كرتون بحيث لا يتعرفُ الجمهور بأن المختبئ تحت هذه القطع آدمي، يدخل حسُّون، يجلسُ فوق الآدمي ظنّاً منه أنّه طاولة أو كرسي)

حسّون (**يطلق آهةً طويلة**) آه.. متى يطلق حسُّون حمائم أحلامهِ بعيداً، بعيداً في الفضاء؟ متى تورقُ أزهار الحلم، وأحصلُ على مسكنٍ، وأتزوّج، وأنجبُ ذريَّةً كما يفعلُ الرّجال؟ متى يعرفُ العالم بأسره من هو حسُّون.. (**يتحرك المشرّد، يسقط حسُّون جانباً، يقفزُ واقفاً**)

المشرد (صوته) دعني أنام يا صاحب الأحلام.

حسّون من أنت؟ ماذا تفعلُ هنا؟

المشرد (**يكشفُ عن نفسه**) ماذا أفعل؟ من أنت، وماذا تفعل؟

هذه زاويتي، لم تنافسني عليها، لم تتركوا حتى للمشرّدين عيناً تقرّ، ولا أنفاً يشخر..!!

حسّون اسمع يا هذا أنا حسُّون.. اسمي حسُّون.. جئتُ إلى هذه المدينةِ ولي أحلامٌ كبيرة، وواسعة..

المشرد هل في ثيابك جيوبٌ واسعة؟

حسّون نعم، لم تسأل؟

المشرد إذن احشر أحلامك في جيوبك، واترك هذه المدينة لأهلها..

حسّون ماذا تقصد؟

المشرد أنت لا تفهم شيئاً، ولن يُجدي نصحك لأنّك صاحبُ أحلام.. بالمناسبة، ما أحلامك؟

حسّون أحلامي أن أصل إلى منصبٍ سياسي كبير، ولكن قبلها أترشّح لمجلس الشَّعب.. ثم أواصل مسيرتي!

المشرد **(يضحك، ويتقلب من الضحك)** سياسي..!! أنت سياسي..!! ترشّح نفسك لمجلس الشّعب.. ثم.. **(يضحك)** ثم تواصل مسيرتك..!! أرجوك، أرجوك لا تدع أحداً يسمعك..

حسّون هل قلتُ شيئاً خطيراً لا يُسمحُ به..

المشرد بل أشدّ من الخطير.. يبدو أنك لا تفقهُ ما تقول.. أنت مجنون يا رجل لا حسُّون..

حسُّون قلت إنني أريد أن أترشّح لمنصبٍ سياسي، ماذا في ذلك..؟

(يدخل ضابط وشرطيّان أحدهما يحملُ كرسياً والآخر طاولة صغيرة، يضعانهما في زاوية)

الضابط (بنبرة عالية بعد أن يجلس على الكرسي) من هذا الذي يريدُ أن يترشّح لمنصب سياسيّ كبير هاه؟!

المشرد (لحسُّون) واجه مصيرك الآن..! (للضابط) هو الذي قال ذلك يا سيدي الضابط..

الضابط (يشير بإصبعه إلى حسّون طالباً منه القدوم إليه، في حين يظهر حسّون بمظهر العبيط الذي يناور بالإشارات فمرّة يشير إلى المشرّد، وتارةً إلى ناحيةٍ فارغة) أنت يا هوه.. أنت.. تعال، ألم تقل أنت ذلك؟

حسُّون (بخوف) من قال ذلك، أنا؟

المشرد نعم هو يا سيدي، أنت تعلمُ بأنني لا يمكنُ أن أقتربَ من حمى السياسة.. أنا في حالي، كما تعلم يا سيادة الضابط.. فأنا أعلمُ بأن لديكُم كاميراتِ مراقبةٍ، وأجهزة تنصُّت.. ولهذا فإنني لا يمكنُ أن أسمح لفمي حتى في حالةِ السّكر أن يتفوّه بشيء من هذا القبيل.. (يهمس) في العادةِ أقوم بوضع شريطٍ لازقٍ يغلقُ فمي وأثقبه ليسع أنبوباً دقيقاً أشفط فيه الكحول..

الضابط اسكت فقد مللتُ من هذا الهرج اليومي.. (لحسُّون) إذن أنت من قلت ذلك؟

حسُّون (بخوف ممزوج بالضحك المصطنع، وهو يقترب منه) كنتُ أمزح يا سيّدي.. والله العظيم أمزح.. هل هذا وجه

من يمكن أن يصلَ إلى منصبٍ سياسي كبير.. وجهٌ أغبر.. لا تتوافر فيه ملامح الساسةِ العظام ولا قسماتهم، هل هذا جسمُ سياسي؟ جسم متبعجٌ حتى لو تعرض للكي بمكواةٍ لا يستقيم.. هل هذه مشيةُ سياسي **(يمشي مشيةً مشوّهة)** لا يمكنُ أن تكون هذه مشية سياسي.. هل هذا أنفُ سياسي، أنفٌ مفعوصٌ ذو مناخيرَ واسعة..

الضابط **(مقاطعاً)** اسمع يا هذا، هذه الأمور لا يقبلُ فيها المزاحُ مطلقاً.. إلّا إذا كنت جادّاً فتلك مسألةٌ أخرى.

حسُّون أستغفر الله يا سيدي عمّا قلته.. ولو أردتني أن أكفّر عن هذا الذنبِ مشياً إلى الحجِّ لفعلت..

المشرّد سامحه هذه المرّة يا سيدي الضابط.

الضابط سنسامحه، ولكن عليّ أن أرى بطاقة هويته.. أعطني بطاقة هويّتك..

حسُّون **(متفاجئاً لا يعرفُ ما يقول)** آه بطاقة هويّتي.. كانت هنا.. **(ينبش في جيبه)** بل هنا .لكن لماذا تحتاجُ إلى بطاقة هويّة يا حضرة الضابط؟ في النهاية أنا مواطن.. هل يمكنُ أن تنتهي صلاحيتي كمواطن؟ **(يضحك)**

الضابط اسكُت يا سخيف..!

حسُّون أمزحُ مرّةً أخرى يا سيدي، إن مشكلتي في لساني..

الضابط سنجدُ حلًّا له إن لم تقم بتقييده جيّداً..

حسُّون **(يلوي لسانه، عقاباً له ويضرب لسانه)** هل انتهينا يا سيدي الضابط.. لويتُ لساني، وضربته، يستحق..

الضابط لا لا.. لم ننته حتى تريني بطاقتك.. **(يفتّش عن بطاقته ثانيةً، ويخرجُ كلّ شيء من جيوبه ومنها مبلغ بسيط، يلتقطه الضابط)** هذي هي بطاقتك يا رجل..!

حسُّون **(يحسبُ أن الضابط يمزح، ينظر إلى المشرد، يضحك باستهزاءٍ مخلوطٍ بحسرة)** لا يعرف الفرق بين النقود والبطاقة..

المشرّد **(يغمز له، بصوت هامس)** هس.. إنّه يعرف الفرقَ جيّداً.. تصرّف بحكمة خيرٌ لك.

حسُّون سبحان الله، عينك لقطت البطاقة سريعاً..

الضابط قل ما شاء الله، لا تحسدني.. الله أكبر على عيونكم.. تثقبُ الجدران!!

حسُّون ليتها تثقبُ يا سيدي.. لكنتُ ..

الضابط **(مقاطعاً)** قلت قل ما شاء الله، فأنا أخافُ من الحسد..!

حسُّون ألف ما شاء الله، **(يتباكى)** لكن لن يتبقى عندي نقود يا سيدي.

الضابط إذن عليك أن ترافقني إلى المخفر كي..

حسُّون انتهت مشكلتي.. والله انتهت.. حلالٌ عليك، النقود من توافه الحياةِ يا سيدي ويمكن تعويضها. أمّا الأصدقاء من أمثالكم..

الضابط عفواً..!

حسُّون أقصدُ من أمثالِ هذا **(يشير إلى الشرطي)** فهؤلاءِ لا يمكن.. لا يمكن..

الضابط لا يمكنُ ماذا؟

حسُون **(مرغماً على القول)** لا يمكنُ تعويضهم **(يبكي)**.

الضابط صحيح، وكذلك الصحّة والحريّة فلا يمكنُ تعويضهما..

حسُون والنقود أيضاً سيدي الضابط..

المشرّد **(وهو ينبشُ في كيس ملابسه، يتضاحك)** عاد يبكي نقوده ثانيةً..لا يفهم، غبي!

الضابط **(ينهض، يحمل الشرطي الكرسي، والآخر الطاولة)** نراكم في وقتٍ لاحق..!

المشرّد إلى اللقاء يا سيادة الضابط..

حسُون إلى اللقاء يا سيدي..

الضابط إلى اللقاء يا أيها السياسي الكبير.. **(يضحك، يخرج)**..

حسُون **(يتبعه وراءه)** الله يحرمك من النّعم كما حرمتني من نقودي..

(يعود الضابط إلى الوراء)

الضابط هل عدت إلى الهَرَجِ ثانيةً يا حسّون..؟

حسُون **(مرتعباً)** كنت أدعو لك يا سيدي، والله إن أجهزتكم لتشوّه الكلام..

الضابط حسناً، انتبه لذلك مرّة أخرى.. لأن الثالثة لا رابعةَ لها يا صاحبي..!

حسُون مفهوم يا سيّدي، والله مفهوم..!

(يخرج الضابط والشرطيّان)

حسُون يحا... **(يغلق فمه بيده قبل أن ينطق الكلمة)**

المشرّد **(يضحك)** أكملها، فلا يحتاجُ السّجن إلّا إلى نطقِ بضعةِ أحرف..!

حسُون **(وهو يتوسّدُ كيساً كبيراً)** آه لو تعلم، إن لديَّ أحلاماً كبيرةً يا صاحبي..

المشرّد أحلاماً.. هنا.. لا تضيّع وقتك..

حسُون هل من يتحدّث هنا عن أحلامه يضيّع وقته.. لديَّ قدرات، أعلمُ أن في قلبي طاقة كبيرة.. أريد أن أصبح شيئاً..

المشرّد حتى تصبحَ كما تقول شيئاً فيجب أن تكون وراءك محركات دافعة..

حسُون أنت جبان يا صاحبي جبان أعور.. **(يضعُ يديه وراءه، يسرح)**.

(يدخل خالد بائع الصحف)

خالد صحف.. صحف.. أخبار، طالع أخبار اليوم، ثقّف نفسك، اعرف ما يجولُ في العالم.

المشرّد وما يدور في العالم غير المصائب، مصائبُ البشر، وحروبهم التي لا تنتهي، والأعاصير والحرائق، والفيضانات؟!

خالد بل هناك ما هو هام.. الانتخابات الأمريكية بدأت حملاتها..

المشرّد ومن يكترث بها..

حسُون **(يتفحّص في وجهِ بائع الصُّحف)** لستَ غريباً عنِّي..

خالد **(ينظر إليه)** لا لا، هل هذا معقول.. حسّون..

حسُون خالد..**(يتعانقان، ويلتهيان بالحديث بينما يهبُّ المشرد لقراءة الصحيفة).**

خالد ما الذي تفعلهُ هنا يا حسّون؟

حسُون بل أنت ماذا تفعل يا خالد؟ قيل لي بأنك تعملُ مهندساً في إحدى الشركات الكبرى، وها أنا أراك تبيع الصحف..!

خالد **(مرتبكاً)** ذلك ما كان يفترض، ولكنني لم أجد عملاً، وبدلاً من الجلوس عاطلاً امتهنت مهنة بيع الصحف.. ماذا تفعلُ أنت؟

حسُون **(وهو ينظر في كلِّ جهة، خافضاً صوته)** بيني وبينك، جئت لكي أرشّح نفسي لانتخابات مجلس الشعب..!

خالد **(تفلتُ منه ضحكة، فيغلق حسّون فمه سريعاً).**

حسُون أرجوك فالآذان هنا دقيقة ولا أستبعدُ أن أجهزةً ما قد غرست في بطوننا دون أن نعلم..!

خالد ما الذي دهاك يا حسّون.. أنا أعلمُ أنّك شابٌّ طموح،

وأنّك كنت الأول في دفعتنا، وكانت لك أنشطة بارزة، وجهودٌ ظاهرة.. ولكن..

المشرّد لا أصدق ما أقرأ.. غريب وعجيب، لكنّهم لن يتركوه يتقدّم..

خالد ما بك.. ما هو الغريب والعجيب..

المشرّد لأول مرّة في تاريخ أمريكا يخطو مترشح أسود للرئاسة بخطا واثقة، ويتزايد يومياً عدد مؤيّديه..

خالد يا سيدي إنّها مجرّد مسرحيّة محاكة، والنتائج معروفة، فلن يتقدّم رجلٌ أسود على البيضِ، هذا مفروغٌ منه..

(حسّون ينزوي جانباً وهو يفكّر في هذا الكلام)

المشرّد كلامك صحيح.. لن يتركوه يتقدّم أكثر..

خالد ما الذي تفكّر فيه يا حسّون؟

حسُون أقول ماذا لو كان المرشّح شقيقي..

خالد حلوه.. ابحث عن غيرها يا صاحبي (**هامساً**) أرجوك لا تجهر بهذه الأمور..

حسُون لقد سافر أبي منذ سنوات إلى أمريكا كما سمعت ولم أعد أعرفُ عنه شيئاً.. من يدري ربّما تزوّج أمريكيّة وأنجب شقيقاً لي..

المشرّد بدأ يتخبَّل الرّجل.. سيجرّ نفسه إلى مصائب لا ريب.. عليَّ أن أبتعدَ عن هذه البقعة فقد أصبحت بؤرةً مشبوهة..!!

خالد (**لحسّون**) اسمع يا حسّون، بإمكاني أن أساعدك في العمل نادلاً في مقهى، فصاحبُ المقهى قد سألني بالأمسِ إذا كنت أعرفُ أحداً..

حسُّون (**محتجّاً**) هل تريدني أن أعمل نادلاً يا خالد.. ما الذي جرى في عقلك؟

خالد بل أنا الذي أسألك ما الذي جرى في عقلك..؟

ينتهي المشهد

المشهد الثاني

(مقهى يعمل حسّون فيه نادلاً، مجموعة من الزبائن يتحدّثون)

زبون١ لا يمكن أن أصوّت للمرشّح سعيد الصاوي.. إنّه رجلٌ جشع، واضحٌ عليه أن يريدُ استغلال منصبه في مجلس الشّعب لمصالح شخصيّة.

زبون٢ شاي يا حسُّون..!

زبون٣ يا صديقي، ومن هذا الذي لا يستغلُّ وجوده في مجلس الشّعب لمصالح شخصيّة، فهي فرصته كي يحصل فيها على ما يريد.. إنّهم يرفعون شعارات..

زبون٢ يا جماعة.. لا تعمّموا فهناك رجالٌ والله مخلصون.. خذوا مثلاً رجلاً مثل خميس حميد، أليس رجلاً معتبراً، جهوده واضحة، وإخلاصه ظاهر للجميع؟!

زبون١ من يعلم ما تخفيه الجلابيب، وما تتستر عليه الجدران والظلام؟

زبون٢ هذه مصيبتنا.. الشكُّ ثم الشك..

حسُّون (وهو يضع الشاي) صدقت، لا يمكن التعميم على

الجميع، فهناك أصحابُ قدرات تمكنهم من خوضِ الانتخابات..

زبون٣ لا تقل لي إنّك واحد منهم ياحسّون.. **(يضحكون إلا حسّون).**

حسُون **(ينظر يميناً وشمالاً)** لِم لا..؟ **(يضحكون).**

زبون١ يقول لم لا.. آخر نكتة..

زبون٢ اسمع يا حسّون، أنت رجلٌ فقير، مسكين، ارضَ بقدرك.. أنت نادلٌ وكفى، هل تسمع..

حسُون والله لم أعمل نادلاً إلّا لأنني لم أجد عملاً.. إن لديَّ مواهبَ وقدرات يا جماعة اسمعوني..

زبون٣ مواهب وقدرات.. ذكّرتني بهذا الذي يسطعُ نجمه الآن في أمريكا، يسمى أوباما.. ولكن هناك فرقاً بين السماءِ والأرض..

حسُون هذه هي المصيبة.. اسمعوا لو أصبحتُ ممثلكم في مجلس الشّعبِ، صدّقوني، سأسعى إلى الحصولِ على دعم التّجار ورجال الأعمال لعمل مشاريع تقضي على البطالة، وتقلص البطالة وتخفّض التّضخم..

زبون١ أووووووه.. حسّون يتحدّث عن التّضخم.. ذهبنا ملحاً يا جماعة..!

حسُون وسأعملُ على توفير مساكنَ لسكّان المقابر، ورفع مستوى الضمان الاجتماعي..

زبون٢ (**ينهض**) يا جماعة.. من الأفضل أن ننهض من هذه البقعة، فقد أصبحت بقعةً مشبوهة..!!

حسُّون (**بحماس**) لا يغرّكم مظهري، فأنا أستطيع أن أجد الحلول الاقتصاديّة الملائمة لرفع معدّلات الإنتاج الوطني من الموادِّ الخام.. (**يدخل الضابط والشرطيّان من خلفه، واحد يحمل الكرسي والثاني الطاولة ويضعانهما وراءه دون أن يشعر حسّون**) وسوف يسطعُ نجمي، ويلمع.. وحينئذ (**يدورُ، فيقابل طاولة الشرطي**) حينئذٍ تنتهي الحكاية..

الضابط لا لم تنتهِ الحكاية بل بدأت.. بدأت.. بدأت.. وقد حذرتك سابقاً ولكنك لم تنته..

حسُّون كنت - والله - أسلّي الزبائن.. أسلّيهم.. أليس كذلك؟ (**يتردد الزبائن في الإجابة**)

زبون٢ بلى كان يسلّينا يا حضرة الضابط.. كان يمزح..

الضابط لكنّه سبق أن قال شيئاً يتعلق بذلك..

حسُّون رب العالمين لا يؤاخذنا باللّغو في الأيمان، فكيف تؤاخذني يا سيدي باللّغو باللّسان..؟

(يدخل صاحب المقهى)

صاحب المقهى يا ويلي.. شرطة في محلّي..

ضابط تعال يا عبدالكريم، تعال اسمع عاملك ماذا يقول..

صاحب المقهى ماذا تقول يا حسّون؟

حسّون كنتُ أمزح.. لا أكثر ولا أقل..

ضابط يمزح..! يريد أن يرشّح نفسه لانتخابات مجلس الشعب.. هل هذا جائز لهذه النوعيّة..؟

صاحب المقهى أكيد غير جائز يا سيدي الضابط.. لا شك أنّه يمزح.

الضابط ولكنه مزاح من العيار الثقيل الذي لا يُسكت عليه..

صاحب المقهى أتفق معك يا سيدي، ما رأيك أن أوقع على تعهد أضمن به أن لا يعود إلى هذا الهرجِ ثانيةً؟

زبون١ فكرة طيبة يا حضرة الضابط..

الضابط لا يمكن فقد تجاوز الحدود هذا الحسّون..

زبون٢ سامحه هذه المرّة..

حسّون يسامحني على ماذا..؟

الضابط اسمعوه.. لا يريد أن يتراجع.. لا بد أن أقتاده للمخفر.

صاحب المقهى إذن عليَّ أن أكلّم مسؤول المركز فهو صهري..

الضابط **(يتراجع بدبلوماسية)** إذن، ولأننا نقدّر الكلمة، ورأي الأغلبية نقرر إخلاء سبيل حسّون على ألا يعود ثانيةً إلى هذا الهرج غير المنطقي لشخصٍ مثله..

زبون٣ شكراً يا حضرة الضابط على تقديركم الكريم..

الضابط هذا من أجل خواطركم وخاطر هذا الرجل الطّيب **(لصاحب المقهى)** والله.. **(ينهض)** السلام عليكم.

الجميع عدا حسّون وعليكم السلام..

صاحب المقهى **(يتوجّه إلى حسّون ويمسكه من تلابيبه)** أيرضيك أن

تدخل الشرطة هذا المقهى الذي لم أعهد دخولهم إليه في يومٍ من الأيام؟

حسُون ما الخطأ فيما قلت؟ قلت أريد أن أرشح نفسي **(يغلق صاحب المقهى فم حسّون بيده)** لم أقل غير هذا.

صاحب المقهى والله لن تبقى ثانية في هذا العمل لو تلفّظت بحرفٍ واحدٍ في هذه المسألة.. أسمعت؟!

زبون١ الأفضل لنا أن نترك هذا المقهى ياجماعة حتى لا نتهم بأننا ندعم المرشّح حسّون..!

زبون٣ صدقت، فها نحن قد أصبحنا جزءاً من المشهد.. والأفضل أن نغادر..

صاحب المقهى يا جماعة.. تلك كانت زوبعة في فنجان أثارها مخبول..

حسُون إي انتبه أنا لستُ مخبولاً، بل في كامل قواي العقليّة..

زبون٢ هيّا.. هيّا.. أسرعوا **(يخرجون)**.

زبون١ عليك أن تتخلّص منه يا عبدالكريم، وإلّا فلن يدخل أحدٌ هذا المقهى بعد اليوم.. **(يدخل بائع الصحف عند خروجهم)**.

صاحب المقهى صدقوا - والله - اسمع.. أنت مقال من هذا العمل.. **(لخالد)** اعذرني يا خالد، صاحبك هذا قد جلب لي المصائب..

خالد ما الذي حدث..لا تقل الشرطة؟

صاحب المقهى نعم الشرطة.. ويبدو أن الأمر ليس غريباً عليك..

حسُّون لم أقل شيئاً كنت فقط أريد أن أحصل على أصوات ليس إلّا..

خالد **(يسحبه جانباً)** حسّون، نصحتك أن تتخلَّص من هذه الفكرة من دماغك..

حسُّون لا أستطيع فقد شغلت عقلي..

خالد اسمع.. لقد قرأتُ إعلاناً للعمل في إحدى المؤسسات الحكومية المرموقة وهو يتناسبُ مع مؤهلاتك.. اذهب للمقابلة ولا تتردّد..

ينتهي المشهد

المشهد الثالث

(مقابلة وظيفة، المقابلون رجلان وامرأة، وكان أحد المتقدمين للمقابلة قد نهض بعد انتهاء المقابلة، لكن حسّون يدخل قبل أن يؤذن له)

موظف١ ما الإنسان؟

المقابل هو ابن آدم.. **(يشيد الجميع بإجابته).**

موظف٢ إجابة مباشرة وغير مراوغة.. أحبُّ المباشرة..

موظفة ممتاز يا هيثم..

موظف١ طيب.. ما اسم الطريق التي يعبر من خلالها المشاة..

المقابل هي طريق مشاة العبور..

موظفة نعتبرها صحيحة.. فهي طريق عبور المشاة..

موظف١ ما هي أصغر شلّالات في العالم؟

المقابل هي مياه الصنبور..

موظف٢ رائع.. يقصد مياه الحنفيّة.. جميل هذه هي الإجابات الدقيقة..

موظف١ انتهت أسئلتنا..هل لديك أسئلة؟

المقابل متى أحصل على الوظيفة؟

موظفة غداً هو موعد الفحص الطّبي يا عزيزي، والأسبوع القادم تداوم مباشرةً..

موظف٢ سلّم على حضرة الوالد الكريم، سلاماً خاصاً منّي.. خذ هذه بطاقتي التعريفية.. **(يناوله بطاقته)**.

المقابل لا أصدّق أن المقابلة انتهت.. انتهى الرّعب.. **(ينهض)**.

موظف٢ لكنّك أبليت بلاءً حسناً.. **(يخرج، وعند الباب يقف حسّون)**.

موظف١ من هذا؟

موظفة لا أدري..

موظف٢ لم أره وهو يدخل..!

موظف١ هيه.. منذ متى وأنت هنا؟

حسُون منذ بداية مقابلة المتقدم الأخير..

موظف١ حلو..! ذهبنا ملحاً..!

حسُون لا تكترث يا سيّدي فأنا لا أنقلُ مثل هذه الأمور.. صاحبكم أمين ومخلص.

موظفة من يدري؟ يفترض ألَّا يدخل علينا هكذا.

موظف٢ كيف سمحوا لك بالدخول؟

حسُون لم أجد أحداً فدخلت.. ولا أعلم كيف هو نظامكم..

موظف١ عموماً دعونا نتخلصُ منه بسرعة..كل واحد يلقي عليه سؤالاً تعجيزياً وتنتهي المقابلة **(يتقدم حسّون)**.

موظفة اجلس هنا.. **(يجلس)**.

موظف١ متى يكون حاصل ضرب ٣ × ٣ =١٠؟

حسُون عندما تكون الإجابة خاطئة **(يضحك فينظر بعضهم إلى بعض بحسرة)**.

موظفة ما الكلمة المكونة من أربعة حروف إذا أكلت نصفها تموت، وإذا أكلتها كاملة لا يصيبك شيء؟

حسُون سمسم **(متحمّس، وهم متذمرون)**.

موظف٢ ما الشيء الذي له أكثر من جناح ولا يطير؟

حسُون الفندق **(يضحك، ويزدادون غيظاً)**.

موظف١ عندي سؤالٌ عسير له.. من الرجل الذي يستطيع أن يقف على الأرض ورأسه فوق النجوم؟

حسُون أعرفه جيّداً، هو الضابط.

موظفة بماذا تهتم؟

حسُون أهتم بقضايا مجتمعي، ولي كتاب قادم في هذا المجال أسميته **(إدارة الأفراد)**.

(يضحكون ساخرين)

موظف١ ما شاء الله! الرجل مؤلّف.. لا تقل لنا بأنك العقاد أو توفيق الحكيم..

حسُون كل واحد وله قدراته، ومواهبه..

موظفة ما معنى عصامي؟

حسُون العصامي هو نسبة إلى عصام بن شَهبَر الذي تقول الأخبار المرويَّة عنه إنه اعتمد على نفسه وجده واجتهاده - والعهدة على الرواة - فبلغ أعلى المراتب واقترب من بلاط الملك آنذاك حتى أصبح حاجب النعمان بن منذر، دونما يد تمتد له من هنا أو من هناك، حتى إن النابغة الذبياني الشاعر المعجب بشخصية عصام خلّد ذكره بأبيات جاء فيها:

نفس عصام سودت عصاما

وعلمته الكرّ والإقداما

حتى علا وجاوز الأقواما

موظف٢ عموماً، ما الشيء الذي بدونه لا تستطيع أن تحصل على الوظيفة في هذه الشركة؟

حسُون كفاءتي وقدراتي..

موظف١ أخطأت في هذه..

حسُون ما هي إذن؟

الجميع الواسطة.

موظف٢ وهل تملكها؟

حسُون لا..!

موظف١ إذن.. أغلق الباب وأنت خارج..

ينتهي المشهد

المشهد الرابع

(حسُّون يبيع الذرة.. بالقرب من المقهى وفيه اثنان من الزبائن السابقين)

حسُّون ذرة لذيذة.. ذرة فريدة.. ذرة مع ليمون أو زبدة أو فلفل.. أو مخلوط.. ذرة ما بعدها ذرة..

خالد (**يدخل**) صحف اليوم، أخبار، أخبار.. الانتخابات الأمريكية باراك أوباما يتقدّم في استطلاعات الرأي.. المترشحون لمجلس الشعب يعلنون قريباً عن ترشيحهم..

حسُّون عندي إحساس داخلي بأن هذا الرجل سيرتفعُ نجمه..

خالد لا لا هذه مجرد مسرحيّة حتى النهاية.. لعبة سياسيّة..

حسُّون أحسُّ بالتعاطف مع هذا الرّجل..

خالد هل يمكنُ أن تكون شقيقه يا حسُّون.. ألم تقل إن والدك قد تركك مع والدتك وهاجر ربما إلى أمريكا.. من يدري؟

حسُّون لا تعيّشني في حلم يا خالد.. ذرة يا أطفال.. ذرة..

خالد لحظة.. لحظة.. اسمع.. يقول المرشّح أوباما إن له أخاً غير شقيق لا يدري أين هو..؟

(تدخل سناء)

حسُون أشرق المكان بالسّناء.. ذرة للناس الجميلين..

سناء مساءُ الخير يا حسّون..

حسُون مساء الفل والسناءِ يا سناء.. تهلَّل المكان، والذرة نضجت بسرعة كي يأكلها الجميلون طازجةً حلوة..

سناء إن لم تفاتح أبي في موضوع زواجنا فاعتبر أن علاقتنا منتهية.. لقد حدّثني والدي أنّك تملكُ مواهب وقدرات وهو معجبٌ بك، ولكنّه يقول إنّك تفرطُ أحياناً في أحلامك، وقد اضطرَّ من أجل لقمةِ العيش أن يستغني عن خدماتك في المقهى..

حسُون من أجل خاطرك يا جميل.. سأفاتح والدك المبجّل بموضوع الزواج..

سناء سأذهبُ الآن.. **(تخرج)**.

حسُون خذي قلبي معك.. أيتها الحبيبة.. **(يقترب منه صاحب المقهى دون أن يدري، يكمل حسّون كلامه)** آه لو تدرين كم قلبي معلّق بك يا حمامتي.. هل تتخيّلين كيف يقع الصقرُ في حبِّ حمامة..

صاحب المقهى **(يمسكه من ظهره)** وهل تتخيّل إن وقع الصّقر في فم أسد ماذا يفعلُ به؟

حسُون الأسدُ محترم.. لا يفترس الطيور الهزيلة بل الحيوانات السمينة اللذيذة..

صاحب المقهى والله إن رميت ابنتي يا حسّون بكلام مرّة أخرى فلن أدعك تفلت مني أيها الصقر إلّاً ونتفتك ريشة ريشة.. حتى يغدو جسدك مسلوقاً دون ريش..!

حسُون اسمعني يا عمي..

صاحب المقهى عم المصيبة.. لا تقل عمي..

حسُون والله أطلبها على سنة الله ورسوله.. أريد أن أكمل نصف ديني..

صاحب المقهى أنت تتزوّج ابنتي.. لو لم يبق أحد في الأرض يريد الزواج من ابنتي لما زوجتك..! يريدُ ابنتي قال..!! وإياك أن تقترب شبراً واحداً من المقهى.. **(يعود إلى المقهى)**.

حسُون ستندم يا سيّدي..

صاحب المقهى لا يندم غيرك..

(يدخل رجل مهيب..)

خالد أووه.. هذا مسؤولٌ كبير.. أعطه ذرة يا حسّون.. هذه فرصة لك كي تسأله عن أرض لمشروعك القادم..

حسُون ذرة.. ذرة.. تفيد العقل، وتنعش الذاكرة، وترفع الحظ، وتردُّ عيون الحسّاد..

صاحب المقهى **(للرجل)** تفضلّ جنابك..

الرجل سأشتري ذرة أولاً..

حسُون تفضل جنابك **(وهو ينظر إلى صاحب المقهى متفاخراً)** الذرة جميلة للناس الجميلين..

الرجل أتعلم بأنني أحبُّ الذرة..

حسُون أكيد أعلم، ولذلك أنا أوفرها في السوق..

الرجل فكرة جيدة..

حسُون إن لديَّ طموحاً يا سيدي بتوفير هذه العربات في كل مركز تجاري وسوق.. ما رأيك أن نتشارك يا سيدي في هذه الفكرة..

الرجل يا بني أنت لا تزال صغيراً على هذه الأفكار، ونصيحتي لك أن تترك هذه الأفكار للناس الكبار..

حسُون لكن عمري في الثلاثين يا..

الرّجل حينما أقول الكبار فأنا لا أقصد العمر افهمني..!!

حسُون آها..! فهمت..! طيّب هل ممكن أن أحصل على قطعة أرض أسكنُ فيها..

الرّجل **(يضحك)** وكيف ستسكنُ في قطعة أرض.. ألا تريدُ منزلاً يقوم عليها كي تسكنه يا بني..

حسُون أكيد بالطبع، ولكن قطعة الأرض هي الأساس..

الرّجل هات لي ذرة..

حسُون ماذا قلت؟ هل تساعدني في الحصول على قطعة أرض، فأنا - والله - أسكن في غرفة واحدة مع أمي وأختيّ، ليس لي أرض ولا عمل يناسبُ مؤهلاتي، ولا أستطيع

الزواج.. لي طموحات - يا سيدي - كبيرة.

الرّجل لا تصدّعني يا بني بهذه الأمور فأنا لست من يحلُّ لك مشاكلك..

حسُون حسناً لديَّ كتاب بعنوان (**إدارة الأفراد**) هل يمكنك كفالتي عند إحدى المطابع لطباعته..

الرّجل اسمع، شكلك ليس شكل مؤلفين.. ربما تستطيع تأليف كتاب هو طبخ الذرة وليس إدارة الأفراد.. اقنع برزقك يا بني.. أف صددت شهيّتي عن الذرة.. لا أريد شيئاً منها.. (**يهمُّ بالخروج**).

صاحب المقهى تفضل صاحب الجناب..

الرّجل (**غاضباً**) لا أريد شيئاً.. لا ذرة ولا شيئاً آخر..! (**يخرج**).

صاحب المقهى (**لحسّون**) قطعت علينا رزقنا.. لا سامحك الله..

خالد حسّون!! ما الذي فعلته بالرّجل..؟

حسُون أنا إنسان محتاج إلى مصدر رزق كي أعيش.. قل بالله عليك كيف أعيش.. ألم تقل لي إنه سيساعدني على الحصول على ما أريد؟

خالد نعم ولكن ليس بهذه الطريقة.

حسُون أنا لا أجيد التزلّف والتّصنع والحذلقة.. أنا إنسان مباشر.. عملي..

خالد ستجني عليك هذه الصفات يا صاحبي..

(يدخل الضابط والشرطيان يضع أحدهما الكرسي والآخر الطاولة)

الضابط (**وهو يجلس**) هذه المرّة خطيرة جداً.. جداً..

حسُون (**يجري نحوه**) ما الذي فعلته يا حضرة الضابط؟

الضابط إزعاج مسؤول كبير..

حسُون إزعاج..!! من الذي قال ذلك..؟

الضابط وتكذّبه أيضاً (**يكتب**).. وقد اعترف المتّهم.

حسُون من الذي اعترف، ومن المتهم..؟

الضابط (**يتابع**) بأنّه قام بإزعاج المسؤول الكبير، وأنّه أسمعه عبارات لا تليق به، وأنّه وجّه إليه كلماتٍ لاذعة..

حسُون يا ناس حرام.. والله لم أقل شيئاً.. خالد..

صاحب المقهى يستحق.. فقد ضايقني أنا أيضاً وتجرأ في طلب الزواج من ابنتي.. أنا شاهدٌ عليه.. سجّل اسمي.. دع السّجن يؤدّبه.

الضابط وقد شهد صاحبُ المقهى بذلك.. وبائع الصحف.. (**لا يستطيع خالد نفي ذلك**).

حسُون خالد تكلّم.. هل عُقد لسانك؟

الضابط ولم ينكر المتهم هذه التّهمة.

حسُون بل إنني أنكر كل كلمة.. أنا لم أقل شيئاً أساء إلى أحد..!

الضابط وقّعا على المحضر..(**يسرع صاحب المقهى وخالد**).

صاحب المقهى (وهو يبصم) لم لا.. يستحق..

خالد (ينظر لحسّون) اعذرني يا حسّون فقد نصحتك.. ولم تسمع نصيحتي (يوقع).

حسُّون أحسنتما.. (يقول شعراً).

وما أكثر الخلّان حين تعدّهم.. ولكنّهم في النائباتِ قليلُ

الضابط (للشرطيين) قودوه إلى المخفر!

(تدخل سناء)

سناء أين تذهبون بحسّون..؟

الضابط مثلك يا جميلة لا ينشغلُ إلا بالجميل.. دعي عنك هذه الأمور..

صاحب المقهى لا شأن لك يا بنت بهم.. ليأخذوه أينما شاؤوا..

حسُّون كوني واثقة يا سناء بأن حسّون سيكون له شأن كبير.

صاحب المقهى بالمشمش..

سناء ما الذي فعله حسّون يا حضرة الضابط؟

الضابط ستعلمين لاحقاً..

حسُّون سيعود حسّون أقوى شمشون..!

سناء سأزورك يا حسّون..

حسُّون نعم زوريني في بيت الراحة.. أقصدُ في المخفر..! (يخرجون به).

الضابط (لسناء) لنا لقاءٌ آخر عمّا قريب..

صاحب المقهى تشرفنا يا حضرة الضابط..

سناء مسكين يا حسّون.. من سينفق على والدته المريضة وأختيه..؟

صاحب المقهى ليتك تتحسّرين على رجلٍ يستحق..

خالد لا تلامين يا سناء.. فليت كل واحد يعرف مواهب وعقل حسّون.. حسّون الذي كان يجادلُ أساتذة فطاحلةً في الجامعة، وكان يفوز عليهم في الحوار، كان، ولا يزال، بليغاً وله شخصية متميّزة.. لكنّه لم يجد الفرصة كي يُسمع صوته للآخرين..

سناء قلبي معك يا حسّون..

ينتهي المشهد

المشهد الخامس

(صورة المشرّد، كما ظهر في المشهدِ الأوّل، شرطيّان يدخلان وهما يقودان حسُّون، ثم يرخيان عنه قبضتاهما ويدعانه)

المشرّد يبدو أنّ أحلامكَ عصيّةٌ على التحقيق.. أوهام يا صديقي أوهام..

حسُّون لا يأتي شيءٌ دون تضحيات..

المشرّد إذن ضحِّ يا صديقي لنا ولك.. اذبح أضحيتين..

حسُّون **(هازئاً)** هاه، هاه، تضحكني كثيراً.. **(ينتحب)** هل لديك عصير..؟

المشرّد بالتأكيد، خذ واهنأ بالعصير..

حسُّون **(ينفر منه رذاذاً)** ما له مرٌّ..؟

المشرّد لأنه معتّق طبيعي لكنّه مفيد **(يعود حسّون إلى شربه)**.

حسُّون بدأت أستلذّه الآن..! **(يشرب حتى تفرغ القارورة)** عصيرٌ لذيذ.. **(يضع يديه خلف رأسه)** أتعرف يا.. ليس مهمّاً اسمك.. كلامك صحيح..

المشرّد أعرف أن كلامي صحيح دائماً.

حسُون لـم أتـوفـق فـي أي شـيء.. لا عـمـل، لا بـيـت، لا انتخابات، كل شيء يحتاجُ إلى ظهر..

المشرّد **(يضحك بملء فيه)** إلى ماذا؟ إلى ظهرٍ أم بطن..؟

حسُون **(يضحك بدوره وقد بدأ الشراب يذهبُ بلبِّه)** هكذا يقولون.. وأنا لا أملك الظهر الذي يقصدونه.

المشرّد لماذا؟ أليس عندك ظهرٌ وبطن كباقي العالمين...؟

حسُون **(يضحك)** لا ياصاحبي أنا مقصوف الظهر.. **(يضحكان، وحين يهدآن، بجديّة)** وهذا ما يدفعني إلى التفكير للحصولِ على هذا الظّهر بأيّةِ طريقة.. **(سكوت، يبدأ السرحان، وما يأتي من أحداث هي داخلةٌ ضمن خياله حتى يستفيق في المشهد الأخير).**

(يدخل صحفي، وفي يده كاميرا فوتغرافية ودفتر)

الصحفي مساءُ الخير..

المشرّد أيُّ خير..؟! هل ترى عيناكَ خيراً..؟

الصحفي لربّما يجدُ الإنسانُ خيراً حتى لو كان يسكنُ مردم نفاياتٍ، ويجدُ شرّاً ولو كان يسكن قصراً، يعتمد ذلك على نظرته..

المشرّد احتفظ بهذه الفلسفة لنفسك.. ما الذي تريدهُ ثانيةً؟

الصحفي جئتُ أكملُ التحقيق الصحفي السابق معك حول حياة المشردين.

المشرّد قلتُ كلّ ما عندي، ربّما يستطيع هذا الرّجل أن يضيف إليك شيئاً..

الصحفي **(ينظرُ إليه)** ما اسمكَ يا... **(يندهش، يفتحُ عينيه، لا يصدّق)** يا إلهي إنني على مشارفِ اكتشافٍ كبير، اكتشافٍ سيفتح لي البابَ أمام العالميّة.. لا أصدّقُ ما أرى، إنّه يشبهه، أجل يشبهه، القسمات، العيون، الأنف، الذقن، الأسنان، الخدود، كلُّ شيءٍ يشبهه.. إنّه هو..

حسُون إيه.. ما بك هل جننت.. ما الذي تقوله، من هو ويشبهُ من؟

الصحفي يا إلهي ما هذا الإكرام؟ أأنا أحظى بهذا الشرف الكبير؟ أأنا الذي ستفتحُ له الأبوابُ الأولى بوصفه صاحبَ الاكتشاف الأول؟!

المشرّد لقد أزعجتنا يا رجل..

الصحفي **(للمشرد)** تعال، وانظر **(يقترب المشرّد)** أليس هو؟

المشرّد هل ترى جنِّياً؟

الصحفي بل أرى شقيق الرئيس..

المشرّد أي رئيسٍ؟!

حسُون إن لم تذهب، سأتصرّفُ معك بطريقةٍ غير لائقة.. سأعجنكَ عجناً محترماً.. وسترى من شقيقُ الرئيس؟.. ألم تجد غيري حتى تهزأ به.. هل أصبحتُ مثاراً للسخرية؟

الصحفي **(للمشرّد)** ألم تقل لي في حوارنا السابق أن صاحبك هذا قد تركه والده مع والدته وأختيه وهاجر إلى أمريكا ربّما وتزوّج من هناك..؟

المشرّد هذا ما يقوله هو، ولم أزد حرفاً واحداً.. هل تريدني أن أحلف؟

الصحفي المسألة لا تحتاجُ إلى حلف، فالدليل ظاهرٌ لا يحتاجُ إلى مشقّةٍ، واضح وضوح الشمس.. **(يتلمس كاميرته)** يصوِّر، من جميع الزوايا هو.. أجل هو.. شقيق الرئيس، يا إلهي ما هذا اليوم المشرق البهيج..؟ **(يلتقط مزيداً من الصُّور)** طول قامته، مقاسات جسمه، كل شيءٍ، كلّ شيءٍ يشبهه..

حسُون **(للمشرّد)** انصح صاحبك هذا، فإن لم يتركني في حالي فسوف أنقضُّ عليه انقضاض الأسدِ على فريسته..

الصحفي والله سأكونُ أسعد فريسة على وجه الأرض.. لأنني سأشتهر.. التقطت ما يكفي من الصُّور. والآن عليَّ أن أودّعكم..

حسُون **(يمسكه من ثوبه)** لن تبرحَ هذا المكان حتى تحلَّ هذا اللُّغز الذي وضعتني فيه..

الصحفي لا مجال لإخفاء الحقيقة، عليك أن تصارح الجميع بها..

حسُون أيّة حقيقة يارجل؟

الصحفي حقيقة أنك الأخ غير الشقيق للرئيس الأمريكي حسين

باراك أوباما.. فهو حسين وأنت حسّون..!! عن إذنك، علي أن ألحق بطباعة الخبر قبل صدوره، سترى الخبر كاملاً في الجريدة المسائية..! **(يهرعُ خارجاً، يتركه مذهولاً..)**.

حسُون **(يحدّث نفسه)** حسين، حسّون.. فعلها أبي إذن، وها أنا الآن أخو الرئيس.. آه يا حسّون عليك أن تغرق في التفكير في أشياءَ لا تحصى ولا تعد..!

المشرّد **(يقتربُ منه، وهو خائف ومتردّد)** سبحان الله! من يراك لا يمكنُ أن يخالجه الظنُّ أبداً في أنّك أخو الرئيس. ولولا الصحفي لما عرفت حتى أنت أنّك أخو الرئيس..

حسُون **(ساخراً)** من قال لك إنني لا أعرف أنني أخو الرئيس، هل هناك أحدٌ في هذه الدنيا لا يعرف أخاه؟ إنّما أردت أن أكشف النفوس، أعرف أصحاب المعادن الأصلية أو الزائفة، وكنتُ أنتهزُ الفرصة كي أعلن عن هذا الخبر..!

المشرّد في الحقيقة، أنا أتأسّف لك لسوء أدبي في الحديث معك يا حسّون.. فأنا لم أكن أعرفُ أنك أخو الرئيس..

حسُون سبحان مغيّر الأحوال، وسنرى العجب العجاب.. **(يسمع أصوات فرقة موسيقيَّة قادمة تغني على الطريقة المصريّة، يقودها صاحبُ المقهى وخالد وسناء، يرقصُ صاحب المقهى)**.

صاحب المقهى ألف تحية لأخي الرئيس.. وتحيّة للرئيس، وخطيبة أخي الرئيس **(يشير إلى ابنته)** وصهر أخي الرئيس

(**يشير إلى نفسه**) وصديق أخي الرئيس (**يشير إلى بائع الصحف**).

المشرّد وتحيّة لرفيق العمر الذي هو أنا..!

صاحب المقهى لا يستحق التحيّة، فأخو الرئيس ليس هؤلاءِ من مستواه..!

حسُون ما هذه الضجّة والفوضى التي تقودها يا زعتر..؟

صاحب المقهى تقصدُ عنتر.. لا يهم كل اسم تسميني به جميل حتى لو قلت قمبر..!

حسُون قمبر..! ما شاءَ الله ما أسرع ما تهون الأسماءُ في وجه المصالح..!

خالد عنتر وأنا وجميع أهل الحارة يحتفلون بك يا حسّون، يا أخا الرئيس..

حسُون تحتفلون بماذا، هل غيّرتُ جلداً غير جلدي..؟

سناء لم يكن غيري يعرفُ قدرك يا حسّون..

صاحب المقهى وأشهدكم يا جماعة بأنني في هذه المناسبة أوافق على زواج ابنتي سناء من حسّون..

حسُون ومن قال لك بأنني موافق..!

سناء (**تقتربُ منه هامسة**) هل هذا معقول يا حسّون.. ترفض الاقتران بي؟ هل تسلل الغرور فوراً إلى قلبك؟

حسُون اتركيني قليلاً كي أذيقه بعض ما أذاقني من المذلّة..

صاحب المقهى في الحقيقة أنا يشرّفني ويشرّف ابنتي الاقتران بحضرة جنابك يا حسّون..

حسُون ونسيت أنّك شهدت عليَّ بأنني تفوّهتُ على مسؤولٍ كبيرٍ، ووقعت على المحضر أنت وخالد..

خالد كنّا تحت ضغطٍ كبير يا صديقي الغالي..

حسُون صديقي الغالي..! لو كنتُ صديقك الغالي لما رضيت بأن أسجن لعدّة أيام..

صاحب المقهى صاحبُ العفو عظيم.. وأنت صاحب قلبٍ رحيم ينسى بسرعة يا حسّون..

(يدخل الزبائن الثلاثة وهم يحملون صور حسّون ولافتات ترشيحه لمجلس الشعب).

زبون١ كائناً من يكون..

زبون٢ لا نبتغي سواه..

زبون٣ مرشّحنا حسّون..

(تشاركهم الفرقة الموسيقية)

زبون١ **(بعد التوقف)** في الحقيقة يا سيّد حسّون، بعد البحث والتقصي، لم نجد مرشّحاً بلا منافس في انتخابات مجلس الشعب أصلح لنا منك..

حسُون ما الذي حدث؟ لقد ضحكتم عليَّ حينما قلت لكم إنني أريد ترشيح نفسي..

زبون٢ كنّا نحسبك تمزح.. أمّا وقد عرفنا مدى جديّتك، وبان

لنا أنّك رجلٌ ذو بأسٍ وهمّة، وإخلاصٍ وتفانٍ، وبسالة وشجاعة..

حسُون يكفي، هل نحن في سباق خيول..؟

زبون٢ **(يكمل)** فإننا لم نجد في الحقيقة أفضل منك..

زبون٣ وبلا شك.. بلا شك أنّك مرشّح الجميع، مرشّح بلا انتخابات..

حسُون كيف ذلك..كيف يصير.. مرشح بلا انتخابات؟

زبون١ عندنا يصير..

صاحب المقهى اعتبرها هديّة يا صهري العزيز.. الجماعة لا يريدون مرشحاً غيرك.. فلا تكسر خواطرهم..

حسُون قبلنا الهديّة..**(الفرقة والآخرون يغنّون)**.

(يدخل الرجل والضابط والشرطيّان اللّذان يحملُ أحدهما كرسي والآخر الطاولة).

الرّجل يا مرحباً يا بننا الوفي..

حسُون ابنكم الوفي..!! من أين هبط الوفاءُ عليَّ مرّةً واحدة؟

الرّجل نعتذر إليكَ أولاً لجهلنا بك، فكما يقول المثل "من لا يعرفك يجهلك"، فنحنُ لم نكن لنعرف أنّك أخو الرئيس، وهذا طبعاً يشرّفني أن يكون أحد أبناء هذا الوطن أخاً للرئيس الأمريكي، يقرّب ما بيننا العلاقات، ويدعم المشاريع، ويكون واسطتنا إليه في كلّ أمر نحتاجه..

حسّون سبحان مغيّر الأحوال! ما الذي حدث في الدنيا..؟

الضابط **(يشير إليه بالجلوس على الطاولة التي كان يجلس عليها الضابط)** تفضل يا سيدي اجلس..

حسّون هذا طاولتك..؟

الضابط من هذا اليوم أصحبت طاولتك، وأتشرفُ بإهدائها لك هي وأصحابها.. **(يجلس عليها حسّون).**

حسّون ويا حبّذا بالمرة تعيدُ إليَّ بطاقة هويّتي..

الرّجل **(مؤنّباً الضابط)** لماذا تحتفظون ببطاقة هويّته، ألا تعلمون أنّ مواطن يريد أن يسير ويجيء ويعمل، ومن ثم يحتاجُ إلى بطاقة هويّته..؟

الضابط والله ليست عندي، مستحيل أن أحتفظ بها عندي.

شرطي١ يقصد نقوده..

الضابط اسكت أنت..

حسّون **(للشرطي)** نوّر الله عليك.. بالضبط أقصد نقودي، ألا تعرف الفرق بين البطاقةِ والنقود.. هاه؟!

الرّجل لماذا أخذت منه نقوده.. ألست أنت أول من يحافظ على القانون؟

الضابط بل هي نقودٌ بسيطة اقترضتها منه لمدةٍ يسيرة **(يخرج مبلغاً من جيبه)** واليوم ها هي في جيبي كنت في طريقي إليه لسدادها..

حسّون **(يضع النقود في جيبه، للرجل)** هل لديك هاتف..؟

الرّجل بالتأكيد عندي، تفضل **(يخرج هاتفه النقال)**.

حسُون هل تصل ذبذباته إلى أمريكا والبيت الأبيض تحديداً..؟

الرّجل بالتأكيد.. بالتأكيد..

حسُون أووه تذكرت.. لا أريد رقم أخي يظهر على هاتفك حتى لا تكلّمه في أمورٍ تافهة..

الرّجل خذه يا سيد حسّون.. هدية لا تردّ!

حسُون بدأت الهدايا تكثر يا حسّون **(يتصل)**..

الرّجل **(مهدّداً الجميع)** سكوت.. الجميع سكوت.. إنه يحدّث أخاه الرئيس الآن.. أيها الضابط إذا سمعت حركة بسيطة من أحد الحضور فلا تتهاون معه.. مفهوم؟

الضابط مفهوم يا سيدي..

حسُون آلو، مرحباً حسين..

صاحب المقهى إنّه يناديه باسمه..

الرّجل هس.. سكوت..

حسُون أهلاً أخي.. كيف الأمور، ما شاء الله قرارات سريعة وقوية.. نعم نعم.. الآن علموا بأنني أخوك.. متأخرين جداً.. أووه بالتأكيد، المتملقون، والمجاملون، وطلّاب المصالح، هذا يريد تزويجي والثاني يريد ترشيحي وهكذا..!! هل تحدثني بعد الاجتماع مع الرئيس الروسي.. تمام في انتظارك.. يمكن أن تبعث لي برنّة واحدة وسوف أرد عليك، نعم سأشتري رصيداً جديداً..

تستاهل أبوعلي.. **(يلح عليه الرّجل بأن يسلّم على الرئيس، يبعد حسّون عن أذنه الهاتف، ويقرّع الرجل)** ما رأيك أن تحدّثه أنت بدلاً عني؟!.. هاه..

الرّجل **(يرتبك)** أنا.. أحدّث الرئيس الأمريكي.. لا لا أرجوك.

حسُّون **(يعاود الكلام)** لا كنت أتحدّث مع شخصٍ آخر.. مع السلامة..

الرّجل كنت أشير إليك بأن تسلّم عليه..

حسُّون لا يعرفك.. كيف أسلم عليه؟

الرّجل لا يهمّ ذلك، المهم ما هي أخباره..

حسون أخباره بين الاجتماعات واتخاذ القرارات وغيرها..

(يرن هاتف الرّجل)

الرّجل **(مرتبكاً)** أرجوكم.. هذه مكالمة غاية في الأهميّة، ألو، نعم يا صاحب الجناب الرفيع.. نعم.. نحن بالقربِ منه الآن، سأبلّغه فوراً.. بالتأكيد يستحق.. طبعاً، بالتأكيد شكراً صاحب الجناب الرفيع..مع السلامة.. مع السـ **(تنتهي المكالمة)** لقد جهَّز لك بيتاً فخماً يا حسّون لتنتقلَ إليه..

المشرّد سأنتقل معه لأنني رفيق عمره..

الرّجل أبعدوا هذا من هنا.. هيّا **(يتقدم أحد الشرطيين ويسحبه)**.

المشرّد أرجوك يا حسّون، كلّمهم كي يتركوني إلى جانبك، أنا مستعدٌّ كي أصبح مدير الخزينة عندك..

حسّون دعني أرتّب أموري، وسأرى لاحقاً (**يبعده الشرطي**).

الرّجل والآن وفقاً للأوامر التي صدرت لي، علينا أن ننقلك إلى بيتك الفخم، المؤمّن بالحراسات يا حسّون، يا أخا الرئيس..

صاحب المقهى هيّا يا فرقة.. زفّي أخا الرئيس، صهري المحترم وعضو مجلس الشّعب إلى بيته الفخم الجديد..

(**تعزف الفرقة، يحيط به الجميع، يحمله شخصان، يخرجون**).

ينتهي المشهد

الفصل الثاني

المشهد السادس

(بيت حسّون الفخم، مدبرة المنزل منى، تعطي التعليمات لكلٍّ من خالد وصاحب المقهى عنتر اللّذين أصبحا يعملان الآن عند حسّون)

منى بالنسبةِ إلى تنسيق المواعيد مع السيّد حسّون فهذه مهمّتي، بصفتي مديرة أعماله..

خالد مفهوم، وماذا عن الزيارات..؟

عنتر أنا أصاحبه فيها بصفتي صهره..

منى أرجو عدم مقاطعتي.. في زياراته الخاصّة لا يفترض من أيّ أحد أن يصاحبه، وذلك لأن السيد حسّون يريد أن يأخذ راحته في المحادثات التي قد تكون سريّة..

عنتر لكنني (صهره)..

منى هذه تعليمات، مفهوم.. أنت عليك الاهتمام بالإسطبل،

ولا تكسر ظهر خيلٍ مرّة أخرى، فأنت تشرف على رعاية الخيول لا أن تحمّلها وزناً لا تحتمله (**في إشارةٍ إلى جسمه المتين**).

عنتر لم أركب غير فرسٍ واحدة هي التي انكسر ظهرها..

منى ماذا عن الفرس البيضاء التي هي فرس السيد حسّون..

عنتر جرّبتها قليلاً.. قليلاً فقط..

منى يمكنك أن تركب البغلة أو الجواميس أما الخيل فلا..مفهوم.

عنتر (**بمضض**) مفهوم..

(**يدخل حسّون وهو يتحدث في الهاتف، يلبس ملابس النوم، روب أو ما شابه ذلك، برفقته الشرطيان وقد أصبحا أمنه الخاص، يغطيان أعينهما بنظارات سوداء ويتصرفان كرجال أمن**).

حسُون مرحباً حسين.. اليوم عندي اجتماع مع الجماعة.. نعم بالتأكيد.. سأنقلُ إليهم سلامك.. سأحدّثك لاحقاً.. (**يقفل السماعة**) مرحباً.. كيف الأمور؟

الجميع على ما يرام..

(**يُدخل أحد العاملين الإفطار، ويضعه على الطاولة**).

عنتر فتحنا بالأمس مقهى جديداً في سلسلةِ مقاهي (**ابلعها مهضومة**) يا صهري العزيز.

حسُون رائع، ألم تواجهكم أيّة مشاكل أو عوائق..؟

عنتر هم يعلمون جيّداً أنّها لك.. وبالمناسبة فإننا نموِّلهم

بالأغذيةِ في أثناء المشاريع بسعرٍ خاص.. الأمور تمام التمام، أنت تعلم أن حماك خبيرٌ في شؤون المقاهي..!!

حسُون اسمع يا صهري، لا أريدُ أن تستغلَّ اسمي في هذه الأعمال، أريدُ أن تكون الإجراءات واضحة وحسب القانون.

عنتر **(مرتبكاً)** بالتأكيد، يا صهري العزيز، هي حسب القانون والأنظمة.. ولكن تواجهك بعض الأحيان معوّقاتٌ تافهة، تحتاجُ أن تكلّم فيها هذا المسؤول أو ذاك لتحريكها فقط..

حسُون حتى هذه يجب أن تكون وفقَ الأنظمة المتّبعة، أنتم تعلمون بأنني أتبنّى في مجلس الشعب فكرة إلغاء الواسطاتِ في كلِّ شيء، وهناك بالتأكيد من يلتقطُ أيّة هفوةٍ لي، فلا أريدُ أن أتعرّض للهفوات المحرجة في مجلس الشعب..مفهوم!

خالد وعنتر مفهوم يا حضرة سيد حسّون.

حسُون أريدك في كلمة يا صهري.. **(يأخذه جانباً)**.

عنتر تفضّل يا سيدّ حسّون.

حسُون سناء..

عنتر ابنتي ما بها، خيراً إن شاء الله؟

حسُون نصحتها عدّة مرّات بأن تتّبع الأنظمة والقوانين ولكن يبدو أن المسألة قد أعجبتها، وهي تستغلُّ اسمي خاصّة

في فتح محلّات التجميل التي تديرها، أخافُ أن تكون أنت أيضاً وراءها..!

عنتر **(مرتبكاً)** لا والله، لا أعلمُ عنها شيئاً.. سأتحدّث عنها، ثم يا صهري، لا تكن بهذه الصرامة، فالنّاس تأخذُ وتعطي، هذا هو السّائد..

حسُون **(بحزم)** أريدُ أن أغيّر السائد!!

عنتر **(خائفاً)** سأتحدث معها، أعدك بذلك!

منى علينا أن نواصل دروس **(الإتيكيت)** لأن الدبلوماسيين سيأتون اليوم، ولذلك يجب أن نركّز على كيفية التعامل مع الدبلوماسيين..

حسُون ربما في وقت آخر فارغ أشعر أن معدتي فارغة..

منى أتمنى أن يكون ذلك قبل حضور الدبلوماسيين.

حسُون إذا وجدتُ في الوقت متّسعاً.. ليخرج الجميع الآن.. كل واحد يباشر عمله.. خالد أريدك في موضوع **(يخرج الجميع عدا خالد، هدوء، يشير إلى خالد بأن ينظر هنا وهناك فلا يرى أحداً ويركضان ناحية طاولة الطعام، وقبل أن يحمل صحن الأكل ليأكل على الأرض، تدخل منى)**.

منى **(يبدو عليها بعض الاستغراب)** عفواً سيد حسّون، حضر مسؤول المبيعات أرجو أن تقابله..

حسُون بعد الإفطار.. هل يمكنُ أن أقابله بمعدةٍ فارغة؟

منى بالتأكيد لا، أردتُ إعلامك بحضوره فقط..

حسُون ولا أريد أن يزعجني أحد في أثناء تناولي الإفطار..

منى أمرك سيد حسّون.

(يجلسان على الأرض هو وخالد، يأكلان بطريقة تقليدية وسريعة).

حسُون معدتي تصدرُ أصواتاً غريبة، كل يا بن بلدي.. كُل.

خالد هذه الأيام نهنأ بالأكل..

حسُون **(وهو يهضم اللقمة بطريقة بدائية)** كُل حتى تشبع، لماذا الطاولات؟ شوكة وسكينة وملعقة.. لا أحب هذه الأدوات.. بل أحبُّ هذه الملعقة الكبيرة **(يشير إلى يده)**.

خالد وماذا ستفعل مع الدبلوماسيين؟

حسُون **(يتوقّف)** صحيح.. ماذا أفعل؟

خالد سأخبرهم أن يقطّعوا لك طعامك قطعاً فلا تضطر إلى قطعها على الطاولة.

حسُون فكرةٌ رائعة..

خالد ألم أقل لك إنني صاحبُ أفكار..؟

حسُون يكفيك الآن.. قم واستدعِ مبيعات المسؤول.

خالد **(يضحك)** تقصد مسؤول المبيعات؟

حسُون هو بعينه..

خالد في الحال **(يأخذ خبزة في يده بينما يعيد حسّون الصحن إلى الطاولة، يدخل مسؤول المبيعات ومنى، يشابه المشرّد ويمكن لهذا الأخير أن يتقمص الدور نفسه).**

مسؤول المبيعات السلام عليكم سيد حسّون..

حسُون وعليك السلام.. شكلك ليس غريباً عليَّ.

مسؤول المبيعاتربما تتشابه الوجوه يا سيدي.. يخلقُ من الشبه سبعة عشر.. هل يمكن أن تختار الأصناف التي تناسبك من الملابس والأحذية والهواتف؟ **(يختار أصنافاً غير متناسقه مع استغراب مسؤول المبيعات ومنى).**

حسُون كم بلغت هذه المشتريات..؟

مسؤول المبيعات مجاناً.

حسُون عفواً؟

مسؤول المبيعات أقول: مجاناً، لقد قلنا لهم إنّها لأخي الرئيس.. فكثرت هداياهم وعطاياهم وحلفوا أن لا أدفع لهم فلساً واحداً..

حسُون وأنت مسرور.. هاه.. **(يرمي الملابس والمشتريات)** خذ ملابسك وأحذيتك وهواتفك.. لا أريد شيئاً بالواسطة..

مسؤول المبيعات لماذا يا سيّد حسّون؟

حسُون لأن هذا فخّ قد نُصب لي، أنت لا تعلم..

مسؤول المبيعات لكنني أتعاملُ مع هؤلاء التجّار منذ فترة..

حسُون وتريدُ أن توقعني بغباءٍ منك في فخ العطايا.. لا شيء بالمجّان يا إنسان.. من يهديك شيئاً، سيأتي غداً ليطلبَ منك مصلحة.. اذهب قبل أن يأتي أحد فيشاهد كل هذه العطايا..

مسؤول المبيعات حاضر يا سيد حسّون **(يلمُّ كل المبيعات بسرعة، تساعده منى، يخرج).**

منى **(لحسّون)** عليك أن تجهز الآن لاستقبال الدبلوماسيين الذين أتوا للتعرف عليك.

حسُّون اجتماعات لا تنتهي..

منى هذا لأنّك مهم يا سيد حسّون..

حسُّون **(سرحان قصير)** سبحان مغيّر الأحوال!!..

منى عموماً قبل أن تبدّل ملابسك هناك رجلان يريدان مقابلتك، قالا: إنهما قابلاك في إحدى الوظائف التي تقدمت لها سابقاً..

حسُّون قابلني كثيرون لا أذكرهم.. لكني أذكر أنّ أجمعهم رسّبوني، لسبب واحد وهو أنني ليس عندي ظهر.. أدخليهما لنرى ما هي مطالبهم؟!!

منى حسناً، سيدخلان عليك فوراً..

حسُّون **(يحدّث نفسه وهو ينظر حوله)** سبحان مغيّر الأحوال، تنقلب الدنيا لأنهم يظنون أنني أخو الرئيس، وها هو حسّون اليوم بين خدم وحشم، ومدبرات منزلٍ ومديرة أعمال ومنسقين، وسائقين، وبيت فخم وإسطبل خيول وأسطول سيارات.. سبحانك ربي.. لا بدَّ أن المقابل الذي يريدونه مني شيءٌ أكبر..

منى الضيفان يدخلان سيد حسّون **(تخرج هي).**

حسُّون تمام، تمام، **(يمسك هاتفه، ويتظاهر بوجود محادثة،**

يدخل الرّجلان موظف١ وموظف٢، مرتبكين، يظهران الاحترام والهيبة).

حسُون **(يتصنّع الحديث إلى الرئيس، يشير إلى الرجلين بالجلوس، لكنّهما يظلان واقفين حتى يجلس هو فيجلسان، ويقوم فيقومان، وهكذا تكرر منه الحركة هذه)** مرحباً أخي حسين.. كيف الأمور هناك في الولايات المتحدة، أثق تماماً في قدرتك على إيجاد حلول للأزمة الاقتصادية، **(وقفة)** صحيح، **(وقفة)** صحيح، كانت حركة جميلة منك أن ترسل على الفور مندوبك للشرق الأوسط السفير جورج ميتشل.. هل أخبرته بأن يزورني.. ممتاز، إذن سنناقش معه جملةً من القضايا الخاصة بأزمة الشرق الأوسط.. تمام.. نتهاتف لاحقاً، سلم لي على زوجتك ميشال وعلى ابنتيك مايا وساشا.. **(يقفل الهاتف)** مرحباً، ماذا لديكما؟

موظف١ هل تتذكرنا؟

حسُون **(في إشارة امتعاض)** وهل يمكن أن أنساكما؟ أصحابُ الواسطات! **(يشعران بالحرج).**

موظف٢ كانت المقابلات في ذلك الوقت صعبة، وكنا نضطر إلى صياغة أسئلة صعبةٍ جداً.

حسُون ولكنّني أجبتُ عن كل أسئلتكم الصعبة!! فماذا كان سبب عدم حصولي على الوظيفة؟

موظف١ لقد قمنا بترشيح اسمك..ولكن كما تعلم التدخّلات من هنا وهناك..

حسُون لالا.. قلتما لي - وأتذكر ذلك بصريح العبارة -: إذا لم تكن تملك الواسطة فأغلق الباب وراءك..! أليس كذلك..؟!

موظف٢ لكننا تجادلنا فيما بعد ورأينا أنّه يجب علينا إنصافك..عموماً أنت الآن أخو الرئيس وعضو مجلس الشعب و..

حسُون **(مقاطعاً)** ماذا تريدان؟ **(يرتبكان)**.

موظف١ نريدُ منك أن تتوسّط لنا في الحصول على وظائف مرموقة في مجلس الشّعب..

حسُون هل تريدانها بالواسطة أم بالكفاءة..؟

موظف٢ **(مدّعياً)** بالكفاءة طبعاً.

حسُون حسناً دعوني أختبر كفاءتكما.. **(موسيقى من سيربح المليون)** السؤال الأول: ما السؤال الذي لا يمكن الإجابة عنه بنعم؟

(يتسابقان في الإجابة فلا يعرفانها، رجلا الأمن يسخران منهما).

حسُون هو سؤال: هل أنت نائم؟ فكيف تقول نعم وأنت نائم..؟ طيب السؤال الثاني: ما هي المدرسة التي يجب أن تسقط فيها لكي تنجح؟

موظف٢ مدرسة الحياة.

حسُون لا..

موظف١ مدرسة تعليم قيادة السيارات..

حسُون المدرسة التي يجب أن تسقط فيها لكي تنجح هي مدرسة تعليم السقوط بالبارشوت، مستواكما صفر.. السؤال الثالث: إذا كنت تسبح في المحيط وهاجمك تمساح ماذا تفعل؟

موظف١ أصارعه حتى أقضي عليه.

موظف٢ أمسك فكّه الأسفل والأعلى وأرفسه في حلقومه.

حسُون لا تتعب نفسك لأن المحيط لا توجد فيه تماسيح، ما شاء الله عليكما.. لا يبدو أنكما محظوظان، فعليكما أن تجدا حظّكما في مكانٍ آخر.. انتهت المقابلة.

موظف١ إذن وظّفنا بالثانية، أقصدُ بالواسطة.

موظف٢ (**مرتبك**) الأمور تمضي الآن في كلّ شيءٍ بالواسطة..

حسُون هل تعلمون أنني أتبنى مشروعاً في مجلس الشعب للقضاء على الواسطة في كل الإجراءات؟

موظف١ نعلم، ولكننا نعتقدُ أن هذا في الظاهر، أمّا في الباطن..

حسُون (**وقد استبدَّ به الغضب**) هل تقولُ بأنني منافق.. فما أقوم به في الظاهر يناقض ما أقوم به في الباطن؟!

موظف٢ لا يقصدُ هذا بالتأكيد، ولكن الواسطة أصبحت تجري في مواسير المياه التي نشرب منها..!

حسُون اخرُجا الآن فوراً.. هيّا..

موظف٢ جرّبنا في العمل ولو لبضعة أيام..

حسُون قلت انتهينا والسلام..

موظف١ **(يلوم صاحبه، وهما يخرجان)** ألم أقل لك إنه لن ينسى الموقف..

موظف٢ ظننت أنّه سينسى.. لكن هذا لا يمنعنا من تكرار الطلب.. **(يخرجان).**

(تدخل زوجته سناء وهي تصفِّق).

سناء ما هذا الحزم، وهذه الشدة؟

حسُون وهذا أيضاً يسري عليكِ أنتِ أيضاً يا زوجتي..

سناء حسّون!! لا تكن يابساً فتكسر..

حسُون لن تُكسر عزيمة أخي الرئيس.

سناء ما تحاول تغييره، أمرٌ غير قابل للتغيير.. المجتمع يمضي على هذه الشاكلة.

حسُون لا شيء لا يقبل التغيير بفضل الإصرار والعزيمة..

سناء أنت فردٌ واحد يا حسّون.

حسُون سناء..! بدلاً من أن تكوني بجانبي، تحاولين تثبيط عزيمتي.. أشعرُ بالغضبِ لتصرفاتك يا سناء، أنت تدمّرين سمعتي، وهم ينتهزون الفرصة للإيقاعِ بي في الفخّ الذي أنصبه لهم..

سناء أنت تغرّد خارج السّرب..

(يدخل خالد)

خالد عذراً على المقاطعة، ولكن هذا لك سيدتي..

سناء ما هذا؟

خالد مبروك، رخصة القيادة..

سناء (**تنظر إلى حسّون**) ولكن موعد اختبار القيادة بعد غدٍ.

خالد إكراماً لحسّون اتصلوا بي وأعطوني إيّاه..

حسّون إذن هكذا تسيرُ الأمور.. في كل شيء، هاتيه (**يأخذه ويمزّقه**).

خالد أستأذنُ فلديَّ عملٌ أقوم به (**يخرج**).

سناء لماذا فعلت ذلك؟

حسّون لأنك لا تستحقينه بكلِّ بساطة.

سناء لن أبقى في هذا البيت لحظة واحدة، أنت تهينني..

حسّون افعلي ما شئت.. لن أتنازل عن مبادئي.

سناء مبادئك هذه ستقودك إلى المصائب.. ولكن مهلاً.. هل تقول لي بأن ما وصلت إليه أنت ليس بالواسطة..

حسّون بل بالحظ.. أخي صار رئيساً، وأنا أخو الرئيس، هذا حظّي.

سناء وكلُّ التسهيلات التي تحصلُ عليها، وانتخابك لمجلس الشعب، وغيره وغيره أليس عن طريق الواسطات..

حسُون نضطرُّ أحياناً أن نتنازل عن مبادئنا أو بالأحرى نعلّقها حتى نصل إلى موقع صاحب القرار الذي يستطيع التغيير..

سناء بعد ماذا؟ بعد أن تحصل ما تريد؟ حلالٌ عليك وحرامٌ علينا..

حسُون اخرجي، لا تدخلي هذا البيت ثانية، لقد انقلبتِ يا سناء رأساً على عقب..

سناء تأكدّ بأنّك لن تجد مساراً بدون تبادل المنافع..! **(تخرج)**.

(منى تدخل على عجل)

منى عذراً على المقاطعة ولكن مستشارك الصحفي يريدُ مقابلتك على عجل.

حسُون دعيه يدخل.

(يدخل الصحفي على عجل وهو يحملُ صحيفة)

الصحفي عذراً على المقاطعة.. ولكن أريدك في كلمة بسيطة يا حسّون.. أقصد يا سيّد حسّون..

حسُون تفضّل **(ينتحيان جانباً)**.

الصحفي اسمع يا حسّون، لقد نشر خبرٌ أخاف أن يأتي على كلِّ ما بنيناه..!!

حسُون روّعتني، أرجوك قل بسرعة..!

الصحفي (**اسمع، يقرأ الخبر**)[١] ألقت الشرطة في العاصمة الكينية القبض على الأخ غير الشقيق للرئيس الأميركي باراك أوباما بتهمة حيازة الماريوانا. وقال جوشوا أوموكولونجولو، المسؤول في الشرطة الكينية: إن جورج أوباما اعتقل في نيروبي وبحوزته كمية من الماريوانا. وأضاف "إنه ليس بائعاً للمخدرات، ولكنها غير شرعية، إنها مادة محظورة". فيما نفى جورج أوباما هذه التهمة. ويشترك الرئيس باراك أوباما وجورج أوباما في الأب، إلا أن الأخوين لم يلتقيا سوى مرة واحدة.

حسُون هذه مصيبة.. مشكلة!!

سناء ماذا هناك يا عزيزي؟

حسُون لا لا.. لا شيء.. نتحدث فقط في بعض القضايا العالمية، هل يمكن أن تتركينا وحدنا قليلاً؟

سناء بالتأكيد (**تخرج**).

حسُون قل لي كيف سنخرجُ من هذه الورطة؟..

الصحفي اسمع، عليك أن تكون هادئاً حين يسألك أحد عن الخبر.. وأنكم عدّة إخوة متفرقون في الأرض..

حسُون لماذا طلع الجورج هذا في زهوة أيامي، وقمّة سعادتي..؟

---

(١) هذا الخبر صحيح، نُشر في عدّة صحف، وقد اقتبسته من موقع (**البي بي سي**):

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_7862000/7862859.stm

الصحفي لا بأس كل شيءٍ سيسيرُ على ما يرام.. لقد وضعتُ خططاً لمثل هذه المفاجآت غير السّارة.. اطمئن.

(منى تدخل)

منى عفواً، ولكن بعد قليل سيدخل الضيوف الدبلوماسيون، يفترض بك الآن يا سيد حسّون أن تغير ملابسك، لا تنسَ رجاءً إجراءات البروتوكول التي يجب أن تعامل بها الضيوف..

حسّون أحفظها عن ظهر قلبي.. لا تهتمي لهذا..!

الصحفي لا تنسَ موعدنا مع المؤلف المسرحي الذي يريد أن يجسّد قصّة صعود نجمك بالتوازي مع نجم الرئيس الأمريكي على المسرح..

منى كل شيء مبرمج عندي سيدي، سأقوم بتذكيره (**يخرج حسّون والصحفي**).

الصحفي إذن سأستأذن الآن.

حسّون وأنا أدخل لتغيير ملابسي.

منى (**تحدّث نفسها**) تورّط حسّون المسكين..! رجلٌ مسكين، نزل عليه الحظُّ دفعةً واحدة، يقال: "متى طلعت القصر، قال عصر الأمس" أرى أن الأمور معكوسة بالمقلوبِ عند هذا الرّجل، عموماً هذا حظّه، وحظّنا أيضاً أن نستفيد من ورائه، عليّ أن أشرف على تجهيز طعام الضيوف الآن، وترتيبات الاستقبال قبل وصولهم (**تخرج**).

(تدخل سناء وهي تحملُ حقيبتها مع أبيها صاحب المقهى)

صاحب المقهى راجعي نفسك يا سناء، لربّما يراجعُ هو ما يسمّيها مبادئه..!!

سناء أبي أرجوك.. إن لم نستفد من مكانتنا، والتسهيلات التي يمنحها الآخرون لنا فكيف يمكن أن نسعد، وتتحقّق أحلامنا؟

صاحب المقهى أعرفُ يا بنتي أنّه يغرّد خارج السّرب.. ولكن علينا أن نغيّر أفكاره بطريقةٍ لا يحسُّ بها وفي الوقت نفسه، نستفيد نحنُ من مكانته واسمه دون أن يشعر.

سناء مللتُ من ذلك يا أبي..عليَّ مغادرة البيت.

صاحب المقهى لن تحلّي الأمور بهذا التّصرف.

سناء أبي أرجوك، دعني أضغط عليه..

(يسمعون أصواتاً خارجيّة)

سناء لا بدّ أن نخرج قبل أن يدخل ضيوفه.. **(يخرجان)**.

(تدخل مدبرة المنزل منى ومعها اثنان من رجال الأعمال الأجانب والرجل)

منى مرحباً بكم.

الرّجل شكراً، أين سيّد حسّون؟! يبدو أنّنا جئنا قبل موعدنا **(في إشارة تذمر من عدم استقبال حسّون لهم)**..

منى على العكس، جئتم في موعدكم تماماً، سيكون سيد

حسّون معكم الآن..

(يدخل حسّون، وهو يلبس ملابس غير متناسقة إطلاقاً بل إنها مضحكة، تبين الدهشة على وجوه الضيوف ومنى)

حسُون مرحباً.. مرحباً بالضيوف الأعزاء **(مواقف طريفة تحدث عند التسليم عليهم)**

الرّجل أعرّفك على وانج وينج.

حسُون مرحباً وينج.. بالإنجليزي وينج يعني جناح.. أي إنكّ وانج الطيّار!

الرّجل وهذا السيّد طوني جاريّا..

حسُون مرحباً، ألم تكن مصارعاً؟

ضيف٢ هل هذا جسدُ مصارع يا سيّد حسّون!

حسُون عموماً مرحباً.. مرحباً، تشرّف البيت بالضيوف الكرام..

الرّجل نعلمُ أن وقتك مزدحم يا سيّد حسّون ونشكرك على وقتك الثمين الذي تخصّصه للقائنا..

حسُون لا بأس، لا بأس، أعتذرُ إليكم مقدّماً فربما أحياناً يأتيني اتصال من أخي الرئيس لبعض الاستشارات في بعض القضايا الدولية العالقة..!

الرّجل نتفهم هذا يا سيّد حسّون..

منى أستأذن.

حسُون لا تنسي أن تعدي لي ملخص ما ينشر في الصّحف، وبالأخص عما يستجد من قرارات للإدارة الأمريكية،

(للرجل) كما تعلم من الواجب على الأخ أن يتابع عمل أخيه، في حال طلب المشورة مني وهو كثيراً ما يفعل..!

الرّجل بالتأكيد هذا أمرٌ واجب.

منى بدأت منذ الصباح الباكر في إعداد الملخص كالعادة ولكنني تأخّرت لألتقي بالعديد من الناشرين الذين يتسابقون في طباعة كتابك..!

حسُّون سبحان مغيّر الأحوال، منذ شهر كنت أمر عليهم واحداً واحداً ولم يكلفوا أنفسهم حتى عناء النظر في الكتاب..

منى وهذا ما يحدث الآن فهم يتنافسون على طباعة الكتاب، ليس لمادته فهم لم يقرؤوها وإنّما لأنّ الكاتب هو أخو الرئيس.

وانج آمل أن تحظى دار النشر التي أملكها بطباعة كتابك يا سيد حسّون..

منى أي دارٍ هذه التي تتكلم عنها؟

وانج دار تشجيع الكتّاب..!!

حسُّون **(هازئاً)** دار تشجيع الكتاب!! أليست هي الدار التي ردّت عليَّ بأن عليّ أن أبيع السبانخ في سوق الخضار بدل الكتابة..

وانج لقد فُصِلَ الموظف الذي كتبَ هذه العبارة.. ليس هذا فحسب، بل تقدّمت بقضيّةٍ ضدّه.. **(ينسحب الصحفي)**.

حسُّون **(يحدث نفسه جانباً)** كم من كاتبٍ موهوبٍ ضاع إبداعه أدراج الرّياح، فهم لا ينشرون بسبب مادّة تستحق

النشر، وإنما لأن أسماء بعينها هي التي كتبتها حتى وإن كان غثّاً ما كتبته..! **(ينسحب الصحفي لكن حسّون يشير إليه بيده للبقاء)**.

الرّجل عموماً يا سيد حسّون، لدينا بعض الأمور نريد أن تتوسط لنا فيها مع أخيك الرئيس..

وانج بالمناسبة هل قرأت اليوم ماكتبَ في الصحف عن..

حسُون **(يقاطعه)** عفواً هذا اتصال من أخي الرئيس..

الرّجل هدوء.. يحدّث الرئيس، ولا كلمة.

حسُون مرحباً أخي، نعم قرأت ما كتب عن جورج.. والله ماذا أقول لك، هذا ولدٌ لا يريدُ أن يعقل.. نعم.. نعم.. أكيد، أفضّل عدم التدخل.. ربما يعقل، ربما أفكر في أن أستدعيه هنا، وألومه وأقرّعه.. شكراً أخي، سلّم على ميشال.. **(يقفل السمّاعة)**.

وانج كنت أريد أن أتحدث في الموضوع نفسه..

حسُون أكيد أعرف عن الموضوع قبل أن يُنشر، فأنت ترى أن الجماعة **(يشير إلى رجال الأمن)** ينقلون لي الأخبار أولاً بأول.. عموماً جورج هذا أصغرنا، هداه الله لا يريد أن يعقل، ولكن كما طلب الرئيس مني سأستدعيه هنا وسأرى ما هو المناسب لتقويم سلوكياته..

الرّجل في الحقيقة يا سيّد حسّون؛ أنا والسيد وانج وينج شركاء في شركة المحروقات وقد جئناك لبعض

التفاهمات، نحنُ نعرفُ أنّك رجلٌ منفتح أمام جميع الحلول..

حسُون إذا كنتما تريدان مني أن أتنازل عن طرح الثقة عن هذه الشركة للتجاوزات التي تقوم بها فذلك أمرٌ مستحيل..! إن المحسوبيات تلعب دورها في الشركة بغضِّ النظر عن الاعتبارات الإدارية والفنية والقانونية.. وهناك احتكارٌ لأصحاب المحطات المتعاملين مع الشركة من خلال حجب المادة عن الزبون المباشر والاعتماد على سيارات التوزيع المباشر حيث يفرض السعر الزائد ويضطر المستهلك إلى دفعه خشية الحرمان والانقطاع.. هل تريدون مني السكوت بعد ذلك..؟

وانج لك في المقابل كل ما تطلب يا سيد حسّون، على أن تتنازل على طرح الثقة والإساءة لسمعة الشركة التي بدأت تتضرر.

حسُون هكذا عينك عينك.. وفي منزلي أيضاً.. أرجو أن تخرجا فوراً..

الرّجل اسمع يا حسّون..

حسُون حسّون.. أنا أخو الرئيس، وعضو مجلس الشّعب..

الرّجل (مهدّداً) كلمة واحدة لك وهي أن عليك أن تتنازل عن مشروع إلغاء الواسطات، فلكل مجتمعٍ تقاليده العريقة.. وأسلوبه في إدارة نفسه..

حسُون أتهدّدني..؟

الرّجل فسّر ذلك كما تشاء..

حسُون اخرجا إذن من هذا البيت فوراً..

الرّجل أنت تحلم.. لقد أضعت على نفسك.. كابرت كثيراً، وعاندت، ولم تحسب الأمور جيّداً، كان ستمضي جيّداً ولكنّك أضعت على نفسك..

(يسمع جدال من الخارج بين الضابط ومنى)

منى لا يمكن أن تدخلوا فالسيّد حسّون مع ضيوفه الآن..

الضابط لدينا أمر طارئ بالدّخول..

منى أرني الأمر قبل أن أسمح لك بالدّخول..

حسُون ما هذه الضجّة؟

(يدخل الضابط والشرطيّان، يظهر عليهم الحزم والغضب، منى وراءهما، ينسحب الصحفي دون أن يحس به أحد).

حسُون كيف تسمح لنفسك بالدخول هكذا دون استئذان؟

الرّجل **(ساخراً)** أووه أخا الرئيس..!! عفواً يا أخا الرئيس كان عليه أن يستأذن بالفعل.. لقد جرح مشاعرك، لماذا يا حضرة الضابط تجرح مشاعر جناب السيّد حسّون.. لا يستحق جنابه أن تدخل عليه دون استئذان.

حسُون ما هذا الأسلوب؟

الضابط تتحدث عن الأسلوب يا حسّون..!

حسُون حسّون!! اصبر قليلاً سأتّصل بأخي الرئيس.. **(يتصنع**

الاتصال) ألو، أخي الرئيس، اليوم أُهين أخوك..

(الضابط يسحب الهاتف منه، يلصقه على أذنه)

الضابط ما هذا الكذب؟! كشفت اللّعبة يا سيّد حسّون، يكفي تمثيلاً..

حسُّون أنت قطعت المحادثة..

الضابط يكفيك تصنّعاً.. لقد خدعت ذقوننا جميعاً.. وأدرت اللّعبة بكلِّ كفاءة..

حسُّون بل أنا أخو الرئيس يجمعنا أبٌ وجدٌ واحد.. هل تريدون أن تحسدوني حتى أن أكون أخا الرئيس..! هل وصل الحقد والحسد بكم إلى هذه المرحلة..؟

الرّجل لقد كان عندي شكّ منذ البداية ولكننا تركنا الأمور تسيرُ لعلّك تعقل.

حسُّون وهل أنا مجنون..؟

الرّجل بالفعل أنت مجنون ولدينا ما يثبتُ أنّك مجنون.. وستؤخذ لمستشفى المجانين.

حسُّون أنا أطالب بحصانتي كعضو مجلس الشّعب..

الرّجل رفعت الحصانةُ عنك في دقيقة.

(منى تدخل)

منى عفواً.. مندوب السفارة الأمريكية يريد مقابلة السيّد حسّون..

الضابط دعيه يدخل حتى يكتشف الأخ المزيّف للرئيس..

منى تفضل حضرة المندوب..

المندوب مرحباً سيدّ حسّون..

حسُون مرحباً..

المندوب في الحقيقة أنا جئت أحمل لك رسالة من فخامة الرئيس، يبلّغك فيها أشواقه الأخويّة وفرحته الكبيرة بظهورك في هذه الدولة العربية الصديقة، ويقول إنّه كان يتوقع إخوة له في أي مكان؛ لأن والده تزوّج سابقاً ولا يعرف الكثير عن إخوانه (**حسّون يمشي باختيال وينظر إلى الضابط والضيوف**) ويقول إنّه سيزورك في أول زيارةٍ له للشرق الأوسط. أو إذا أحببت أن تزوره في البيت الأبيض فهو يرحب جداً بك هناك..

حسُون (**ساخراً للضيوف**) هل سمعتم الآن؟ ألا يعرف الواحد أن يعيش دون تنغيص؟!

الرّجل حبكةٌ جيّدة قام بها الصحفي المسكين.. لقد انكشفت اللّعبة وما أنت أيها المندوب إلّا لاعبٌ مزيّف..

حسُون أنتم تبحثون عن الفرص لتنالوا مني، أعرف أن الحسدَ كالدود ينخر صدوركم.. الحسدُ مصيبتهم الكبرى هنا يا وينج..هل أنت حاسدٌ أيضاً..!

وينج لستُ حاسداً ولكنني أفهم قواعد اللّعبة التي تسيرون عليها في بلدانكم هذه..

حسُون أعلم أنكم تريدون النيل مني خاصّة حينما طالبتُ بتشكيل لَجنة برلمانية للتحقيق في شركة الطيران الوطنية، هذا لأنّك واحدٌ من أعضاء مجلس إدارتها

(**ينظر للرجل**) بعد أن أعطي المهلة الكافية لتصحيح أوضاعها، إلّا أنها لم تلتزم بذلك.. واستمرت في طرد الكفاءات، وعمليات التوظيف العشوائية والاستفراد بالقرارات مع تغييب الأعضاء الآخرين، ولهذا (**للرجل والضابط**) فأنتما تنتظران الفرصة للإيقاع بي..!

الرّجل نسيتَ أمراً واحداً يا سيّد **حسُّون**، هذه الأمور تتشابك وتتعقد فهي شبكة عنكبوتية من الصعب العثور على أول الخيوط فيها وآخرها..!!

حسُون بل سأعثرُ عليها.

الرّجل في موسم العنب..!!

(**يمسكه الشرطيان**)

حسُون لم يكن يهمّني أن أكون أخا الرئيسِ أو لا أكون، لكن أينما توجّهت لم أكن لأحتاج لا إلى شهادةٍ ولا إلى بطاقةِ هويّة بل إلى واسطة.. الواسطة هي التي أدمن عليها الجميع.. حتى إنه يسعى للواسطة كي لا يقف لبضعةِ دقائق في طابور.. وأنا لم أكن أملكُ واسطة.. وأنتم تبتكرونها ابتكاراً.. (**من هنا تنطفئ الأضواء، ويظلُّ الصوتُ متواصلاً، ثم يرتبط بالمشهد التالي، ويظهر فيه أن حسّون كان خارجاً عن سيطرته العقلية، يهذي، والكلام التالي يقوله في المشهد التالي**)...

ينتهي المشهد

المشهد السابع

(عوداً على المشهد الأول، المشرّد وحسّون، وهذا الأخير، يهذي مهدّداً ومتوعداً، ويحاول التّملص الواهم من الشرطيين، يصول ويجول وهو يُكمل بقيّة الحديث، يدخل الضابط والشرطيّان بمارش عسكري)

حسُّون **(إكمالاً للكلام السابق، وهو يرفع يديه يمنة ويسرة، مهدّداً ومتوعداً)** والآن بعد أن لعبتُ دور أخي الرئيس هرعتم إليَّ كلٌّ واحدٍ يريدُ مني واسطة، هذا يطلبُ وكالةً لشركةٍ عالمية، وذلك يريد ترقيةً لمرتبةِ سفير، وآخر يريد الحصولَ على مصلحة.. وحسّون هو لاعبُ الوسط، وهو الذي يصنع الأهداف أقصد الواسطات.. وأتحدى أيَّ واحدٍ منكم الآن.. أيَّ واحد أن يقول إن حسّون ليس أخا الرئيس.. ماذا يعني أخو الرئيس؟! سأتحداكم حتى آخر العمر..

الضابط **(يضربه على ظهره)** تتحدى من؟..

(ينتفض حسّون)

حسُّون ماذا هناك يا حضرة الضابط..؟

الضابط ماذا هناك..؟ **(للشرطيين)** يتغابى الرّجل.. يقول ماذا هناك؟

حسُون والله لم أبرح مكاني منذ أن وجدتني فيه آخر مرّة..

الضابط صحيح أنك لم تبرح مكانك لكنّ فمك كان يُسقط الدُّرر يا أخا الرئيس..!!

حسُون أخو الرئيس، أي رئيس..**(للمشرّد)** ماذا كان في القنينة التي شربتها ألم يكن عصيراً حسب قولك..

المشرّد بلىٰ كان عصيراً لكن العصير أنواع: عصير طبيعي وهو يعصر من الطبيعة، وعصير مخلوط فيه بعض الشوائب **(يضحك بغباء)** وهذا ما شربته يا حسّون، قلتُ ربّما ينفِّسُ عنك بعض الهمِّ..

حسُون همّ..! بل قل الغم.. بلاك الله بالهمِّ والغمِّ معاً..!! **(للضابط)** سمعتَ بأذنك يا حضرة الضابط، إنني لم أقل ما قلتهُ بكاملِ قواي العقليّة..!

الضابط لا يا حبيبي.. عندنا الكلامُ هو الكلام.. لا فرق عندنا إن كنت في كامل قواك العقلية أم لا..! وفي الحقيقة فإن الكلام الذي يخرج من الإنسان حتى وإن كان في غير وعيه، هو كلامٌ موجودٌ في باطنه، يعني أنّه يقصده وإن لم يصرّح به في وعيه..

المشرّد هذا يعني أن قلبي نظيف ولهذا لا يخرجُ مني في سكري إلا الكلام النظيف.!!

الضابط شرّفنا الآن يا أخا الرئيس..

حسُون **(يتباكى، للمشرد)** ما الذي فعلته فيَّ يا وجه الشؤم..أأنا يصيرُ لي كلُّ هذا، ما الذي جنيته في حياتي..؟

الضابط (للشرطيين) قودوه..

(يدخل الرّجل)

الرّجل بل دعوه.. **(يأخذ الضابط جانباً)**.

الضابط لكنّه كان يدّعي ادّعاءً خطيراً يا سيّدي يقول..

الرّجل نحنُ نعرفُ ماذا كان يقول.. **(يأخذ الضابط جانباً)** سنجعله أخا الرئيس حقيقةً حتى يكون واسطتنا لقضايا كبيرة لم نجد لها حلًّا حتى الآن، لقد أعجبتنا الفكرة، سنستخرجُ له الهويات والإثباتات المطلوبة ليكون بالفعل أخا الرئيس حقيقة ليسَ وهماً.. ولقد أعددنا كل شيءٍ لذلك..

حسُون **(يتقدّم من الرّجل)** والله يا سيّدي لم أقل ما قلته عن وعي، لم أكن في كامل قواي العقلية، لقد أطاشت بعقلي الخمرة..

الرّجل بل إنك بالفعل أخو الرئيس..

حسُون ماذا؟ أخو الرئيس! أي رئيس؟

الرّجل رئيس الولايات المتحدة الأمريكيّة حسين أوباما، هو حسين وأنت حسّون وقد أنجبك والدك هنا قبل أن يهاجر إلى أمريكا..

حسُون يا للمصيبة..!

الرّجل لدينا أمر لنقلك إلى بيتك الفخم..وفي المقابل نحتاجُ منك إلى بعض الخدمات، يعني الواسطات بصريح

العبارة.. وسنسهّل لك الواسطةَ في كلِّ شيء.. كلِّ شيء تحتاجه، هل تقبل؟!

حسُّون أحصلُ على وظيفةٍ مرموقةٍ، وأنشطة تجاريّة، وتسهيلات..

الرّجل تحصلُ على كلِّ شيءٍ تتمناهُ بالواسطة، ولا تعترض طريق أحد..

حسُّون أعترض طريقه!! من قال ذلك؟ كل واحد يمشي على رأيه، هل أغيّر أنا الدنيا أو حياة الناس؟ كل واحد يرى مصلحته، والدنيا ماضية على هذا الأسلوب.. المهم أن أعرف كيف أعيش!!

الرّجل لكنّك كنتَ تحارب الواسطة..

حسُّون لم أكن في كامل قواي العقلية يا سيدي، ولا يؤخذ الإنسانُ بما يلغو وهو سكّير..!!

الرّجل جميل، ولكن عليك في المقابل أن تسلّك لنا أمورنا نحنُ أيضاً عند أخيك الرئيس في القضايا الكبيرة.. فلا شيءَ يكون دون مقابل..

حسُّون أخي.. من أخي؟

الرّجل أخوك الرئيس هل نسيت؟

حسُّون مفهوم، مفهوم.. موافق أنا أخو الرئيس موافق.. **(تدخل الفرقة الشعبية التي تغني له تماماً كما حصل في المشهد الخامس).**

تنتهي المسرحية

مسرحية

قناعٌ واحد لا يكفي

مونودراما

صفحة بيضاء
رقم ٢٥٦

بداية المسرحية

(مخزنٌ لملابس الممثلين، ترتمي الأشياءُ بفوضويةٍ في جنباته، في إحدى زواياه درجُ ملابس لملابس مختلفة.. معلّقة أو مرميّة دون اكتراث.. كومات من الملابس المكدّسة، جدرانٌ غشَّاها الغبارُ، وملابس بنى عليها العنكبوت بيوته.. يتكوَّم شابٌّ في أحد أكداس الملابس بحيث لا يميَّزُ عنها منذ الوهلةِ الأولى.. أصواتٌ مختلفة، ترتفعُ ثم تنخفضُ بشكلٍ تدريجي: عواءُ ذئب، نباح كلبْ.. أصواتُ بشرٍ متداخلة.. أبواق سفنٍ.. طائرات.. موسيقى، ترتفعُ أصوات البشر المتداخلة، يبدأ الشاب بالتململ في كومة الملابس..)

صوت خارجي لا يزال داخل المخزن.. لم نتمكن من فتحه بالقوّة.. ما العمل؟! سيصل الممثلون بعد قليل، وسيحتاجون إلى ملابس التمثيل..، يا للمصيبة التي حلّت علينا... لقد أحكم المهوّس الحقير غلق الباب.. (**يخاطبه بصوت مرتفع..**) حسناً، ها أنت تقترفُ جُرماً كبيراً باحتجازك لملابس التمثيل.. أتعرفُ أنك غبيٌّ وخائف...

- (**يردُّ عليه من تحت اللحاف**) حسناً سأحتفظ بهذا الغباءُ لنفسي، أنا غبي هذا حقِّي. الخوف، والغباء،

والتشرُّد.. كلها مزايا أعتبرها من حقِّي هاه! هل تريدُ أن تسلبني حقيِّ حتى من الغباء!!

صوت الرجل التفاعل الحيوي مع الكائنات الحيّة من شأنهِ توفير الأنسِ والوداعةِ لنفسك أيّها الباخسُ حظَّك.. كان عليكَ أن تدركَ كيفَ يمكنك التَّكيف مع الأضداد والنقائض..!! كان عليك أن تتفاعل.. تفاعل يا رجل.. تفاعل..

(يزيح عن جسده اللحاف.. يتحدث بصوتٍ يتخلله الضحك المصاحب بالحشرجة)

- تفاعل.. أليس من السّخافةِ أن نتفاعل..!! **(بطريقة خطابية)** تفاعلوا يا أبناءَ آدم..؟! **(مستغرباً، ثم يرفع صوته وهو يردُّ على الرّجل)** ولكن كيف لهم أن يتفاعلوا إذا كان قد عجز عن ذلك أجدادهم قابيل وهابيل!! **(مغيّراً الموضوع)** دعني أبحث عن اسمي الذي سقط بين هذه الأكوام المتناثرة.. **(يبحث)** أين سقط اسمي.. أين هو.. لا شيء.. لا شيء.. **(يقف، يفكّر)** من قال إن لي اسماً؟! لا بد أن يكون لي اسمٌ كالآخرين.. حمود مثلاً.. خلفان..أبو خلاخل.. أنور، جورج، مشعل.. سلامه..فون بو يونج **(يضرب جبهته)** فكِّر.. فكر.. يا.. نعم يا.. كدت ألفظها..على طرف لساني الخبيث.. نعم تذكرت.. تذكرت.. كان أبي غاضباً على أمّي في ذلك اليوم الذي ولدتني فيه.. **(ينهض ليلبس رداء والده)** نعم..

لربما لم تكن دورة الحياةِ، أو الفصول في مصلحتي ذلك النّهار.. **(يقوم بدور الأب)** .

- كم مرّة قلتُ لك توقّفي عن الولادة.. كفى نباحاً.. إنّهم يملؤون أرجاء البيت بقذاراتهم، تكسّرت ركبتاي وأنا أذرعُ الشوارع بحثاً عن شيءٍ أسدُّ به فوّهات أنابيبهم الفاغرة.. وكرشك لا يني يمتلئ كلّما أفرغ أحدهم.. ألا يكتسحُ الجفافُ شراييناك فتضمر، وتضمحل؟ **(يقوم بدور الأم)** .

- **(تضحك)** توهّم.. توهَّم أيها الرّجل.. لن تجفَّ الضروعُ بصلاةٍ منك.. ولا السواقي بدعاءٍ خبيث ينسكبُ من شفتين بذيئتين.. ثق أن دورة الحياةِ تكملُ حلقاتها بك أو بدونك.. ذات يومٍ سيكونُ له اسم ..

- فليكن إذن ابنكِ حتى ذلك اليوم الموعود بلا اسم.. نعم بلا اسم، وليسر في الشوارعِ دون هويّة، وفي الحارات دون وجه، وحين ينظرُ إليه المارّة يبصقون على جسده، يحسبونه نفاية.. بل هو نفاية..

(يعود إلى شخصيته..) .

- تذكرت الآن.. تذكرتُ أنني أبحث عن نفسي.. **(يضحك)** كنت مفرطاً في التفاؤل حينما ظننت أن لي اسماً، وأنه سقط سهواً بين ركام هذه النفايات.. لقد ربطت أمي مصيري هي أيضاً بلقاءٍ يجمعني باليوم الرائع.. بالمناسبة فقد وجدتُ يوماً جميل المحيّا ذات مرّة، وسألته ..

- هل أنت من هذه المدينةِ أيها اليوم الجميل المحيّا.. أطال النظر إليّ مليّاً، ثم أجاب.. **(وهو يقلّده)**:

-لا أيها الصديق الرائع.. أنا من بلدٍ لا ينتمي لهذا المكان، مبعوثٌ لأجل مهمّة جميلة لشخصٍ جميل مثلك لكنّه ليس في هذه المدينة..

- سألته بلهفة: هل هناك أيامٌ جميلةٌ كثيرة في المكان الذي جئت منه..؟

- أجابني بحذر: - ربّما أيها الصديق.. لكن لا أستطيع المبالغة.. هل تنتظرُ يوماً مثلي..؟

- قلت له: - أنتظر اليوم الذي يجلبُ معه الحظوظ، والأسماء، والغناء، والحبّ والثروة، والأصدقاء.. ما رأيك أن تغيّر وجهتك فتصبحَ يومي..

وما إن سمع مني ذلك حتى اضطرب اليوم وهاج غضباً في وجهي، وزمجر، فتغيّر جماله إلى قبح كالح.. ودوّى بصوته المرعب:

- لا يقتلكم أيها البشرُ سوى الحسد.. لقد جلب الحسدُ عليكم النّقم، ما إن تحسُّوا بالنّعمةِ، أو الحظِّ في الطريق إلى إخوانكم أو أصدقائكم لإسعادهم، حتى تدلهمَّ نفوسكم، وتسودَّ جوانبكم، فلا ترون إلّا حقارات الأشياء وسخافاتها.. مت بغيظك أيها الحاسد الرعديد، زد غماً، وتقطّع غيظاً.. **(يسقط بعد الحديث متعباً..)**.

(أصوات بشر تتنامى في الصعود ثم الانخفاض، وهكذا تتموج..)

- إنهم قادمون.. قادمون بلا شك.. ولسوف يقودونني خارجَ هذا المخزن/ الجحر إلى المسرح فضاءِ المدينة.. أمام النظّارة؛ إذ لا مخرج غيره.. حيث تتغيرُ الألوان.. والوجوه.. والأمكنة.. لا أريدُ أن أغادر هذه الظلمة المؤنسة.. لا أريدُ أن تتلاشى هويّتي في المدينة، هذه التي سمّاها أبي الأرعن ذات يوم: النفاية الضخمة..!!

(يسرع نحو الباب ليتأكد من إيصاده..) لا يهمُّني الانزواءُ بعيداً، فهنا تجد نفسي ضالتها.. جدرانٌ كالحةٌ لكنها بالنسبةِ لي فضاءٌ **(يوتوبيا)** لا تحدّه حدود.. ومرآةٌ لا تشوِّه الحقيقة.. **(يؤكّد)** أجل هذا أمر هام.. لا أحب المدينة لا مسرح ولا جمهور.. سأصرُّ هذه المرّة على التّحدي.. أمقتُ الوظيفة، والمسؤول.. ذلك الوجه المتشدِّق متعجرف **(يذهب لارتداء لباس عسكري، بشاربٍ هتلري..)** يظنُّ أن الدنيا لا تتسع إلّا لموطئ حذائه، وهو حين ينظرُ إليّ، فإن هزائمَ العالمِ تتجسّدُ في عينيه الحقيرتين.. لن أنسى بعد بذاءته وهو يجيبني عن إخفائه لهويّتي في لوحاتي التشكيلية.. ونسبته أعمالي لآخر لا يفقه في الفنِّ حرفاً.. **(يقلّد المسؤول)** .

- **(يضحك بسخافة)** ربما نسيتَ أنك بلا اسم.. والناسُ الذين بلا أسماء كحضرتك، لا تقبلُ مكتبة الأمم المتحدة أن تحتفظ بأعمالهم الوثائقيّة.. كان عليك أن

تراعي هذه القاعدة لا أن تهمل هويّتك.. هؤلاء أيّها الصديق ليس لهم مساحة.. هم مجرّد أشباح يتحركون في هامش هذه المعمورة.. **(يخلع ملابس المسؤول)** .

- وددت يومها أن أمزّق قناعه الذي يتخفّى وراءه.. فأرى عظام جمجمته الصفيقة.. دارت بي الدُّنيا يومها.. **(يسقط سلم)** ويومها تمرّدت عليّ نفسي، لملمت قواي.. واستجمعت شتاتي، وهرعت إلى السلّم.. **(وحين يكاد أن يصل إلى السلم، يرتفع السلم.. ثم ينزل بعد أن يولِّي الممثل قافلاً، ويحاول مناورته أو مغافلته، لكن السلّم كان يرتفعُ في كل مرّة.. صوت كلاب تنبح بكثافة)** أيها السلّم الساحر.. أليس لك من قلبٍ فيرق؟! لا أريدُ شيئاً سوى الصعود كي أطلق بوحي ..

لم يفتَّ ذلك من عضدي.. كتبتُ رسالة إلى.. **(يبحثُ في الأكوام)** إلى من..؟ نسيتُ الآن اسمه.. فالاسم الذي لا تلتقي بصاحبه يكون بلا وجه في ذاكرتك..فيضمحلُّ بسهولة.. كقطرة ماءٍ تحت وهجِ الشمس.. **(يجد الرّسالة..)** إلى.. ما هذا حتى الرسالة اختفى منها الاسم.. ربما صعد.. أجل ربما صعد.. هذه الأسماءُ لا تستقرُّ في الحثالات.. تصعدُ إلى صناديقَ مخمليّة، فارهة.. لا يهم.. **(يقرأ..)**

لقد قام المدعو.. بدون اسم.. صعد هو الآخر.. لا بد أنه تابع.. قام المذكور بشطب اسمي من لوحاتي التي تعتبر شيئاً من ممتلكاتي حينما تقدّم بها لمسابقةٍ عالميّة..

(نباح كلب متقطع في أثناء قراءته للرسالة، يبدو خائفاً بعض الشيء وهو يقرأ..) وأنت تعلم يا.. أنها ملكية فكريّة، وأنه إبداع إنسانٍ ليس له رأس مال في الدنيا سواها.. وأنني منزوٍ في جحري منذ تلك اللّحظة لا أريدُ رؤية المدينةِ، وقررت أن أخلع عني ملابس التمثيل.. حتى إنني الآن وأنا أكتبُ هذه الرّسالة كما ولدتني أمي سترك الله.. أيها.. الصديق الجميل **(يضحك ساخراً من نفسه، ومستغرباً من اللفظ الذي استخدمه)** ما الذي حدا بي أن أصف رجلاً في مثل مقامه بالصديق الجميل.. هل كنتُ ثملاً وقتها.. قطعاً لا.. فأنا لا أتعاطى القذارات..!! **(يكملُ)** والمسألة أشبه بنهشِ لحم طري لآدمي.. **(يستغرب)** يبدو أنني قد فقدت تركيزي.. **(يرمي الرسالة..)** لم لا تقفُ الأشياءُ في صفِّي..؟! لمَ تقفُ الحظوظُ على النقيض من جهتي..؟ لا ينالني منها سوى التّفرج المحروم، المنزوع الأوردة عن هبات الدّنيا.. لِمَ المدينة قاسيةٌ إلى حدِّ الغبنِ، والمقت؟! وحرّها صهيدٌ على قلبي..وكما يتسلل شكٌ لأحد ما في شرعيّة انتسابهِ للفراش، فإنني مفتَرَسٌ بالشّك في أن المدينةَ هذه جسدٌ أخرسُ، ثاوٍ.. بينما سلّمت المدينة الأصلية ذاتها للتاريخ فرقدت فيه مستسلمةً، خانعة.. **(طرقات قويّة، يشعر بالخوف، يتناول ورقة يكتبُ فيها وهو يلفظ الأحرف جهراً)** خذوا مدينتكم لكم.. تقاسموها، لم تعد لي حصّة فيها..

(**مستدركاً**) إذا كانت ثمّة حصّة فألقوها في البحر..! (**عواء ذئاب مع طرقات..، يرمي الورقة فوق الباب إلى الخارج.. تصمت الأصوات..يتّجه إلى الباب بتؤدة، يفتحه بحذر، فإذا بالأصوات تصدر عالية: نباح الكلاب، الريح، أصوات بشر، أبواق الشاحنات، الإضاءات، يقفل الباب عنوة، وهو يصارع النَّفس، وهو يسقطُ في الأرض على مؤخرته**) كادت أن تبتلعني.. يا لحلقها الشبيه بأنبوب صرفٍ صحيٍّ هائل..!! لكنني تمكنت، وهذا هو المهم.. تمكنت من إحكامِ قفل الباب.. لن يصل إليَّ شيءٌ من هديرها.. (**يتّجه نحو الطاولة المهترئة، يتناول منها رداءً يلتحفُ به، ويتناول كوباً فيشرب بطريقةٍ بدائيةٍ**) المدينة بردٌ، وحزن.. منذ زمنٍ وأنا أبحثُ فيها عن طاولةٍ دافئةٍ في مقهى وديع، منزوٍ في ناصيةِ شارع، وفنجان قهوةٍ ساخنة.. تمنَّيتُ أن أضمِّد في جلسةٍ كهذه جراحاتي.. أخاتل فيها مطاردات سياط الريح المسلّطة على ظهري كضباعٍ مسعورة.. أجلس في أي ردهةٍ منها دون ملابس تمثيل، أو دون قناع (**بصوتٍ عال، يصول ويجول**) لكن الشوارع كانت تهربُ مني بمقاهيها الدافئة، وأضوائها البلوريّة، وثريّاتها الكريستالية، وكنتُ ألهثُ وراءها أحاول الإمساك بطرفٍ من أثوابها، لكنها تنسربُ كخيط الماءِ من بين أناملي.. يا للغواية.. حتى الفتاة التي شقّت جيوب قلبي في صباه كنتُ أفتقدها.. يالقلبي المسكين..

كان ينفطرُ ألماً وهو يراها تتبخّر كسرابٍ تلعقه الشمس..

صوت امرأة تتذكّرُ السّواقي والمرابعَ الخضراء.. يومها كان الوقت رمّاناً ووروداً تقتاتُ منه لذّاتنا البريئة..

هو ما الذي حدث أيها الحبُّ..؟! أتذَكرُ أني جمعتُ لكِ من السهولِ كلماتٍ صافية غرستها في شعرك الذهبي المنساب..

صوتها ذبلت الكلمات حينما لم تسقها بأشعارك النديّة.. كنت أريقُ ليالي في سهاد الانتظار.. حتى تبعتكَ دون وعي في المدينة..

هو كتبتِ الشقاءَ إذن.. انتهى كل شيء.. المدينةُ ليست للحبِّ.. المدينة لا تعرفُ المساكين..المدينة ذات الجبهات الأسفلتية لا تعرف رقص العواطف.. لا تؤمنُ بالنظرات الخجلى المنكسرة.. شيء رخيص للمساومة.. للاستهلاك.. **(يصرخ)** كم أمقتك أيتها المفازةُ الحمقاء.. أيّها الضجيج المسعور..!! حسناً.. **(يحاول الهدوء)** عليَّ أن أركِّز قليلاً.. بجبُ فعل شيء.. لا يمكنُ لقلبٍ أن يتّسعَ لهذه الخرافة الكبيرة.. سأسلك درباً آخر.. أقصدُ حلًّا آخر.. حلاً يبقيني في هذا الجحر.. عليّ أن أكون شيئاً آخر.. شيئاً ينسيني حرقتي.. **(وهو يبحث لاهثاً في الأكوام عن كساءٍ وغطاءٍ للرأس يغطي جسده كاملاً يؤدي به طقساً صوفياً..)** درباً أقطعُ به أوصال هذه الشحناء التي تمضُّ الفؤادَ، وتنخرُ أحشاءه.. **(يجده،**

يلبسه) لا بدّ من التخلّي قبل التّحلي.. وتصفيةُ القلبِ قبل الاستغراق.. **(نسمع أغنية محمد عبده، يا مستجيب للداعي يبدأ في الهيام معها، تكتسحُ الفضاءَ زرقة.. بعد قليل؛ يطغى على هذا كلّه أصوات بشر وهم يضحكون ويسمع رنين كؤوس، وضحكاتٍ مبتسرة لنساء.. يتوقف).**

صوته .. **(يتسمّع)** المرأة الحسناء التي كانت تقضي الليلَ متكئةً على العمود بانتظار عابر سبيل يوصلها إلى غياهب المتعة..!! أسمع نبرات صوتها.. صوتها الرخيم المبتسر.. أميِّزه الآن، أميّزه بكل شفافية... تذكرتُ الآن.. كم أنا غبي.. كانت عيناها تلمّح إلى شيء أثارَ في نفسي رغبةً لم أستطع تفسيرها آنذاك.. **(ابتسامةٌ ترتسمُ على شفاهه.. يضحك بتشدق)** يتمنّى المرء بعض الأحيان أن يصبحَ ثوراً.. ليتني كنت ثوراً..!!

صوت امرأة ..يحتاجُ الثورُ على الأقلِ إلى قرنٍ واحد.. فإذا لم يكن فيه قرنان أو قرن.. سيكونُ على النقيض.. يعني بقرة..

صوته .. **(يستشعر بخجل يقرُّ به..)** آآآ ، **(موافقاً)** بالفعل بقرة..!

صوتها ما زلتُ أنتظركَ في ذات البقعةِ التي وجدتني فيها، أتّكئ على عمود.. وعيناي ترتكزُ على الدائرة التي كنت تقعي فيها.. ما عليك سوى الجلوس تحديداً فيها.. وسنمضي معاً إلى **(رمل الصيف)**.. نتراقصُ فيه كما اتّفق..

صوته **(يضحك)** أعجبتني هذه العبارة: كما اتفق..

صوتها ألا تفكر في زوجةٍ وأبناء يتناسلون بدورهم من بعدك..؟

صوته سيملؤون الفناء بقذاراتهم.. هكذا قال أبي عنا.. لا أريد أبناء، لا أحب القذارات في الفناء..

صوت امرأة ..ما رأيك أن نعقد اتفاقاً يكون بموجبه الأبناءُ لي.. ولك الـ....

(**يخرج..**) خدعة!! هاها.. لي القذارة أليس كذلك.. لن أستطيع بالتأكيد شراء (**حفّاضات**).. لن أغادر هذه القبو.. غادريني أنت (**يفكّر**) لكن لمَ هذا الخوفُ الهادر في قلبي..لمَ تنخرُ جدرانه سوسة الرّهبة (**موسيقى نشوة..يرقص على إثرها، موسيقى غربية، يرقص**) ييه.. ييه.. واو.. واو ..

.. لمَ لا أرفع جبهتي هكذا (**يرفعُ رأسه**) وأصلبَ عمودي الفارع، وما زالت نشوة الرّقص فيه (**يصلب قامته**) وأركّز بصري (**يفتح عينيه باتساع، تبين ملامح الصرامة في وجهه**) حتى ينزّ من عينيَّ البريق المخيف.. أُوه.. تذكرت.. (**يرتدي ملابس، يقلد فيها بالبطل البلويفاري سيمون بوليفار..**) تذكرتُ الجنرال سيمون بوليفار.. صحيح.. لن أنسى رحلته الأخيرة، وهو يتباهى بما حرّره من مناطق... سأخرجُ إليهم هكذا.. (**وقد أكمل لبسه**) وحين يروني سيبذلون أقصى ما لديهم من مراسم فرحٍ مكلّلةٍ بلباقةٍ عالية، وعناية فائقة.. وسأحملُ اسم سيمون بوليفار بدلاً من عبُّود؛ الاسم الذي نادى به عليّ خطأً أحد سائقي (**الميكروباص**).. وحين أفتحُ البابَ برزانةٍ، وهيبةٍ.. يصمت كل شيء.. كل شيء

(يفتح الباب بسرعة، فتندلق منه أصوات البشرِ، الحافلات، الكلاب، الريح.. فيسقط بعيداً عنه كأن شيئاً قد قذف به.. يزحف على بطنه ليسدّ الباب..) يبدو أن سيمون بوليفار لا ينتمي لهذه المدينةِ.. من ينتمي لها..؟!.. المدينةُ تعجُّ بالأصواتِ، والبشرُ لا يندلقونَ من جحورهم إلّا ليتخفوا في جحرٍ آخر كالفئران.. ويوماً بعد يوم يزيدُ كرش المدينةِ امتلاءً.. حتى يأتي يومٌ يشتدُّ فيه المخاضُ، فتلدُ فقاعات ممتلئةً قيحاً.. حينها يتحوّلُ البشرُ إلى فقاعاتٍ تتلاعبُ بها الأنسام الناعمة.. (يقترب من المرآة.. يتلمسُ وجهه في المرآة) ثمّة فارقٌ كبيرٌ بين رأسي في المرآةِ، وذلك الذي يقبعُ بين كتفيّ..!! المرآةُ زيف.. ألأنّ البشر لا يقفون أمامها على حقيقتهم..؟!! أقصدُ دون ملابس التمثيل بالطبع..!

(يتبدل صوتها ليحلّ محلها صوت المرأة الأولى: حبيبته)

- ها هي المدينة تستنزفك إذن..!!

(مندهشاً، ساكناً..)

صوتها - أليس هذا سبباً كافياً كي تخرج من هذا القبو.. مارس كالآخرين لعبة الأقنعة وتخفى.. المدينةُ عبارةٌ عن حفلة تنكريّة..!!

صوته اسمعي.. ليس لك من حق للتطاول عليَّ.. منذ أن خرجتِ من تلك القرية الوادعة في ظهر السفح وانزرقت إلى المدينة انقطعت الوشائج..والآن ما من دليل يبرهن

لي أنك لست المرأة التي كانت تتكئُ على العمود..

صوتها هل كلّ امرأة تتكئ على عمودٍ هي..

هو .. ساقطة.. نعم ساقطة..

صوتها كنتُ أنتظرك.. أجل كان المارّة يلقون إليَّ بصفيرهم، ونفايات ذلك الحيوان الكريه المندلق من أفواههم.. لكنّي كنت صامدة.. أرقب في البشرِ صورة حبيبي.. ودار بيني وبين شحاذ يشبهك إلى حد كبير حديث..

(يتقمّص هو دور الشحاذ بعد أن يلبس ملابس مهترئة أثناء حديثها..)

هو كم هي قاسيةٌ هذه الشوارع.. قاسيةٌ إلى منتهى الكراهيةِ..

صوتها للخسارة بابٌ واسع.. ليس لدينا ما نربحه أيها الشحاذ..

هو ليس لدينا ما نربحه.. أجل.. حفنةٌ من الأحلامِ.. ورزمةٌ من الأماني.. وبضع من السنوات العجاف.. ضاعت في مساقات البحثِ عن الذّات..

صوتها هل وجدت تائهاً يشبهك..؟!

هو هل وُجِد تائهٌ غيري..؟! **(صمت)** هل وجدتِ امرأةً تشبهك..

صوتها هل وجدت امرأةٌ لا تشبهني..؟!!

(يخلع رداءه بعنفٍ ويلقيه..)

هو ما الذي تريده المدينةُ مني..؟! أخبريني أيتها المرآة من أنا.. ما الدور الذي من المفترض أن أقوم به في

مسرحها.. آه.. الدور.. الدور (**يتّجه نحو الملابس.. يلبس ملابس مهرج، ويضع في أنفه كرةً حمراء من الإسفنج، ينظر إلى المرآة..**) نعم الدور.. الدور.. هذا هو دوري.. هكذا تريدني المدينة.. هل يناسبها هذا الدور.. (**تلفت وكأنه يبحث عن شيء.. يرى سلماً مهترئاً أشبه بسلم استبدال الإضاءة.، يصعد فيه ويتحدث**): أيها العابرون والعابرات.. السالكون والسالكات.. المتحدثون والساكتات.. هل فكّرتم أين تمضون وإلى أي منتهىً تنتهون..؟! حسناً.. هل فكرتم لمصلحة من تمضون.. ولمصلحة من تقفون.. ولمصلحة من تنتهون.. (**ينزل، وكأنه يخاطب المارة غير المرئيين..**) هيه أنت.. لمَ وجهك صارم..؟ (**لآخر**) أنت لم لا تصلب ظهرك؟! (**لامرأة**) لم تتقيئين في الطريق.. ستحاسبك البلدية..! (**لآخر**) هل أنت مخرجُ هذا العرض؟!.. (**لأخرى.. بميوعة**) هل أنت التي.. آه.. هاه..!! (**يعرقل طريقهم، لكنهم يمضون من تحت يديه ورجليه..**) أُريد أن أقول لكم.. لحظة، الله يخليكم.. أنا لستُ شحاذاً.. أنا مهرجٌ مثلكم.. كلّنا مهرجون في الحياة.. اسمعوا.. هيه.. كيف تنسربون من حولي ومن تحت رجلي.. (**لأحدهم يخرج من بين ساقيه**) هيه أنت ما الذي تفعله.. سنصنع مدينةً أخرى.. ما رأيكم.. مدينةً لا تعاني من الهزائم، ولا الجفاف، ولا الوجوه ذات الملامح الصارمة، ولا المساء القاسي، ولا الأجساد التي تتكئ على

الأعمدة.. مدينة راغدة.. هل تعرفون معنى (**رغد**).. في المعجم الوجيز (**رغد**) بمعنى رغد العيشُ أي أخصب ونعم وطاب..!! اسمعوا.. اسمعوا (**يركض نحو السلم يسوقه للوسط وكأنه وسط الطريق، يصعد فيه..**) نحن الكائنات الحيّة بحاجةٍ إلى التفاعل، كما قال لي أحدهم ذات يوم، وكان مصيباً وكنت أحمق.. نحتاجُ إلى توحيدِ الأقنعةً.. إلى تمثيل الأدوار ذاتها.. وتمثُّل المصائر ذاتها.. كي لا يصبح بيننا فارق واحد.. ولا بيننا من يتميّز على الآخر.. كي يمحق الحسد.. آه.. على الحسد في قلوبنا.. هل قتلنا سوى الحسد.. (**يصرخ**) تكلّموا هل قتلنا سوى الحسد.. (**ينزل وكأنه يمسك أحدهم ويهزّه**) هل أنت حاسد..؟! مئة بالمئة أنت حاسد.. (**يمسك أخرى يهزّها**) والله العظيم أنتِ حاسدة، بالرّغم من هذا الوجه البشوش الذي ليس سوى قناع زائف.. (**يركض نحو المرآة.. يحملها يريها كل واحد..**) أنت توغل في اللامبالاة.. (**لآخر**) أنت تحمل هزيمتك بين كتفيك (**لأخرى**) أنت تخافين الأسئلة، والأمكنة.. (**لآخر**) أنت غير مكترث لا تقلق على شيء!.. (**وكأن المكان قد خلا..**) أين مضيتم، كيف خلا المكان.. اسمعوا ختام هذا الشيء.. كيف يمكن لشيء أن يكون بلا ذيل.. اسمعوا الختام.. دائماً أنتم في عجلةٍ من أمركم أيها البشر.. تمضون دون ختام!! (**يبدأ في البكاء.. وهو يتضوّر**) في الختام أردت أن أقول إنني جائع، أريدُ لقمةً

تسدُّ رمقي.. أيّها الوحوش الضارية.. ما كانت تلك الديباجة من الكلام إلا كي أنتهي إلى القول بأنني جوعان.. (**يزأر**) جوعان.. أريد أن آكل..!!

(**يجرُّ خطاه، يسحبها ثقيلةً نحو الطاولة المهترئة... وهو تعبٌ، مثقلٌ بالألم، يتشنج بكاءً، يسمع صوت الريح**) عربدي أيتها الرّيح.. الصمتُ معتم.. والليلُ يصفّق بجناحيه في قلبي ..

صوت والده (**ضحك مدوٍّ**) مهرّج.. مهرج مبتذل.. هذه نقمتي عليك.. أن تعيش بلا اسم.. كيف لواحد أن يتفاعل مع الكائنات الحيّة بلا اسم..

- (**يقفز من مكانه..**) أدفع الآن الثّمن غالياً.. أين أنت الآن كي تراني في هذا الجحرِ الذي قررت ألّا أهجره، سحقتني الشوارع.. وبصق عليّ المارّة.. سيدفع أبنائي الثمن هم الآخرون.. وهي سلسلةٌ قميئة بدأتها أنت.. ها أنا الآن أعيش عمى الأشياء.. لا أرى شيئاً حتى ذاكرتي أصبحت فارغة.. وأين تراني سأمضي إن غادرتُ هذا الجحر الذي ليس سوى مخزنٍ لملابس مسرحيّة، سيأتيها الممثلون بعد قليل ليرتدوها.. ويمارسوا تمثيلهم في الحياة.. تماماً كما أفعلُ أنا / الآن / هنا.. (**طرقات قويّة.. وأصوات عالية.. يركض لينظر من ثقب الباب..**) قدم الممثلون.. إنهم عراة.. بلا ملابس.. لقد استحوذتُ على مخزن ملابسهم.. (**يضحك بتفاخر..**) أتخيّلهم في

المسرح بلا ملابس.. كيف لهم أن يستروا عوراتهم..
هل يطفقون يخصفون عليها من شجر المدينة..؟!!
أتخيلهم على المسرح.. تتحول أجسادهم السمراءُ إلى حمراء قانية خجلاً من أنفسهم إذا ما نظروا في المرآة..
(**يضحك بشراهة مع سعال يتخلل ضحكه..**) أتخيّل أحدهم وهو يقوم بدور المهرّج وهو ينشد للملك لير..:

لم تبق للمهرجين قيمةٌ هذه السّنة

إذا ابتدأ العقلاء في التهريج مثلنا

ولم يعودوا يعرفون أين عقلهم

بل يغلبون البُله في سلوكهم

ثم حين تدخل (**جونريل**) ابنة الملك لير.. ينشد..

صمتاً.. صمتاً

من يبطر بالنعمةِ

ساعة ضجر بالدنيا كافة

من لا يستبقي لقمة

أو كسرة خبزٍ جافّة..

سيحسُّ الحاجة للقمة..

ويشير إلى لير وهو يكمل: هذا قشرة فول فارغة..!!

(طرقات عالية على الباب..أصوات حشود)

صوت الرجل الأول

سيهدمون السقف على رأسك هذه المرّة لا يمكنهم أن يظلّوا في المسرح دون أدوار أو ملابس..

صوته بعد قليلٍ سيكسرون إحدى الواجهات، وسيقتحمون عليّ المكان، وسأخرجُ دِرويشاً كما دخلت.. أيُّ نقمةٍ، وأي فشل يلاحقانني..أنا منكود.. أنا نحسٌ.. (**يجري نحو ملابس أنيقة، لشخصية.. يضحك..**).

هو أثمّة ما تتهكمُ به عليّ..؟!

الشخصية كل شيء يثير فيك التّهكم..!! قل لي ما اسمك..؟!

هو لا اسم لي..

الشخصية (**تضحك**) لمَ لا يكون لك اسم..؟!

هو أنتظرُ اليومَ الرائع الذي سيجلبُ لي اسمي معه..!

الشخصية وتسألُ لم التّهكمُ..! هل نظرتَ إلى وجهك ذات مرّة..؟

هو في صفحةِ الماءِ.. أنا أقاطع المرايا.. المرايا زيف!!

الشخصية لم تنبذك المدينة أيّها المهلهل..؟

هو المدينة لا تعترفُ إلّا بالأقنعة.. وليس لديّ ما أخفيه!

الشخصية آه يا صديقي الدِرويش.. آه.. أنتَ تحملُ نقماتك على كتفيك..! قل لي هل تجيدُ التّمثيل..

هو التمثيلُ لعبةٌ وخداع.. الممثِّلِ ساحرٌ مزيَّف..

الشخصية هل تصرُّ على الغباءِ والخوفِ وتعتبرهما مزايا منك..

هو هذه حقوقي..

الشخصية وتسأل بعدئذ عن المقتِ، والاستلابِ، والنكايةِ أيها الصديق، لقد استحوذت على غرفة ملابس التّمثيل ولم تستفد منها، أردت أن تخرجَ غبياً، مهلهل الثوب، بلا اسم، ولا وجه كما دخلتها، تقذف لعناتك على كل شيء.. هل تريدُ رأيي؟! صبّ لعناتك على نفسك إن لم تفتح عينيك على ملابس التّمثيل.. هيّا.. هيّا.. **(أصوات تهديم للمكان..)** أسرع اختر لنفسك.. اسماً..

هو ربيّوع..

الشخصية اسماً أنيقاً، مؤثراً..

هو سلُّوم..

الشخصية يا لك من متداعٍ.. اسماً حضارياً..

هو جورج.. جورج خلفان..

الشخصية اسماً عربياً.. يا للمصيبة.. اسماً لامعاً، برّاقاً، جذاباً

هو عبد الملك..

الشخصية ممتاز.. والآن اختر لك وجهاً..

هو هل جننت..؟! وما الذي أحمله في واجهة رأسي..؟

الشخصية هل تسمّيه وجهاً.. أقصد **(لوك)** مظهر..

هو **(يرتّب وجهه..)**

الشخصية بدأ يتكون لك وجه.. انزع عنك ملابسك..

هو عيب..! ما الذي تقوله؟!

الشخصية أقصد تخلّى عن هذه الأثواب المهلهلة.. المهترئة، واختر ملابس تناسبُ الدور الذي تقوم به.. حسب الظرف، والزمان..

(يجري، فيختارُ ملابس أنيقة.. يلبسها..)

الشخصية اختر النصّ المناسب، والدور الأنسبَ فيه.. واقرأ عن الشخصية كثيراً، صفاتها، تاريخها، أبعادها الشعورية، علاقاتها بالآخرين.. لا تنسَ حركات جسدك المتّسقة مع الدور..

هو فهمت الآن..

الشخصية إذن أصبحت ممثلاً مهيأً كي تدخل المدينة من أوسع أبوابها، لأنك من اليوم ممثلٌ بارعٌ أيها الصديق..

(يختفي)

هو الخطوة القادمة: التفاعل مع الكائنات الحيّة.. **(طرقات عالية.. يضغط على أذنيه بكفيه ويعطي ظهره للجمهور..صوت بابٍ يُكسر، تفتحُ أضواء الصالة، تسلّط عليه إضاءات من جهة الصالة، بعد صمت، ينزل كفيه، ويطالع جهات المسرح برأسه وجسده معاً باحثاً عن الممثلين الذين ظنّ أنهم اقتحموا المخزن أو غرفة تبديل الملابس، يتفحّص بعينه الجهات الثلاث المغلقة في المسرح فلا يجد أحداً، وحينما ينظر جهة الصالة.. يتقدم ليواجه الجمهور بكل ثقة)** .أعتذر منكم أيها

السيدات والسادة يا جمهور الممثلين، فقد أرغمتكم على كسر واجهةٍ بحالها لغرفة تبديل الملابس مقدراً أن صبركم قد نفد وأنكم لن تستطيعوا أن تنحشروا في خليةِ المدينة دون ملابس التّمثيل.. بقي أمرٌ واحد.. **(يركض نحو المرآة، فيحملها بصورة عرضية ويوجّه صفحتها نحو الجمهور.. وهو يلفتُ رأسه جانباً)** يبدو أن أحداً منكم لم ينظر في المرآة حين قدم إلى المسرح.. أما الآن فبإمكانكم الصعود لأخذ ملابس التمثيل والأقنعة وبدء عرضكم..لا تنسوا أن التفاعل مع الكائنات الحيّة يتطلب ارتداء ملابس التمثيل.. عرضاً موفّقاً!!

تنتهي المسرحيّة

صفحة بيضاء
رقم ٢٧٨

مسرحية

وجوه الأحبّة

مونودراما

صفحة بيضاء
رقم ٢٨٠

(الشيخُ المسنُّ يشعلُ الشموع)

(يتمتم بتذمر، صوت رياحٍ خارجيَّة مع نباح كلابٍ أو عواءِ ذئاب متقطّع) شتاءٌ قارسُ البردِ، مكفهِرٌ، أرعن.. لكنَّ الأصحابَ لن يترددوا في الحضرةِ أيّاً ما كانت الأحوال، عمّا قليلٍ ستدفِّئ هذا المكان حشرجاتهم، وتكتظُّ فيه قهقهاتهم، والليلُ سامرٌ، أنيس لا يبخلُ بجلَّاسهِ على التسريةِ إن عرفوا مفاتيحَ سرِّه، فقدموا له ما يفكُّ وحشته، ويُذهبَ جهامته.. **(يسرح)** الليلُ.. الليلُ..

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تمدُّ بهـا أيـد إليك نـوازع[1]

(ينظرُ إلى مجموعة صورٍ غير واضحةِ المعالم، معلَّقةٍ في الجدار) يا للصحابِ المؤنسين.. كم أتوق لهم كلّما غابوا عن القلبِ **(يرفع عقيرته)** لن أقولَ حتماً..

ألا أيّها الليل الطويلُ ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباح فيك بأمثلِ

ولكني أقول ألا أيّها اللَّيلُ المدلهمّ فلتنفرج دجن الظلام فيك ولتنسحبَ حشود سحابك عن القمرِ المحجورِ في أُفقه منتظِراً أن يثيب القلوب الوالهةَ، العاشقة بنوره النديّ، ويا أيتها الرِّيح الشعواءُ الباردة خفّفي وطء زمهريرك عن صحابي.. لتكوني لهم رخاءً، ناعمةً كثوب أميرةٍ رائعة الجمالِ تطلُّ بقامتها الرشيقة على من صرعهم

(١) النابغة الذبياني.

هواها عند باب قصرها المنيف.. (**بعد فترة**) سيأتون يا إسماعيل.. سيأتون، هدئ من روعك وحسب. كأنّي أراهم على أحصنةٍ تطوي الأرض طيّاً، هيّا إذن يا إسماعيل، إنّك تهدر الوقتَ في ثرثرتك (**يجهز المفارش والوسائد وهو يعاني تعب الشيخوخة**) لعن الله إبليسك يا سعيد كنت لا تنفكُّ تُلقي الطرائف طرفةً بعد أخرى.. هل كنت تقصدُ حينما قابلتَ زوجةَ المعلّم فقلتَ لها إن زوجها قد عشق امرأةً ابتدعها خيال حمّار..؟!!(**يضحك**) لعن الله إبليسك هل خطرت في بالك عندئذٍ قصّة المعلم الذي روى عنه الجاحظ أنّه حزن حزناً شديداً حين سمع حمّاراً ينشد قائلاً:

لقد ذهب الحمارُ بأمِّ عمروٍ فلا رجعت ولا رجع الحمارُ..![1]

فقد كان هائماً مدلّهاً في حبِّها دون أن يراها، فقط سمع عنها من الحمّار نفسه أو من غيره، ربما وهو يُنشد:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردي عليّ فؤادي أينما كانا

لا تأخذين فؤادي تلعبين به فكيف يلعب بالإنسان إنسانا

فعشقها المعلِّم المسكين.. ثم حزن عليها عندما علم أن الحمار قد ذهب بها ولم يرجعا..(**يضحك حتى يحشرج**) أووه.. لا تتعبُ من ثرثرتك يا سعيد.. حسناً ستأتي اليومَ مرةً أخرى وستسمعنا حكايةً من لطيف حكاياتك المسلِّية..

---

(١) في رواية للجاحظ عن المعلمين.

(يجهِّز المباخر وينفخ جمرها كي تندلع دخاناً زكيّاً بروائح اللبان، يشمُّ بعمق، ويتذكَّر) يالك من رائحةِ الحبيبة.. زكيَّة هي رائحةُ جسدها الصقيل.. **(يُجسِّد دور الشاب الذي كانه وهو يخاطب زوجته)**:

أيا ليت من أهواهُ يرحمُ وحشتي
ويؤنسني بالملتقى العذب زائرا
لقد بتُّ مكلوماً، معنَّى بنأيه
وبات الذي أهواهُ في الصمت سادرا

(يتقمَّص دور امرأة وراء الستار).. تُنشد:

وكيف أساقيك الهوى، كيف أرتوي
وقد ذبتُ في معنى هواكَ وصرتني
وقد كنت لي ما كنته فيك سيِّدي
فهل زارني طيفٌ سواك فراقني؟

يُطلق آهةً عالية: يا إله السموات والأرض، رب الناس كلهم والجان والملائكة أغثني من حرِّ اللّظى، وجمر الاشتياق..

المرأة:

أكتمُ حبي، دون سلوى تعينني
وكيف سأسلو والحشاشةُ تكتوي..

هو:

أنــا فــيك يــا نجــوى أذوب صــبــابــةً

كــمــعــدنِ فــولاذٍ إذا لامــسَ الجــمــرا

وحــبُّــك في جــوفِ الــفــؤادِ ربــابــة

إذا عــزفــت غــنى الــفــؤاد لهــا شــعــرا

هو: **(بصوت عالٍ يتخلله الانتشاءِ)** يالهذا الوجدِ العذب، والفتنةِ الساحرة.. أفيضي زلالاً، نُفِضْ شعراً يا نجوى! **(يدور حول نفسه نشوانَ)** أفيضي عليَّ أيتها الحبيبة ولا تتركيني حتى أغرغر بشهدِ بوحكِ السيّال..

(يعود مرّةً أخرى إلى شخصيته المسنَّة، وهو منكّس الرأسِ، وهو يتناول خرقةً ينظّف بها أرضيَّة المكان..يتمتم) في كلِّ مرّةٍ يتأخَّرون فيها عن المسامرةِ حتى يكاد اليأس أن ينهش حشاشتي، تتأدّى إليَّ أصواتهم من بعيد.. **(صوت كلاب.. ينتبه فجأة، يتوقف)** هاه.. صوتهُ.. صوته، لقد جاءَ محمود.. أعرف صوته وأميِّزه حتماً حتى ولو كان من بين ألف صوت..**(يسرع في التنظيف، يرفع رأسه.. يدورُ هاجسٌ ما في رأسه، بخوف)** .ذاتَ مرةٍ يروى أنَّ عاشقين كانا يلتقيانِ في أطراف حينما يهجعُ السمّار.. وكان هذا دأبهما، وذات ليلةٍ حاقدةٍ كهذه الليلةِ النحسة خفق قلبهُ فقد أيقن أن وحوش البرِّ قد اعترضت طريق محبوبته، فهبَّ يبحثُ عنها حتى أتى بها قطعاً ممزقة.. وأنشد:

كـنـا عـلى ظـهـرهـا والـعـيـشُ في رغـدٍ

والـشـمـلُ مجـتـمـعٌ والـدارُ والـوطـنُ

فـفـرَّق الـدهـر والـتـصريـفُ أُلـفـتنا

وصـار يجـمـعـنـا في بـطـنـهـا الـكـفـنُ

فشهق شهقةً ومات.. مات.. إنني أشعر بشيءٍ ما، بوخزٍ عميقٍ..أو بطعنٍ مثل طعن شفرة السكين الحادة.. في مكانٍ ما.. **(صوت كلاب.. يتغيَّر، تنفرج أساريرُ وجهه)** لا بأس يا إسماعيل، لا بأس.. سيأتون.. أول البشائر.. صوت الكلاب بشارة المنتظر.. **(يتخيّل محمود أعلى رأسه)** ..فرحاً، مستبشراً: **(ممتدحاً نفسه وصحبه)** كنت أعلمُ أنه لا الليلُ الأهوجِ ولا الرياحُ الهائجةُ ولا السفرُ البعيد يحجبكمُ أيها الأحبَّة عن مسامرتي.. اجلس يا محمود، يا بني الغالي.. تعالَ إلى جنبِ أبيكَ وفضفض له ما في قلبك، كالليالي الخاليةِ التي كنت تفضفضُ فيها عما يعتمل في سريرتك.. قل يا محمود ..محمود: **(يتقمصُ هو شخصيته، بقوام مستقيم)** أتذكرُ يا أبي تلك الأيّام الخالية من أيّةِ جراحات، أياماً صافية كصفاءِ السماءِ الزرقاءِ من السُّحب..؟!

هو كيف لي أن أنساها وهي ربيعُ قلبي..

محمود كنتَ تمسكني من أطراف يديَّ، وتدورُ بي حتى أصبح كالمروحةِ وأنت مركزها الدوّار، حتى نتوقف فنتخبّط معاً بعد أن فقدنا القدرة على الوقوف والتركيز، حتى

إنّك سقطت ذات مرّة في بركةٍ ضحلة فامتلأ وجهك بالطّين..

هو **(يضحك حتى يحشرج)** فاختفى وجهي، وصار وجهي كآنيةٍ فخاريّةٍ انتهى الصانع من صقلها..!! **(وكأن سعيد قد حضر)** تعال يا سعيد شاركنا هذه المنمنمات الطريفة.. تعال هنا اجلس.. اجلس يا سعيد.

(ينهض ليصبَّ الشاي للضيفين المتخيَّلين)

هو أتذكرُ يا سعيد، كيف كنت تتسلَّق أشجارَ النّخيلِ المطلّةِ على بيت شيخِ القريةِ كي تحظى بنظرةٍ معسولةٍ من عيون ابنته النجلاء..؟!

سعيد كانت تلك أياماً خوالي.. لم يكنُ في قلبِ المرءِ شيءٌ مما سيأتي به الغيب في مستقبل أيامه.. كان القلبُ فارغاً إلّا من شقاوةٍ مبتكرةٍ، أو حركةٍ صبيانيةٍ شيطانية لكنها بعيدةٌ عن المكرِ والخديعة..!!

هو يالها من أيّام ذقنا فيها حلاوة الطفولةِ، وعذوبةَ الحياةِ.. أيام يا سعيد.. أيام كان الواحد منّا لا يعنيه مع من يسير أو مع من يلعب.. حياةٌ فوارةٌ بالأحاسيس البِكرِ، والمشاعر الرقيقة..

سعيد أتذكر حين اتحدنا عصبةً واحدةً إزاءَ المعلّم وكنّا وحداناً، يومها لم يستطع المعلّم أن يحرّك عصاهُ المشهورةَ في وجوهنا بالرغم من التهديد والوعيد لكنّه

رأى الزبد دابقاً في شفاهنا فعلم أن مصيرهُ قد حان..!!
(يضحك هو)

هو ها هم بقيّة الصحب والأحبة قد هلّوا، مرحى، مرحى.. توزعوا جلوساً **(يهرع إلى آنية الشاي فيصبُّ الشاي في فناجين صغيرة يوزِّعها في الأرض..)** أتعلمون، والله لقد خالجني شكٌّ ضعيفٌ مع أني كنت على ثقةٍ هاه.. شكٌّ في أن عددكم لن يفوق ربعكم هذه الليلةَ لشدّة البردِ فيها.. والضباب الكثيف.. الذي يشبهُ الحياةَ في بعضِ وجوهها..!! لقد أعددتُ لكم قمصاناً تقيكم البردَ حتى لا تتخلفوا عن موعدنا المسائي في ليلةٍ من الليالي.. **(يوزع عليهم القمصان..)** هذه لك، وهذا القميص نسائي خذيه أنتِ.. إنه بلا شك رائع، الزهور المطبوعة فيه أروع كروعة خدودك أيتها الرفيقة اللّدنة..، أنت خذ هذا..وأنت وأنت..

وأكـرعُ مـن صـحـبي الـوفـاء ليرتـوي

فـؤادي الـذي بـاتـت تجـفُّ عـيـونـهُ

ولـسـت أراني جـالـسـاً بـيـنـهـم أرى

سروري الـذي تهـفـو إليهـم شـجـونـهُ

(في فرح غامر) هاه، مارأيكم أن تجربوا القمصان.. جرّبوها كي أراها عليكم.. هيّا.. ثم.. ثم ألا تشربون الشاي.. لقد تركتموه يبرد..

أووه، عذراً فقد انشغلتُ عنكم بالثرثرة.. لكن اعذروني فوجوهكم تنسيني كلّ شيء.. أجل كل شيء حتى الشاي الدافئ في هذه الليلة القارسة البرد.. ما بالكم تحدّقون فيّ هكذا.. اشربوا أيّها الصحب، اشربي أيتها الحبيبة الشاي الذي كم كنتِ تعجبين به وتمتدحين ذوقي فيه..!! هل قلت شيئاً كدّر صفو أنسكم أيها الصحاب؟!! لا تطفئوا غلواءَ لهفتي بصمتكم.. ثرثروا أو على الأقلِّ اشربوا شايكم أيها الأحبّة، أسمعوني صوت شفاهكم وهي ترتشفُ الشاي.. شاركوني دفء هذه الليلة وأنسها..لقد بدأ البردُ يتسلّل إلى عظامي.. **(يلتحف، صوتُ نباح كلاب، ورياح، ينهض، يتكلم إلى الصور المعلَّقة بصوتٍ متهدِّج)** آهٍ أيُّها الأحبَّة.. يا وجوههم التي تشبهُ الزهرات النضرة في حديقة قلبي، لن تذبلي أبداً.. سأسقيكِ بماءِ التذكارِ المجدِّ، والمسامرةِ اللّطيفة.. وأيّاً ما نأى الزّمن علينا، واختفت ملامحك من الإطارات المعلَّقة ستظلين يا وجوه الأحبَّةِ محفورةً في ضميري اليقظ حتى تتثلّم حدّة الذاكرة، وحينها لن يفرق عندي شيء، بل العكس، حينها سأنال السعادة الكريمة.. لأنني سأنتمي إليكم أيها الأحبّة.. **(يتّجه إلى قميصٍ خشن الملمس، ويلبسُ قبّعة، ويمسك الدف ليضرب عليه)** أما الآن فلأكن درويشاً يطوف بقميصه الجيلاني سعياً وراءَ مطلبٍ لذيذ، أذرع الأرض مشياً لا ينالني منه الوصب ولا العنا.. سمرٌ جميلٌ يا وجوه الأحبَّة.. تسمع أغنية محمد عبده "يا مستجيباً للداعي، جب دعواتي بسراعي"، فيهيم عليها ويدور في غيبوبةٍ عن الوعي، الأغنية تبدأ من المقطعِ أدناه.. وهو يردّد بعض العبارات المتقطعة **(يامعين** –

احملني على قافلةِ الأحبّة - كرعتُ من الشوقِ حتى النخاع - سلّم يا معين - أكرم يا كريم).

وأنا صدفت الغاني من بعد مغرب داني
لابس قميص جيلاني يميل ميل الأغصان
وامعرقه وامتركي يرتج أخضر مكي
وعقد لؤلؤ يحكي من فوق حله كتان
أقبل ينط الشارع مثل الغزال الفازع
وأنا فطريقي جازع فصرت منه خجلان
أشعل فؤادي حسره بأعيان مثل الجمره
فكيف لا هي سمره فاقت جمال الغزلان

تنتهي المسرحية

صفحة بيضاء
رقم ٢٩٠

مسرحية

هلوساتُ ليلةٍ أخرى..!

مونودراما

صفحة بيضاء
رقم ٢٩٢

بداية المسرحية

سريرٌ يتوسّط المسرح، الفضاءُ المسرحي متوسّط الإظلام، ينامُ شخصٌ ما على السّرير.. فجأة يقفزمن سريره على صوت مذياع، يبدأ البحث عنه بطريقة عشوائية ومحمومة.. "قتل ٢٠ شخصاً في المدينة التي كانت تعدّ محصّنة في زمنٍ ما.. حتى جاء العهد الذي" **(يقفل المذياع بقبضة يده ويتنفس الصعداء، وعيناه مغمضتان).. (يندلق الصوتُ من مكانٍ آخر).**

صوت المذياع من جانب آخر أثمرَ الاقتتال الطائفي عن ٦٠ قتيلاً..

(يضرب المذياع بقبضة يديه).. يسكت.. يبدأ الضحك في شكل تصاعدي، وعيناه مغمضتان..

صوته **(مملوءٌ بالحشرجة وهو يضحك على استخدام اللفظة أثمر)** أثمر.. أثمر.. بدأ يثمر الاقتتال.. يا لهذه الثمرة الناضجة..!! أليس هناك ما تثمر هذه العبثية غير الجثث؟! **(يضحك..يردّد..)** أثمر، يثمرُ، ثمراً يانعاً **(..ينعس.. يبدأ الشخير..).**

أصواتٌ خارجيّة كان الدّم مسفوحاً، مراقاً بطريقة وحشيّة، وكانت الجثث المجهولة ترمى دون رؤوس حتى إنّ أحداً لم يتعرّف عليها، بل لم يسأل عنها أحد.. **(ينهض مفجوعاً، يجري نحو النافذة ويغلقها سريعاً.. ينام تحت النافذة.. ينهض مفجوعاً على اقتحام جنودٍ**

وهميُّين من النافذة، تسمع أصوات الحركات فقط.. أصوات أحذية، الأسلحة..)

صوته هيه.. هيه.. على رسلكم ماذا أنتمُ فاعلون.. ليس لديّ ما أخفيه سوى ثلاثة أجساد لا تكاد أغطية النوم تكفيها.. هيه أنت انتظر.. قف مكانك، قف مكانك.. لا تقترب منها، إن اقتربت فلن يكون في ذلك خيرٌ لك..بالطّبع لا تريدُ أن تجرّب الأطراف الصناعية.. أو أن تعيش - إن عشت - معتوهاً مشرّداً.. تفجع أهلك كل ليلةٍ بصريخك "إلى المخابئ.. إلى المخابئ".. هاه.. سمعت، تعقّل.. اهدأ، اهدأ.. هيه ما رأيكم في لعب الورق.. أعلم أن ما تقومون به لا يعدو كونه تلذّذاً، **(يحاول إضحاكهم)** تلذُّذ، أليس كذلك؟! **(يهمس لهم وهو يطالع من حوله كيلا يسمعه أحد)** هو بالفعل تلذُّذ عندكم.. لكنّه تلذّذٌ مقيت..!! **(يتناول لعبة الورق)**.. يفرشها في الأرض.. اجلس أنت، وأنت، وأنت.. وأنت أيضاً.. اجلسا لا بأس عليكم.. سنلعب الورق.. حسناً، فليأخذ كل واحد منكم سبع ورقات.. جميل.. هذا رائع.. بالمناسبة تعجبني هذه الخوذات.. هل أجرّب واحدة.. **(يتناول خوذة)** رائع، شعورٌ بالعنتريّة لا يوصف.. ينهض، يصوّر يديه كأنّه رشّاش رصاص.. يقلّد صوت الرّصاص "

تـــــــررررررررررررررررررررررررررررررررررررر،

تـــررررررررررررررررر، تـــتـــك، تـــتـــك تـــررررررررررررررررررررررررررر... لـــذيـــذ، ترررررررررررررر، **(بصوت عالٍ)** رامبو.. **(تسمع أغنية عيون النمر** ..Eyes of the tiger**)، (ينتشي وهو يسمعها)**.. أهكذا تشعرون.. **(يرقص، وهو يصوّب البندقية هنا وهناك مستشعراً بالبطولة المطلقة..)** جميل..، يرقص مع أحدهم..هل تعرفون بأنني حين لبست هذه الخوذة أحسستُ بشيءٍ غريبٍ، شيءٍ كالنشوةِ العارمة.. ربّما بشيء أعمق من هذا.. **(يفكر)** شيءٌ أعمق بكثير، كالغباءِ مثلاً، بالضبط.. أحسست بالغباء.. أحسست أن جمجمتي فارغة كتلك الجماجم النّخرة ألّا تحسّون هذا.. تحت هذه الخوذة **(وكأنه يضرب خوذاتهم)** أو هذه، أو هذه أو هذه.. ألا تشعرون بأنّكم أغبياء، ثملون، تتحركون كالدُّمى المحقونة بسائل السّعار؟! **(لأحد الجنود الوهميين)** هيه، لا تقترب من تلك الأرواح النائمة، تلك زوجتي وابنتاي.. دعهنّ يَنَمْنَ.. هل تعلمون أن النّوم الجميل لا يكونُ إلّا حينما يحلمُ المرء بأنّه يحومُ في فضاءٍ مفتوحٍ خالٍ من أيّة صورٍ سوى الأفلاك السماوية التي نشاهدها جميعاً في أيّ برنامجٍ فلكي؟! أقدّر غباءكم.. لا بأس.. لا بأس.. واصلوا اللّعب .. **(يتوارى، يلبس شماغاً أحمر، يلفّه حول وجهه.. يخاتلهم، يصرخ فيهم فاجعاً**

إيّاهم) .. مكانكم.. لا تتحركوا .. **(يضحك بقوة، وهو يزيح الشماغ)** أثرت الرُّعب فيكم أليس كذلك..؟!.. حسبتموني.. أعرف.. ممتاز.. هذا يعني أنني بارعٌ في التّمثيل.. **(وهو ينظر إلى أحدهم)** أووه.. أرى أنّك قد فعلت شيئاً غير محمودٍ يا رجل.. لم نقصد سوى المزاح.. لقد تبوّلت في سروالك أيّها الجندي..أووه هذا مخجل، بالفعلِ مخجل.. ابق مكانك .. **(يجسد حركة سحب الجندي، ثم يأتي بفوطةٍ كي يمسح بها أرضيّة المكان)** كفّوا عن الثرثرة والهزء.. لا يمكن أن تستثنوا أنفسكم من فعلةِ زميلكم الشنيعة.. واصلوا اللّعب.. **(يتوارى، صوت رصاص.. يعود مفجوعاً)**.. أين مضى هؤلاءِ الجند؟! كانوا في هذه البقعة.. كانوا يلعبون الورق.. أين سعاد.. ولبنى.. وليلى.. لقد كنّ نائمات هنا..غارقات في مهرجاناتهنّ الورديّة..كنّ يرقصن على نغمات **(أغنية وردك يا بيّاع الورد.. يهيم معها، ينظر للبقعة التي كان الجند يجلسون فيها)** وكان الجند يلعبون الورق هنا.. أووه.. فلأفكّر فيما حدث.. ركّز.. **(يضرب رأسه)**.. نعم.. نعم.. لقد لعب الجنود الورق معي **(وهو سارح)**.. ثم.. ثم اغتالوا حُلُمي.. اغتالوا حلمي وذهبوا.. ذهبوا..! **(يعود إلى السرير، ويلتحف)**.. ربّما تختبئ سعاد ولبنى وليلى في زاويةٍ من زوايا جفوني.. انتظاراً لحلمٍ آخر.. ربّما..!